كمال الدين صلاح.. الأسطورة المنسية

أحمد بهاء الدين يروى قصة الدبلوماسى المصرى الذى حرر الصومال بدمه

حرف

الدستور الثقافى

إصدار إلكترونى يصدر عن مؤسسة «الدستور» للطباعة والنشر

العدد 35

المحرر العام: محمد الباز

الأربعاء 4 سبتمبر 2024

1 ربيع الأول 1446

29 مسرى 1740

مقالات عمرها 70 سنة للرئيس السادات تفتح الملف

لماذا تخلف المسلمون؟

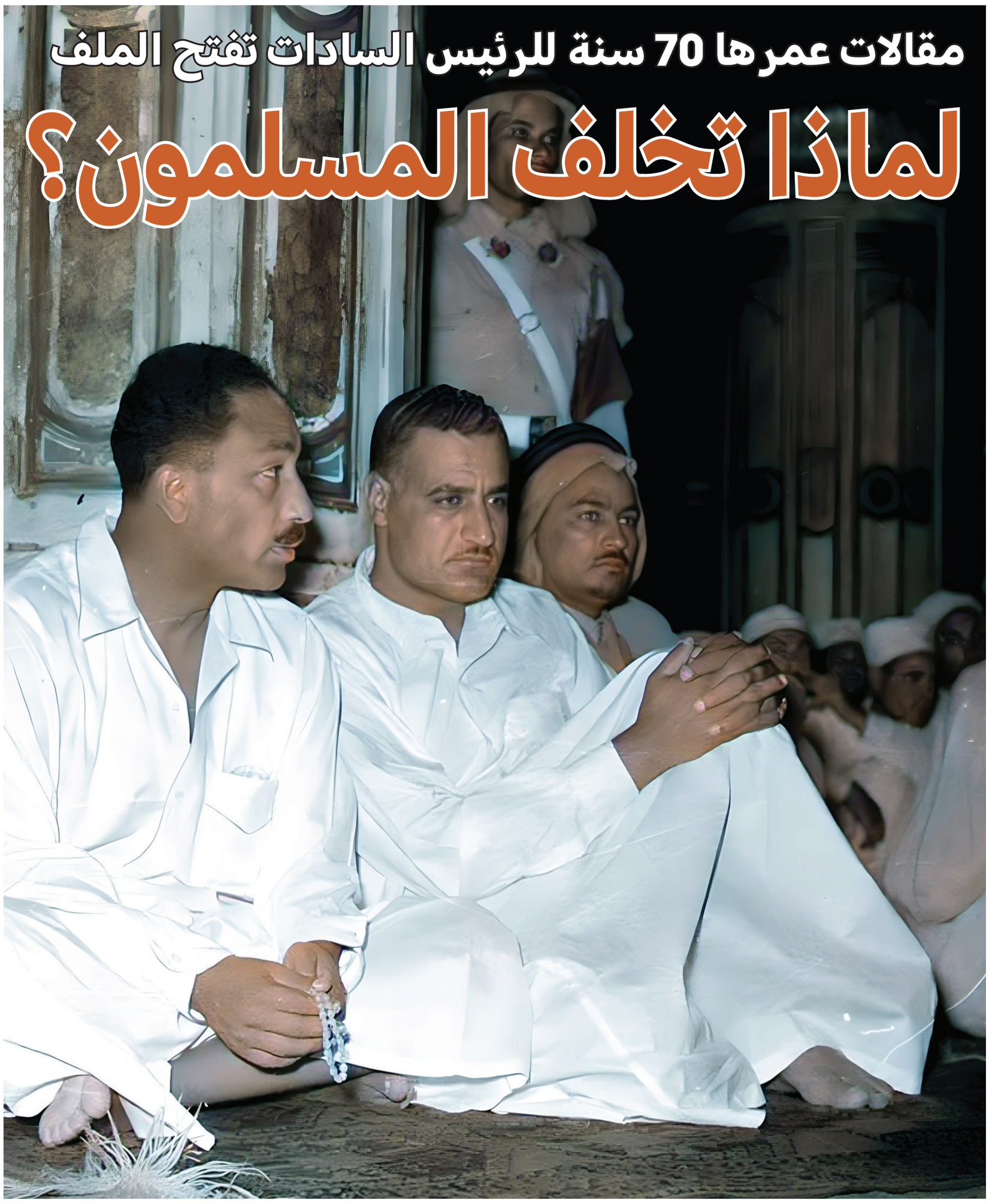

كتب تحت الطبع

رجوع الشَّيخ إلى مَثواه

رواية «سفر العنفوز» لـ سعود السنعوسى

اعتذار متجدد لأحمد عدوية

«صاحبة الجلالة لا تمسح البلاط»

عادل حمودة يكتب: التاريخ الذى ضيعناه

«فى صحة أحمد زكى»

ظلموك حيًا وميتًا يا آه.. يا آه

«توفيق الدقن العبقرى المظلوم»

رجاء لا يغيب

احتفاء بـ90 عامًا على ميلاد رجاء النقاش

بوداود عميّـر

الكاتب الجزائرى يتحدث، لـ«حرف»، عن اهتماماته الإبداعية بين الترجمات والكتابة السردية القصصية، خاصة القصة القصيرة جدًا المعروفة أيضًا بـ«الومضة القصصية».

محمد طرزى

حوار خاص مع الكاتب اللبنانى بعد إعلان الجامعة الأمريكية بالقاهرة القائمة القصيرة لجائزة نجيب محفوظ العريقة، وهو واحد من بين 6 كتاب تواجدوا بالقائمة، عن روايته «ميكروفون كاتم صوت».

هوارد جاردنر

عالم النفس وأستاذ الإدراك والتعلم بجامعة «هارفارد» يتحدث، لـ«حرف»، عن التعليم وتطويره، إذ إن اسمه أصبح مرادفًا للابتكار فى التعليم، خاصة بعدما أصدر 30 كتابًا فى هذا الشأن.

أحمد راتب

اتفقت الشركة المتحدة للخدمات الإعلامية مع وزارة الثقافة على نقل فعاليات ختام مهرجان القاهرة الدولى للمسرح التجريبى فى دورته الـ31، مع تكريم اسم الفنان الكبير، تقديرًا لمسيرته الفنية.

تستضيف جريدة «الدستور»، داخل مقرها بشارع «مصدق» فى حى الدقى بالقاهرة، على مدى 3 أيام متواصلة من 17 إلى 19 سبتمبر الجارى، فعاليات الدورة الثامنة لمؤتمر قصيدة النثر المصرية، برئاسة الشاعر عادل جلال.

نضال ممدوح

محمود الضبع

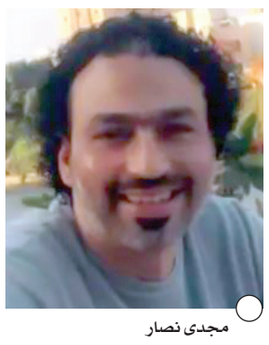
مجدى نصار

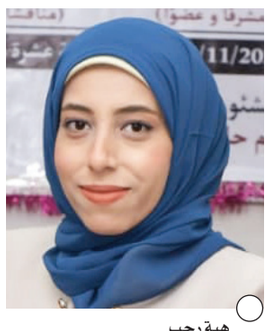
هبة رجب

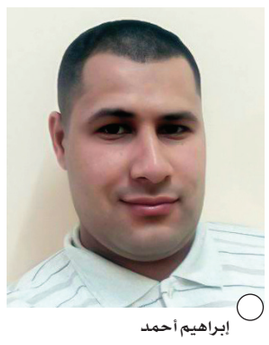
إبراهيم أحمد

حسام جايل

مؤتمر قصيدة النثر المصرية فى الدستور.. 17 سبتمبر

وتُعقد الدورة الثامنة من مؤتمر قصيدة النثر المصرية برعاية مؤسسة «الدستور»، وإصدارها الثقافى الإلكترونى مجلة «حرف»، تحت عنوان «الجليل والجميل والقبيح فى قصيدة النثر المصرية»، ومن المنتظر أن يصدر عنها الجزء السادس من «أنطولوجيا قصيدة النثر المصرية»، الذى يضم قصائد لأكثر من ٣٠ شاعرًا مصريًا من أجيال مختلفة.

ويتضمن مؤتمر قصيدة النثر المصرية هذا العام مشاركات بحثية لكل من النقاد: الدكتور محمود الضبع، والدكتور محمود عبدالبارى، والدكتور حسام جايل، والدكتورة هبة رجب شرف الدين، وإبراهيم أحمد أردش، ومجدى نصار، وسارة رمضان.

وتأتى فعاليات مؤتمر قصيدة النثر المصرية، التى تضم اللجنة الرئيسية الخاصة به الشاعر عادل جلال كمنسق عام، وعضوية كل من سوزان عبدالعال وهناء نصير وعمر شهريار وإبراهيم جمال الدين، فى إطار تعزيز التواصل بين الشعراء والأدباء والنقاد فى بيئة أدبية مناسبة.

ويستهدف المؤتمر كذلك تبادل الخبرات والأفكار فى مجال الشعر النثرى، وإبراز أهميته كشكل فنى مستقل، بجانب توفير فرصة للشعراء لعرض أعمالهم، والحصول على ردود أفعال لحظية من الجمهور والنقاد، ما يساعدهم على تطوير مهاراتهم الأدبية.

من جهته، قال الشاعر إبراهيم جمال الدين، مسئول تنظيم المؤتمر: «نثمن دعوة الكاتب الصحفى والإعلامى الدكتور محمد الباز لاستضافة الدورة الثامنة لمؤتمر قصيدة النثر المصرية فى مقر مؤسسة (الدستور)، ونرحب بها بشدة». وأضاف «جمال الدين»: «استطاعت مؤسسة (الدستور) لعب دور ثقافى فاعل وحيوى فى الحركة الثقافية، تنصلت من أدائه المؤسسات الثقافية الكبرى المنوط بها استضافة ورعاية مثل هذه الفعاليات، رغم أن المؤتمر قائم بالكامل بالجهود الذاتية، ولم نكن سنكلف أيًا من هذه المؤسسات سوى توفير المكان الذى ستعقد فيه الفعاليات». وعُقدت الدورة الأولى لمؤتمر قصيدة النثر المصرية فى عام ٢٠١٤، واستمرت حتى دورة هذا العام، تخللتها فترة انقطاع خلال انتشار وباء «كورونا».

اتفقت الشركة المتحدة للخدمات الإعلامية مع وزارة الثقافة على نقل فعاليات ختام مهرجان القاهرة الدولى للمسرح التجريبى فى دورته الـ 31، مع تكريم اسم الفنان الكبير الراحل أحمد راتب، تقديرًا لمسيرته الفنية.

ياسمين عباس

«المتحدة» تكرم أحمد راتب فى ختام مهرجان القاهرة للمسرح التجريبى

انطلقت فعاليات الدورة الـ ٣١ من مهرجان القاهرة الدولى للمسرح التجريبى «دورة الدكتور علاء عبدالعزيز»، برئاسة الدكتور سامح مهران، الأحد الماضى الموافق الأول من سبتمبر الجارى، وتستمر حتى الأربعاء المقبل الموافق ١١ من نفس الشهر.

وأعلن الدكتور سامح مهران عن تشكيل لجنة تحكيم المهرجان، برئاسة الشاعر والسيناريست مدحت العدل، وعضوية كل من الفنانة سلوى محمد على «مصر»، والفنان جون سيبى أوكومو «كينيا»، والفنان ساڤاس باتساليدس «اليونان»، والفنان مارت ميوس «إستونيا»، والفنان والأكاديمى السعودى، الدكتور عبد الإله السنانى، إلى جانب الكاتب والروائى الأردنى هزاع البرارى.

وكرم الدكتور أحمد فؤاد هنو، وزير الثقافة، ورئيس المهرجان، فى حفل الافتتاح، عددًا من الشخصيات المسرحية البارزة مصريًا ودوليًا، مما أثروا الحركة المسرحية فى مصر والعالم، وهم: النجم محمود حميدة، والفنان القدير الدكتور محمد عبدالمعطى، ومهندس الديكور الدكتور صبحى السيد، والناقد فتحى العشرى، بجانب فريق «البرشا» المسرحى.

وضمت قائمة المكرمين أيضًا: الفنان القدير وليد عونى من لبنان، والفنان يوسف الحمدان من البحرين، والدكتور ميمون الخالدى من العراق، والفنان ساڤاس باتساليدس من اليونان، والكاتب محمد سعيد الظنحانى من الإمارات، والكاتبة ملحة عبدالله من السعودية، والفنان مارت ميوسى من إستونيا، والفنان جون سيبى أوكومو من كينيا، إلى جانب «شخصية العام» الكاتب الكبير إسماعيل عبدالله، رئيس الهيئة العربية للمسرح.

يشهد المهرجان فى دورته الـ ٣١ إقامة ٦ ورش فنية، بداية من ورشة «الحركة وتشابك الجسد»، ويقدمها جاستن دى ييجر من هولندا، وورشة «مسرح الابتكار الجماعى»، وتقدمها أولجا بوزلى من اليونان، وورشة «السينوغرافيا واقعًا وخيالًا»، وتقدمها شادية زيتون من لبنان، ثم ورشة «مسرح إعادة الحكى: التمثيل التجسيدى»، وتقدمها داليا صبور من مصر، وورشة «تعريف طريقة عمل ميخائيل تشيخوف/ الممثل والمخرج/ مع الممثل»، ويقدمها عجاج سليم من سوريا، وورشة «الانغماس الدرامى»، ويقدمها رافاييل بينيتو من إسبانيا.

ويتضمن المهرجان كذلك ٣ دورات تفاعلية «ماستر كلاس» هى: «من المعبد إلى المسرح.. ماستر كلاس فى تتبع أصول المسرح المصرى»، يقدمها عمر المعتز بالله من مصر، و«السياسة الثقافية»، تقدمها مايكه ليتاو من ألمانيا، و«نقاش مع الراقص ومصمم الرقصات البرازيلى فرناندو ميلو».

وأصدر المهرجان ١١ عنوانًا فى دورته الحادية عشرة، تتنوع ما بين ترجمات لدراسات وأبحاث علمية فى المسرح وعلومه، ونصوصًا عالمية، وهى: «التمثيل المجسد» تأليف ريك كمب، وترجمة أحمد عبدالفتاح، و«نظرية الأداء» تأليف ريتشارد شيكنر، وترجمة أحمد عبدالفتاح، و«سطوة المهرجين» تأليف كريستيان سالمون وترجمة د. يوسف أمفزع، و«المسرح والحياة» تأليف راشيل راجالو وترجمة د. محمد سيف، و«مسيرة مسرح المجاميع المعاكسة» إعداد وترجمة قاسم البياتلى، و«فن التركيب المسرحى» تأليف باربرا جروناو، وترجمة الدكتورة مروة مهدى.

وضمت القائمة كذلك «المسرح وغوايته المركزية» تأليف الدكتور نورس عادل هادى، و«صرخة فى وجه النقد المميت» تأليف يوسف الحمدان، و«تجارب معاصرة فى المسرح» تأليف الدكتور سامح مهران، و«الهندسة النفسية فى المسرح الأوربى» تأليف مصطفى أحمد فهمى، بجانب إصدار الترجمة العربية للنص المسرحى «لعب الأدوار» تأليف سيبى أوكومو وترجمة نسمة سالم.

نقل الحفل على قنوات الشركة بالاتفاق مع وزارة الثقافة

وحدانى

إسلام عبد المعطى

جسمى ما هوش ملكى
يمكن يكون ملك الوجع
وشوشت مرة الودع
فقال لى هتخلف
أجمل عيال الأرض لكين
منصاب
آه يا ودع نصاب

عجزت وحدانى
لا ضل لى ع الأرض
ولا ذكرى موانسانى
ديتها كام ليلة
وكام ليلة
يا أهجر أنا جسمى
يا جسمى ينسانى.

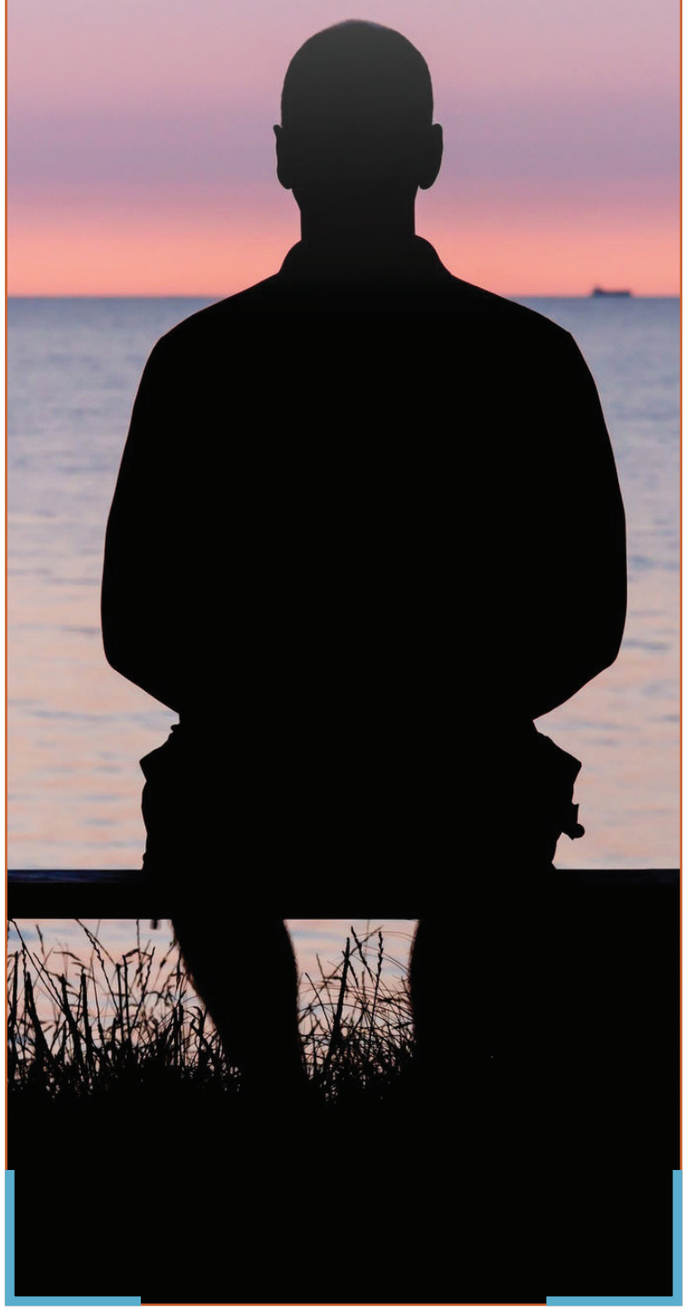

أهلى وجيرانى

إبراهيم داوود

إبراهيم داوود

مؤمن المحمدى

ما عنديش «مثل أعلى»، وعمرى ما فهمت التعبير دا، علشان كل واحد فى الحياة عنده سيرته ومسيرته وطريقته وبصمته، لكن دا ما يمنعش برضه إنك وإنت صغير تقابل حد، ف تقول: يا ريت لما أكبر أبقى زيه، والحد دا كان فى حياتى هو «إبراهيم داوود».

عرفت إبراهيم فى الدستور سنة ١٩٩٥، كان ب يعمل شغل «الديسك» «أى إعادة الصياغة» وأقدر أقول إنه أول واحد اتعلمت منه يعنى إيه القصة دى، وهو كان أسطى من أسطواتها، وجراح فى تعامله مع الجمل والفقرات، إنما كان فيه أسطوات تانيين، دى مش نقطة تفرد عنده، حتى لو كان متميز فيها.

التفرد جه من حاجات تانية خالص، زى إنه كان ب يفصل تمامًا بين إعادة صياغة مادة صحفية، وكتابة مقال شخصى، كتير من أساتذة الديسك لما يكتبوا، تحس إنه ديسك ب يكتب، ب معنى إنه الانضباط سابق الإبداع ب مسافات، والمنطق سادد طريق الإحساس، إنما داوود كان مختلف، ومقالاته أشبه ب قصايد وقطع أدبية، مازلت أحتفظ ب بعض فقراتها وأستعيدها زى ما ب أستعيد الشعر.

ل ذلك ما اندهشتش ساعتها لما عرفت إنه داوود شاعر، وقريت له دواوين كانت حدث، ونقطة فارقة فى مسار الشعر الحديث «فى تقديرى» وبعيدًا عن التقييم الأدبى الخاضع ل الذائقة، ف داوود من القليلين اللى فضلوا مؤمنين ب الشعر ومخلصين ليه، ومنتجين، فى ظل توقف عشرات وربما مئات الشعراء ل إنه الجو العام مش ب يحتفى ب الشعر، قد ما ب يهتم ب الرواية والكتابة الصحفية وما إلى ذلك.

لكن برضه، مش هو دا اللى ب أستدعيه لما أفكر فى اسم إبراهيم داوود، إنما فيه تأثير كبير له على، لما خلانى أشوف نموذج ل المثقف اللى مش ب يهتم يبدو مثقفًا.

مثلًا مثلًا، كان عيب جدًا إنه المثقف يهتم ب كرة القدم، أو يكتب عنها، أو يجيب سيرتها، أو يبين إنه مشجع ليها، لكن داوود من أوائل الناس اللى اتكلموا عن تهافت الفكرة دى، مش انطلاقًا من أهمية كرة القدم، ولا ل إن ليها دور أو حجم أو أى حاجة، إنما من باب إنك ما تكونش إنت، إذا ب تحب شأن ومهتم بيه، وعندك تعلق، ف ليه ك فرد وك جماعة وك مجتمع تحرم نفسك من التعامل مع هذا الشأن، تحت أى دعاوى، ليه ما تكتشفش نفسك؟ ليه؟

مش بس كرة القدم، لكن حاجات كتيرة، زى تعلقه ب عالم مقرئى القرآن، هو اللى نبهنى وأنا فى بدايات حياتى ل كنوز التلاوة والتجويد من مصطفى إسماعيل ل المنشاوى ل الطبلاوى ل ل ل، كمان الاعتناء ب عالم الأغنية، اللى كان كتير من المثقفين على أيامنا ب يستنكفوا الظهور ك مهتمين ب ما يجرى على الساحة الغنائية وتحليله.

أذكر إنه داوود كان له مقال عن عماد بعرور، ودا مطرب ظهر وانتشر ب أغنية العنب العنب، وعلى قد ما المقال نفسه كان ساحر والرؤية بصيرة، ف كان مدهش جرأة واحد من المثقفين رفيعى المستوى إنه يكتب عن مطرب زى دا، أنا شخصيًا، وأنا كنت على قدى خالص، كان صعب جدًا أعمل كدا.

داوود راجل عايش ل البنى آدم اللى جواه، تفاعل، وقدم وأنتج، واعترض ووافق وراح وجه، إنما المهم إنك فى كل دا ب تشوف «الإنسان»، الإنسان اللى ما يهموش إنه يقدم حاجة مهمة، قد ما يهمه يقدم نفسه، ف تطلع كل حاجة ب يقدمها، مهمة.

داوود من القليلين اللى فضلوا مؤمنين ب الشعر ومخلصين ليه ومنتجين

حرف

الدستور الثقافى

إصدار إلكترونى يصدر عن مؤسسة «الدستور» للطباعة والنشر

03

4 سبتمبر 2024
1 ربيع الأول 1446
29 مسرى 1740

الأربعاء

المستشار الفنى: عيد رحيل

مدير التحرير: محمود الشهاوى
الإخراج الفنى: محمد جلال فراج
سكرتير التحرير: بيجاد سلامة
الديسك: كرم منصور
التصحيح: وائل فصيح
مدير الإنتاج: رائف درويش

قصة عمرها 67 عامًا تستحق أن نرويها الآن من جديد

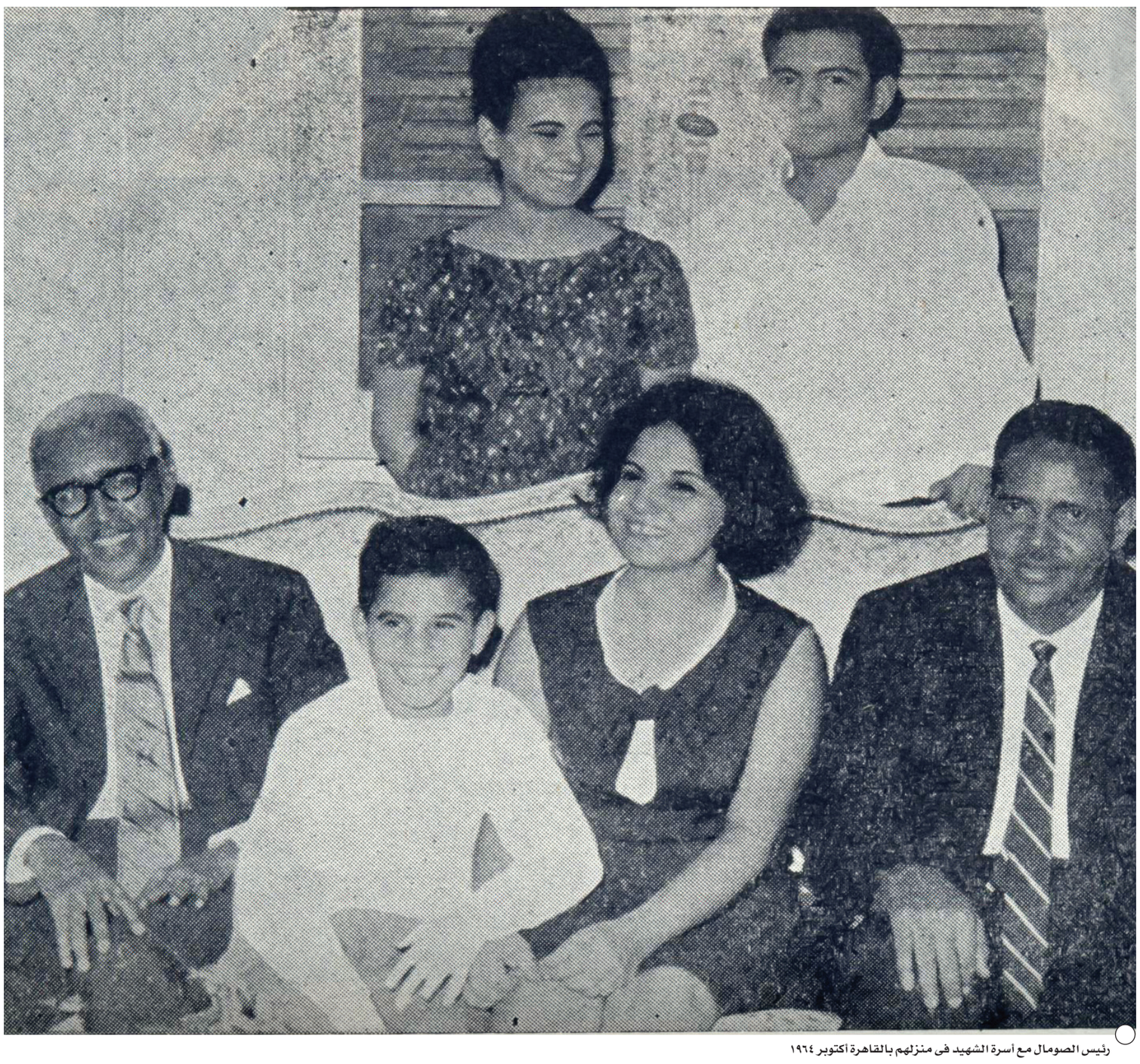

رئيس الصومال مع أسرة الشهيد فى منزلهم بالقاهرة أكتوبر ١٩٦٤

كمال الدين صلاح

الأسطورة المنسية

محمد الباز

كمال الدين صلاح.. الدبلوماسى المصرى الذى حرر الصومال بدمه

ليست المرة الأولى.. ولن تكون الأخيرة.
العنوان الذى يمكن أن يلخص الحالة جميعها هو «مصر فى الصومال».
لا فرق بين ما جرى فى العام 1957.. وما يجرى فى العام 2024.
لم تهدأ فضائيات العالم ووكالات أنبائه بعد توقيع اتفاق الدفاع المشترك بين مصر والصومال، والذى جاء مشفوعًا بتصريح الرئيس عبدالفتاح السيسى بأن مصر ترفض أى تدخل فى شئون الصومال.
فى منتصف أغسطس 2024 كان الرئيس الصومالى حسن شيخ محمود يقف إلى جوار الرئيس عبدالفتاح السيسى بعد أن عقدا جلسة مباحثات ثنائية، كان عنوانها العريض بحث تعزيز أطر التعاون الثنائى وتطورات الأوضاع الإقليمية.
لم تكن هذه المباحثات جديدة، أتت استكمالًا لمباحثات سابقة جرت فى يناير 2024 والتى كان هدفها التأكيد على قوة العلاقات التاريخية بين مصر والصومال وتدعيمها على مختلف الأصعدة.
الرئاسة المصرية أكدت فى بيان رسمى أن الرئيس أكد موقف مصر الداعم لوحدة وسيادة الصومال على أراضيه والرافض لأى تدخل فى شئونه.
كان لا بد لهذا التصريح من ترجمة عملية على الأرض، فتم إطلاق خط طيران مباشر بين القاهرة ومقديشو وافتتاح السفارة المصرية بالعاصمة الصومالية، وتوقيع بروتوكول تعاون عسكرى بين الدولتين.
على هامش هذه المباحثات كشف الرئيس السيسى أن مصر ستتولى فى أكتوبر 2024 رئاسة مجلس السلم والأمن الإفريقى، وبحلول نهاية العام 2024 سيتم تجديد بعثة حفظ السلام فى الصومال، وأشار الرئيس إلى أن الأمر سيكون متروكًا للدولة المضيفة، فإذا رغب الصومال أن تكون القوات المصرية موجودة سيحدث ذلك، وإذا لم يرغب ستظل العلاقات الأخوية بين الجانبين.
بعد أسبوعين من هذه التصريحات الواضحة التى لا تقبل لبسًا ولا تأويلًا، وصلت معدات ووفود عسكرية مصرية إلى الصومال تمهيدًا لمشاركة مصر فى قوات حفظ السلام فى العاصمة مقديشو.
سفير الصومال لدى القاهرة أكد أن مصر هى أولى الدول التى تنشر قوات لدعم الجيش الصومالى بعد انسحاب قوات الاتحاد الإفريقى الانتقالية، وهو الانسحاب الذى سيتم بحلول يناير 2025.
ولأن المريب يكاد يقول خذونى، أعلنت إثيوبيا عن قلقها من الوجود العسكرى المصرى على أرض الصومال، رغم أنه لا مصر ولا الصومال تحدثا عن شىء يخص أديس أبابا، فالأمر كله ينصرف إلى دعم الصومال والحفاظ على استقلاليته، بالمشاركة فى قوات حفظ السلام، فليس فى الوجود العسكرى المصرى شىء غير عادى، وليس المقصود به إلا دعم الصومال والحفاظ على سيادته.
كان رد الفعل الإثيوبى غريبًا وغير منضبط، ولفت انتباهى أحد المحللين السياسيين الإثيوبيين الذى تساءل عبر إحدى الفضائيات عما جاء بمصر إلى الصومال فى هذا التوقيت؟ وما الذى تريده من وجودها العسكرى بها؟
لم أنصت إلى ما قاله المحلل الإثيوبى، تركته فى غيه يهيم على وجهه، فهو يرسم صورة غير صحيحة لما يحدث على الأرض، ثم يبنى عليها مواقف غير منضبطة، وعدت بذاكرتى إلى أكثر من عشرين عامًا عندما وقع فى يدى لأول مرة كتاب «مؤامرة فى إفريقيا» لكاتبنا الكبير أحمد بهاء الدين.
من على سور جامعة القاهرة التقطت نسخة الكتاب التى كانت على وشك التمزق، اسم أحمد بهاء الدين كان كافيًا، العنوان غامض، يمكن أن يجذبك باعتباره مثيرًا، ويمكن أن ينفرك باعتباره دعائيًا.
فتحت الكتاب قبل أن أتحرك مودعًا بائع الكتب القديمة، لأجد المدخل مختلفًا.
بدأ بهاء كتابه هكذا: كان مندوب مصر فى مجلس الأمم المتحدة بالصومال يعبر الشارع أمام بيته فى العاصمة «مقديشو» وفجأة هجم عليه من الوراء رجل فى يده سكين طويل طعنه فى ظهره، وظل يطعنه إلى أن سقط مضرجًا بدمائه، وتمكن بعض الذين رأوا الحادث من القبض على القاتل، أما مندوب مصر فقد كانت لديه بقية من قوة، مد بها يده إلى الوراء، وانتزع السكين المغروس فى ظهره، ولكنهم عندما وصلوا به إلى المستشفى.. كان قد أسلم الروح.
كان أحمد بهاء الدين يتحدث عن كمال الدين صلاح، الشهيد المصرى الذى ارتقى إلى ربه من على أرض الصومال، كان هناك ممثلًا للأمم المتحدة ضمن المجموعة التى ذهبت إلى هناك لإعداد شعب الصومال للاستقلال.
جرت وقائع هذه الحادثة الدرامية تحديدًا فى 16 إبريل 1957.
لم يتعامل بهاء الدين مع اغتيال كمال الدين صلاح على أنه قضية قتل عادية من القضايا التى تقع كل يوم، فقد كان صلاح هو الرجل الثانى الذى استشهد وهو ينفذ رسالة الأمم المتحدة، الأول هو الكونت «برنادوت» وقد قتلته إسرائيل، والثانى هو كمال الدين صلاح، وتساءل بهاء عمن قتله؟
ثم بدأ فى رحلة بحث عن الرجل وعن نهايته.
يقول بهاء: كان هذا هو السؤال الذى يتردد على لسان كل مصرى، وكل مهتم بسياسة مصر ومستقبل إفريقيا، ولم أكن أقل من الآخرين اهتمامًا بالعثور على إجابة هذا السؤال.
أما كيف حصل بهاء على إجابة السؤال؟
فقد كانت هناك قصة طويلة.

إحدى حفلات التأبين

رئيس الصومال يستقبل أسرة الشهيد محمد كمال الدين صلاح فى أبريل ١٩٦٢

الأسطورة المنسية

جنود إيطاليون يغادرون من نابولى فى إيطاليا متوجهيون إلى الصومال عام ١٩٤٨

كان من عادة كمال الدين صلاح أن يدون مذكراته وخواطره، وأن يحتفظ بها لنفسه، وقد ترك وراءه كمية هائلة من الأوراق الخاصة والمسودات وقصاصات الصحف والخطابات التى كان يبعث بها إلى زوجته وإلى أصدقائه المقربين.

حصل بهاء على كل هذه الأوراق، وقرر أن يكتب منها القصة كاملة.

ففى إبريل ١٩٥٤ كان كمال الدين صلاح يعمل كقنصل لمصر فى مرسيليا عندما تلقى قرار الحكومة بنقله إلى الصومال، ولم يكن هناك تمثيل سياسى لمصر فى تلك البلاد، ولكن مجلس الوصاية فى الأمم المتحدة كان قد شكل لجنة ثلاثية من مصر وكولومبيا والفلبين، مهمتها أن تقيم فى الصومال الموضوع تحت الوصاية، وأن تراقب عملية نقل الصومال من مرحلة الوصاية إلى مرحلة الاستقلال.

اعتقد كمال أنه سيجد عملًا هادئًا فى ذلك الركن الهادئ من العالم، فقد كان حظه قبل ذلك عاصفًا على الدوام، لا يذهب إلى بلد إلا وهو يجتاز مرحلة خطيرة مضطربة من حياته.

فقد بدأ حياته الدبلوماسية فى القدس فى العام ١٩٣٦ والثورة الفلسطينية ضد الاحتلال الإنجليزى الإسرائيلى فى أعلى مراحلها، ثم نقل إلى اليابان، عندما كانت الحرب اليابانية الصينية هى مشكلة العالم الأول، ومن اليابان ذهب إلى بيروت، إذ كانت الحرب العالمية الثانية قائمة، وجيوش حكومة فيشى تحتل لبنان وجيوش إنجلترا وفرنسا تتهيأ لغزوها، والمجاهدون العرب يفرون من قبضة الإنجليز فى العراق وفلسطين وإيران إلى بيروت التى كادت أن تغلق كالمصيدة عليه.

ساعد كمال الدين هؤلاء اللاجئين حتى طلب لورد» كيلرن» من حكومة مصر أن تسحبه من لبنان بسبب نشاطه فسحبته، وأعادته إلى القاهرة حتى أشرفت الحرب على نهايتها، وصدر قرار بنقله إلى سان فرانسيسكو التى اختيرت لمحاولة وضع أول ميثاق للأمم المتحدة بعد الحرب، وفجأة وقع حادث اغتيال رئيس الوزراء أحمد ماهر، واعتقل قريبه وصديقه فتحى رضوان، وذهب صلاح ليسأل عنه ويزوره، فألقوا القبض عليه من باب الاشتباه، فتشوا بيته ووضعوه فى السجن يومًا وليلة، قبل أن تتبين حكومة النقراشى خطأ ما فعلت، فأطلقت سراحه.

ومن سان فرانسيسكو إلى اليونان ليشهد هناك الحرب الأهلية بين الحكومة والشيوعيين، ومن اليونان يصل إلى عمان ليشارك فى الحرب الأولى بين العرب وإسرائيل، ثم إلى تشيكوسلوفاكيا ليحضر فترة الانقلاب الشيوعى هناك، ثم إلى دمشق ليشهد أعصب أيام حكم الشيشيكلى واصطدامه بالشعب السورى ثم يأخذ هدنة فى استكهولم حتى قامت الثورة فى مصر فى العام ١٩٥٢.

نقلت حكومة الثورة كمال الدين صلاح إلى مرسيليا قنصلًا لمصر فى العام ١٩٥٣، وكانت مرسيليا وقتها مركزًا هامًا من مراكز الثوار الجزائريين، وكان الفرنسيون يراقبون كل مصرى رسمى أو غير رسمى خشية أن يكون ممن يقدمون مساعدات للثوار، وكان لا بد أن يصطدم بهم كمال الدين صلاح لهذا السبب أكثر من مرة.

ترك صلاح وراءه كل هذا الشريط من المتاعب معتقدًا أنه سيركن إلى الراحة فى الصومال، لكن ما جرى أنه لم تكن هناك أي راحة.

كان الصومال تحت نظام الوصاية.

فعندما انعقد مؤتمر سان فرانسيسكو لوضع ميثاق الأمم المتحدة ولد مبدأ عالمى جديد هو أن الشعوب المستعمرة والمتخلفة مسئولية من مسئوليات المجتمع الدولى كله، وأن العلاقة بين الدولة المستعمرة والدولة الخاضعة للاستعمار ليست علاقة خاصة بينهما، إنما هى علاقة عامة من حق الأمم المتحدة ومن واجبها كممثلة للمجتمع الدولى أن تتدخل فيها.

تم الاتفاق على تقسيم البلاد غير المستقلة إلى نوعين:

الأول هو المستعمرات بوجه عام. والثانى هو المستعمرات التى كانت خاضعة لنظام الانتداب قبل الحرب والمستعمرات التى كانت تستعمرها دول الأعداء، أى ألمانيا أو إيطاليا أو اليابان.

وكان النوع الثانى هو الذى تقرر وضعه تحت الوصاية، وبهذا القرار أشرفت الأمم المتحدة على إدارة الأقاليم المشمولة بالوصاية، وكان من بينها الصومال، من خلال تكوين جهاز خاص من أجهزتها يتفرغ لهذه المهمة، على أن تتلقى تقريرًا سنويًا من هذا الجهاز، وتقوم بفحص العرائض التى يتقدم بها البلد المشمول بالوصاية، وترسل بعثات دورية تزور هذه الأقاليم، بهدف محدد هو إعداد الشعب الموضوع تحت الوصاية للاستقلال الكامل طبقًا لمعاهدة محددة.

كان الصومال وعدد سكانه وقتها مليون و٣٠٠ ألف نسمة تحت وصاية إيطاليا، وكان من الطبيعى ألا تسلم الدولة الوصية سريعًا بضرورة إنهاء وصايتها أو الإسراع بإعداد الإقليم التابع لها للاستقلال.

وهنا جرت مناورات عديدة.

ركب كمال الدين صلاح طائرته إلى مقديشو، وكان أن وقع فى حب الشعب الصومالى، كما وقع شعب الصومال فى حبه.

لم يشعر أنه غريب، فقد كان حفيد المصريين الذين ذهبوا إلى الصومال منذ أربعة آلاف سنة للتجارة.

أدرك الصوماليون قيمة وحقيقة كمال الدين صلاح، فهو وإن كان يمثل الأمم المتحدة، لكنه من دينهم ومن جنسهم ومن قارتهم، فاطمأنوا إليه وفتحوا قلوبهم له واعتبروه واحدًا منهم، يقاسمهم حياتهم ومستقبلهم ومشاكلهم، فقد وجدوا فيه مصر البلد الإفريقي الذى استطاع أن يتحرر وأن يستقل ويصبح دولة مرموقة متحضرة، فهو صورة معبرة عن الأمل المفتوح أمام الإفريقيين جميعًا.

فى رسالته الأولى التى كتبها كمال الدين صلاح إلى عائلته، يقول: قمت بجولة فى أنحاء الصومال دامت أسبوعين، قطعت خلالها ثلاثة آلاف ميل بسيارة جيب، اجتزت خلالها أراضى صحراوية وغابات استوائية ومناطق زراعية ومراع، لقد اختلطت خلال هذه الرحلة بالأهالى، وتحدثت معهم، صليت إلى جوارهم فى المساجد، وخطبت فيهم شارحًا وضع بلادهم والدور الذى يجب أن يقوموا به ليحققوا استقلالهم، والدور الذى تقوم به الأمم المتحدة لمساعدتهم.

ويضيف صلاح: الناس هنا فى فقر شديد، كثيرون منهم يعيشون على الفطرة كيوم هبط جدنا آدم إلى الأرض وعشرات الألوف فى الغابات والمراعى شبه عرايا ليس على أبدانهم سوى ما يستر عوراتهم ويأكلون مما يحصلون عليه من صيد الغابة وألبان الإبل والأبقار والأغنام وفى المناطق الصحراوية والمراعى يبيت الناس فى العراء، وقد يكون لسلطان القبيلة أو زعمائها أكواخ من القش وفروع الأشجار، حتى العاصمة نفسها نجد أن أحياء الوطنيين فيها فقيرة كئيبة، ورغم مساحات الأرض الواسعة الصالحة للزراعة، فإن أغلبية الناس منصرفون عن الزراعة، فهم لا يعرفون طرقها ويعجزون عن مجاراة الإيطاليين الذين يزرعون المناطق القريبة من النهرين بالآلات الحديثة.

ويستكمل كمال الدين صلاح رسم صورة ما رآه، يقول: هؤلاء الفقراء الذين يسكنون العراء ويأكلون من صيد الغابات يتقدمون فى فهمهم السياسى والقومى بشكل عجيب، ففى أقصى الغابات نجد واحدًا عنده «راديو بطارية» يسمع منه الآخرون نشرات الأخبار، لقد وجدتهم يعرفون أخبار مصر معرفة دقيقة، إنهم يتابعون معاهدة الجلاء، والحلف العراقى التركى، وسفر جمال عبدالناصر إلى مؤتمر باندونج الذى يتكون من الشعوب الآسيوية والإفريقية، إنهم يتعلقون بمصر تعلقًا شديدًا وينتظرون منها أن تساعدهم.

بعد وصول كمال الدين صلاح بشهور أرسلت هيئة الأمم المتحدة بعثة من رجالها إلى الصومال، كانت مكونة من ثلاثة رئيس نيوزيلندى وعضو أمريكى وعضو هندى اسمه مستر «جايبال».

فى إحدى الليالى سأل النيوزيلندى مستر جايبال: أين سيسهر الليلة؟

فقال له: سأتعشى عند مندوب مصر.

تغير وجه النيوزيلندى وقال إنه يلاحظ توثق العلاقات بينه وبين كمال الدين صلاح وتتعدد مقابلاتهما.

فرد عليه جايبال قائلًا: إننى أتآمر مع صديقى المصرى على تصفية ما تبقى من الإمبراطورية البريطانية.

وفى إحدى الجلسات سأل العضو الأمريكى كمال الدين صلاح: هل هناك نشاط شيوعى فى الصومال؟

فرد عليه صلاح: هناك وعى واضح بين الأهالى يتطور بسرعة نحو المطالبة بحقهم فى أن يعيشوا فى بلادهم كآدميين، أما إذا استمر الوضع كما هو الآن بأن يظل الإيطاليون الذين توطنوا منذ العهد الفاشستى هم المسيطرون على أفضل مناطق الزراعة، وهم المالكون للصناعات القليلة القائمة، وهم المحتكرون للأسواق التجارية فإن هذا لن يؤدى إلا إلى وقوع الانفجار ذات يوم.

فى أوائل العام ١٩٥٥ فوجئ الجميع ببيان مشترك من الحكومتين الإنجليزية والحبشية تعلنان فيه أنهما اتفقتا على أن انجلترا ستسلم المنطقة التى كانت باقية تحت يدها من «الأجاوادين» إلى الحبشة، على أن تبقى الإدارة الإنجليزية هناك فى الوقت الحاضر، وكان معنى هذا أن الأرض التى كانت إنجلترا مؤتمنة عليها فى الصومال قد سلمتها إلى الحبشة دون أن تأخذ رأى الحكومة الإيطالية ولا الزعماء الصوماليين، وثار الرأى العام فى الصومال، وأرسل الزعماء برقيات استنكار إلى كل من اعتقدوا أنهم قد ينجدونهم، إلى الحكومة البريطانية وإلى الأمم المتحدة وإلى الجامعة العربية.

يروى كمال الدين صلاح فى مذكراته ما جرى.

يقول: عدت من إجازتى يوم الخميس، فوجدت رؤساء الأحزاب السياسية ينتظرون وصولى، قالوا لى إنهم قرروا القيام بمظاهرة كبرى لاستنكار الاتفاقية الإنجليزية الحبشية، وسألونى رأيى: هل أؤيد الفكرة أم أعارضها؟ وطلبت منهم أن أؤجل رأيى إلى الغد حتى أدرس الموقف وأعرف مختلف وجهات النظر، خصوصًا وجهة نظر الإدارة الإيطالية ودوائر الأمم المتحدة.

تبين لكمال الدين صلاح أن الإدارة الإيطالية تبارك هذه المظاهرة سرًا، فنفوس الإيطاليين تطيب أن يروا الشعور العام فى هذه البلاد ثائرًا ضد بريطانيا التى صفت إمبراطوريتهم وطردتهم من إفريقيا.

يقول صلاح: وفى أوساط الأمم المتحدة فهمت أنه قد ترامى إلى سمعهم أن هناك بعض عناصر ستنتهز فرصة المظاهرة للاعتداء على المتاجر بالسلب والنهب، وسيكون الخاسر هم أهل الصومال، إذ سيكون لذلك رد فعل سيئ فى الأمم المتحدة، إذ يمكن الادعاء بأن الصوماليين غير أهل للاستقلال وحكم بأنفسهم، ومن مصادر أخرى فهمت أن القنصل البريطانى بذل جهودًا كبيرة لمنع هذه المظاهرة، وحاول أن يشترى الناس بالمال، فلما فشل فى ذلك وتأكد أن المظاهرة سوف تقوم لا محالة، بدأ يصرف مبالغ كبيرة لبعض العناصر كى تقوم بإحداث شغب ولو بالاعتداء على القنصلية البريطانية نفسها.

أحمد بهاء الدين

> الصوماليون اطمأنوا إليه وفتحوا قلوبهم له واعتبروه واحدًا منهم يقاسمهم حياتهم ومستقبلهم ومشاكلهم

فى اليوم التالى قابل الزعماء الصوماليون صلاح، فقال لهم إنه لا يعترض على قيام المظاهرة الصامتة، لكنه نبههم إلى النتائج السيئة التى قد تنجم عنها من شغب أو عدوان، ونصحهم بضرورة وجودهم بأشخاصهم فى المظاهرة هم والأعضاء البارزون من أحزابهم لإرشاد الناس وتوجيههم.

قامت المظاهرة، ولما وصلت إلى مكتب الأمم المتحدة لتقديم احتجاجها، هنأهم كمال الدين على المثل الطيب الذى يضربه الشعب الصومالى على النظام والتضامن والروح الوطنية العالية والقدرة على ضبط النفس.

أصبح كمال الدين صلاح محل ثقة طوائف الصوماليين جميعًا، فجعلوا منه مستشارهم الأول فى كل شىء، وكانت الإدارة الإيطالية تعرف ذلك، فلجأت إليه أكثر من مرة.

زاره الدكتور «بنادر يللى» مدير الشئون الداخلية وأخبره أن لديه معلومات عن قيام المحاربين الصوماليين القدماء باضطرابات فى العاصمة، يستدعون فيها زملاءهم من الأقاليم للاشتراك معهم فى ذلك، وطلب منه أن يتدخل لديهم للعدول عن هذه الاضطرابات، لأنها ستعطى فكرة سيئة عن عدم الاستقرار فى الصومال فى الوقت الذى ستصل فيه بعثة من البنك الدولى لمعرفة ما يمكن تقديمه من العون المالى للصومال.

تواصل كمال الدين صلاح مع المحاربين القدماء فوجد أن من بينهم من يريدون القيام بأعمال عنف، وعرف أن القنصل البريطانى هو الذى يحرضهم، وأقنعهم بأنهم لو استعملوا العنف فسوف يحصلون على مطالبهم، لكن صلاح أقنعهم بتأجيل المظاهرات شهرًا كاملًا، وبالفعل عندما قامت المظاهرات كانت هادئة بعد أن هدأت النفوس، وكان السبب ما اقترحه كمال الدين كحل دائم لمشاكل المحاربين القدماء وهو أن يتملكوا مزارع تعاونية.

لعب صلاح دورًا كبيرًا فى طمأنة المستثمرين الذين قصدوا أرض الصومال.

نقرأ فى مذكراته بتاريخ فبراير ١٩٥٥ قوله: جاء مستر آدم، مدير شركة سنكلير الأمريكية للبترول فى زيارة قصيرة لمقديشو، وزارنى فى مكتبى بالأمم المتحدة، وسألنى عما يتردد من إشاعات عن المصير المظلم لرءوس الأموال الأجنبية والخسائر التى ستتعرض لها الشركات والأفراد الأجانب عندما يعود حكم هذه البلاد إلى أهلها فى ١٩٦٠، تسود موجات من التطرف الوطنى مصدرها كراهية كل ما هو أوروبى أو أجنبى.

قال له صلاح: أستطيع أن أؤكد بحكم اتصالاتى الدائمة الوثيقة مع زعماء هذه البلاد وأهلها، ومعرفتى بحقيقة نواياهم أنهم لا يضمرون أى شر نحو الأجانب أو المؤسسات الأجنبية، بل إنهم على العكس سوف يعملون على تقديم كل الضمانات الممكنة لتشجيعهم على الاستمرار فى توظيف رءوس أموالهم فى البلاد لاستثمار خيراتها، لأن هذا يتفق مع مصالح البلاد.

لم يتوقف كمال الدين عند هذا الحد، بل أضاف: إننى يمكن أن أعطيك باسم زعماء هذه البلاد تأكيدًا قويًا بأن ممتلكات شركات سنكلير ومصالحها فى الصومال ستلقى كل الحماية والرعاية عندما يصير حكم الصومال فى يد أبنائه، والمهم فى الأمر هو أنه على الشركات من جانبها أن ترعى حقوق البلاد وتحترمها.

رد آدم على كمال الدين بقوله: لقد ارتحت كثيرًا لما سمعته منك، وتأكيداتك لى مطمئنة وهى أكبر ربح حصلت عليه من زيارتى الصومال، وأنا أفهم

شغل منصب مندوب مصر فى مجلس الأمم المتحدة بالصومال.. وذهب إلى هناك لإعداد الشعب الصومالى للاستقلال

استشهد بعد أن طعنه رجل بـ«سكين طويل» فى ظهره وهو يعبر الشارع أمام بيته فى العاصمة الصومالية مقديشو

الأسطورة المنسية

طلاب كلية البوليس الصوماليين مع جنرال إيطالى فى روما ٢٠ يناير ١٩٥٤

مدى مكانة مصر عند أهالى هذه البلاد.

جمع كمال الدين صلاح مسئولى الشركة الأمريكية وجميع الأحزاب الصومالية على غداء فى بيته، وبعد هذا الاجتماع الذى قرّب فيه وجهات النظر بين الطرفين، وجد مدير شركة شنكلر يقول له: أنا أعرف أن نفوذ ممثل مصر قوى فى الصومال، وأرجو أن تكون صديقًا للشركة ومعينًا لها، سواء لدى الأهالى أو أمام هيئات الأمم المتحدة.

فأجابه صلاح: أنا صديق للشركة على شرط أن تبقى حقوق الشعب الصومالى مصونة ومعترفًا بها.

وفى نوفمبر ١٩٥٦ أصدر الحاكم الإدارى الإيطالى للصومال مرسومًا بإنشاء وكالة للتنمية الاقتصادية، وهى عبارة عن هيئة مستقلة لها شخصيتها القانونية، تستمد اعتماداتها من الإدارة الإيطالية ومن أى جهات مالية أخرى.

فى مذكراته كتب كمال الدين صلاح معبرًا عما جرى بعدها، يقول: يظهر أن وكالة التنمية الاقتصادية هذه قد أنشئت بناء على مشورة الخبراء الأمريكيين، على أن تكون هى الوسيلة التى تسيطر بها أمريكا على توجيه اقتصاد الصومال ومستقبله، ولم يمض إلا بعض الوقت على إنشائها حتى أعلن عن انضمام الولايات المتحدة إليها ممثلة فى إدارة النقطة الرابعة، وقد بحثنا مرسوم إنشاء هذه الوكالة فى المجلس الاستشارى للأمم المتحدة، وتبين لى من مناقشتى الدكتور جاسبارى ممثل الإدارة الإيطالية أن هذه الوكالة هى صاحبة الكلمة الأخيرة فى إقرار أو رفض أى مشروع اقتصادى يعرض عليها، وأن موافقة اللجنة الوزارية التى أنشئت لبحث المشروعات الضرورية للتقدم الاقتصادى وإحالتها إلى الوكالة لا تقدم ولا تؤخر فى الأمر شيئًا.

بعد ذلك وقف كمال الدين صلاح فى لجنة الأمم المتحدة يعارض بشدة فى طريقة تكوين وكالة التنمية الاقتصادية وفى اختصاصاتها، وطالب بوجود إشراك الصوماليين فى تكوينها حتى يكون لهم نصيب فعال فى إقرار أى مشروع يعرض للبحث، وقال إنه لا يجوز بأى حال إخضاع نمو البلاد الاقتصادى لتحكم الأجانب مهما كانوا خبراء أو فنيين، حتى ولو كانوا يمثلون الجهات المتبرعة بالأموال، وإلا أدى ذلك إلى فرض سيطرة سياسية على الصومال، وأخذ المجلس برأى كمال الدين، وأرسل كتابًا إلى الحاكم الإدارى بذلك.

ويرصد كمال الدين صلاح أطراف الصراع حول الصومال، فيذكر إنجلترا وفرنسا وإيطاليا وأمريكا، لكنه يتوقف عند إثيوبيا التى كانت تتصارع هى الأخرى ليكون لها موطئ قدم فى الصومال.

فطبقًا لما رصده أن الصومال له جارة أكبر وأقوى وهى إثيوبيا، وقد كان المفروض أن يجد الصومال فى جارته الإفريقية نصيرًا ومساعدًا له، كان المفروض أن يجد فيها جدارًا يسند ظهره إليها إذا تكاثر عليه الطامعون، ولكن الظروف السياسية مع الأسف جعلت من هذه الجارة مصدرًا آخر للخطر على الصومال، وطامعًا آخر يشترك فى الصراع الدائر فى هذا البلد الصغير.

من بين خذلان إثيوبيا للصومال أن لأديس أبابا مطامع إقليمية فى مقديشو.

فعندما انتصرت القوات الإنجليزية سنة ١٩٤١ على القوات الإيطالية وطردتها من الصومال والحبشة على السواء، بقيت هناك حتى عاد الإمبراطور «هيلاسيلاسى» إلى عاصمته أديس أبابا، فانسحبت إنجلترا من إثيوبيا وبقى الصومال حتى سنة ١٩٥٠ عندما تقرر وضعه تحت وصاية إيطاليا، وقبل أن تنسحب إنجلترا من الصومال، قامت برسم خط حدود بين الصومال وإثيوبيا، وصفته بأنه خط مؤقت، وبمقتضاه انتزعت منطقة «أوجادين» من الصومال وأعطتها لإثيوبيا، ومن ذلك الوقت خلقت إنجلترا أزمة حدود بين الصومال وإثيوبيا، ومن ذلك الوقت وكل المباحثات التى تجرى لتسويتها تفشل، وإثيوبيا بالذات ليست متلهفة على الوصول إلى حل، ف«الأجاودين» على أى حال فى يدها، وكل يوم يمر يثبت أقدامها هناك.

وفى سنة ١٩٥٥ فوجئ الصومال باتفاقية سرية تعقد بين إنجلترا وإثيوبيا تعطيها بمقتضاها مناطق أخرى صومالية كانت تحت الإدارة الإنجليزية، ومن ذلك الوقت ثار الصوماليون على إثيوبيا، وأصبحوا يعادونها ويشكون فى نواياها كما يعادون الإنجليز ويشكون فى نواياهم.

وعندما نوقشت قضية الحدود بين الصومال وإثيوبيا أمام لجنة الوصاية فى الأمم المتحدة، ظهر دور أمريكا واضحًا، ويكشف كمال الدين صلاح الأمر بوضوح:

كان رفيق عشى مندوب سوريا قد تقدم بمشروع قرار خاص بمشكلة الحدود يوصى فيه بتعيين وسيط فى حالة فشل المفاوضات بين إيطاليا وإثيوبيا لتسوية الحدود بينها وبين الصومال، وقد نشط الوفد الأمريكى فى الاتصال بوفود الدول للتصويت ضد مشروع القرار السورى.

تواصل كمال الدين صلاح ورفيق عشى بالوفود للحصول على تأييدها، وقد عاونهما فى ذلك مندوبو الهند وسلفادور وهايتى، وكان يتزعم الحملة على مشروع القرار مستر «مولكاهى» عضو الوفد الأمريكى الذى يعتبر مستشار وزارة الخارجية الأمريكية فى شئون شرق ووسط إفريقيا الإستوائية، وذلك لسابق خدمته فى إريتريا، ولما كانت الولايات المتحدة قد بدأت تبدى اهتمامًا واضحًا بهذه المناطق، واتخذت من إثيوبيا مركزًا لمباشرة نشاطها وتنفيذ سياستها الإفريقية فقد كان من المنطقى أن يعارض الوفد الأمريكى فى مجلس الوصاية فى أى إجراء فيه تعريض أو إحراج للحبشة.

وفى أثناء مناقشة خاصة بين كمال الدين ومستر مولكاهى ذكر الأخير أن مشروع القرار السورى سيكون له رد فعل سيئ فى الحبشة، لأنه مقدم من دولة إسلامية، والأحباش يشعرون أنهم جزيرة مسيحية فى بحر إسلامى، ويشعرون بالأخطار التى تهدد كيانهم من كل جانب.

ويبدو أن الفقرة الأخيرة من كلام المندوب الأمريكى كانت فلتة لسان، فقد حاول بعد ذلك أن يفسرها بمعنى آخر، وأن يقول إن هذا تفكيره الشخصى، فأجابه كمال الدين بأنه لا مبرر لمثل هذا الشعور أو التفكير، وأن الاعتقادات الدينية وحدها ليست أساسًا تبنى عليه تصرفات الدول، ثم إن رفض مشروع القرار السورى معناه بقاء مشكلة الحدود معلقة مع ما يؤدى إليه ذلك من متاعب وعدم استقرار فى هذه المنطقة.

وافق المجلس على الاقتراح السورى.

وبذكاء وفطنة يتوقف أحمد بهاء الدين عند فقرة مهمة فى كلام المندوب الأمريكى عن شعور الحبشة بالأخطار التى تتهددها من كل جانب.

ويتساءل: ما هى الأخطار التى تتهدد الحبشة من كل جانب؟

ويجيب: إن كل الدول المحيطة بها إما مستعمرات، أو دولًا مستقلة أقل منها قوة، ولم يعرف أحد أن هناك دولة واحدة فى هذه المنطقة لها مطامع فى أى مكان على الأرض، إنها كلها شعوب تريد أولا أن تستقل أو أن تحل مشاكلها الداخلية، ثم إن اثيوبيا فى منطقة بعيدة عن التوتر الدولى والحرب الباردة، فهى نموذج للبلد الذى لا تتهدده أى أخطار.

ويرصد كمال الدين صلاح تعامل الصوماليين مع ضابط الاتصال الحبشى، يقول فى مذكراته: قابله الصوماليون بنفور شديد وإعراض تام عن الاتصال به، فأخذ يتقرب من الأهالى محاولًا كسب مودتهم، وقد واظب على الجلوس فى فناء الفندق الذى ينزل فيه، وبدأ يتلطف مع القادمين، ويقدم القهوة أو الشراب لمن يجلس معه أو حتى لمن يجلس على مائدة قريبة منه، يريد بذلك أن يغرى الكثيرين ممن يريدون تناول أى شىء دون دفع ثمنه أن يجلسوا معه أو حوله لتبدو الدائرة المحيطة به كبيرة، على أن هذه الطريقة لم تستمر طويلًا.

فقد حدث يومًا أن أقبل أحد الشبان وهو مدرس فى مدارس الإدارة الإيطالية على الفندق فدعاه إلى الجلوس معه- فلما شاهد من بين الجالسين مع المبعوث الحبشى السيد عبدى نور زعيم حزب «دجل ومرفلة»، وكان المبعوث الحبشى قد رآه فدعاه إلى الجلوس معه، ثار الشاب واندفع نحوهم ووجه إليهم عبارات تهديد عنيفة بصوت مرتفع، وكان نائب حاكم مقديشو موجودًا فى الفندق فى ذلك الوقت فأسرع إلى التدخل، وأخذ المدرس الثائر إلى البوليس.

ومن بين ما رصده كمال الدين صلاح من أمر المبعوث الحبشى قوله: يقوم بالحملة على مصر وعلى الشعوب العربية كلها صراحة وعلانية، مع جميع من يتصل بهم من الصوماليين.

قضى كمال الدين صلاح فى الصومال ما يقرب من ثلاثة أعوام، تمكن فيها من القيام بدور أقل ما يمكننا وصفه بأنه أسطورى.

فإلى جانب دوره فى تهيئة الصومال إلى الاستقلال، لعب دورًا كبيرًا فى الحفاظ على هويته، وقاوم انسلاخه من ثقافته، فقد وقف ضد رغبة المحتلين الذين جلبوا معهم المبشرين الذين يدعون إلى المسيحية، وتعليم اللغات الأجنبية وإحياء اللهجات المحلية، وجلب المدرسين المصريين وعلماء الأزهر الذين أنشأوا المدارس الأهلية، وأرسل طلابًا إلى القاهرة وبعض البلاد العربية لتعليمهم فى الجامعات، ووقف ضد مؤامرات السفارة الإيطالية فى القاهرة التى حاولت إبعاد الطلبة الصوماليين عن مصر وإرسالهم إلى أوروبا.

وأعتقد أن الصوماليين أحبوا كمال الدين صلاح لأنه كان يحافظ على كرامتهم، وذلك من خلال وقوفه ضد أمور قد تبدو بسيطة لكنها تحمل دلالات خطيرة جدًا، منها مثلًا تخصيص شباك بريد للصوماليين والعرب، ورفضه منح الحاكم العسكرى للصومال بقشيشًا لضابط صومالى فى حفل ترقيته، معتبرًا أن البقشيش إهانة ولا يعطى إلا للخدم.

كل ذلك جعل كمال الدين صلاح غير مرغوب فيه من الجميع، وهو ما يجعلنا نصل مع أحمد بهاء الدين إلى الظروف التى أدت إلى اغتيال كمال الدين صلاح.

سأل كمال نفسه وهو وسط هذا الصراع العميق عما يجب أن يفعله؟

ووصل إلى قناعة أنه لا بد أن يؤدى واجبه نحو الأمم المتحدة التى يمثلها ويمثل رسالتها الإنسانية فى هذه البلاد، ثم واجبه نحو هذا الشعب الباسل الصغير، ثم واجبه نحو قارته إفريقيا، ونحو بلده مصر، ونحو كل الشعوب المستضعفة فى العالم.

يقول بهاء: لم يبدأ كمال الدين صلاح بمعاداة أحد، ولكنّ أداءه لواجبه كان لا بد أن يجلب له صداقات وعداوات مختلفة، ومع ذلك لا نجد فى أدائه لواجبه تزمتًا ولا تعسفًا، إنما نرى سماحة، ورحابة صدر، وسعة أفق، ورغبة فى التعاون، بشرط ألا يجعله هذا يتخلى عن مصلحة حقيقية لشعب الصومال أو عن مبدأ أساسى من مبادئ الأمم المتحدة.

كانت الأدوار التى قام بها كمال الدين صلاح لصالح الشعب الصومالى سببًا فى أن تجمع كل الأطراف على ضرورة إخراجه من الصومال، كان التخلص من وجود مصر فى هذه المنطقة من إفريقيا هو الرغبة التى يتلاقى عندها الجميع، إنجليز وفرنسيين وأمريكيين وإيطاليين وأحباشًا، وشمر كمال الدين صلاح عن ساعده ليخوض هذه المعركة، وكان ثمنها فى النهاية حياته.

حاولوا تشويهه بكل الطرق، شنت عليه صحف الدول المتصارعة هجومًا طاغيًا، وضعوا فى طريقه العراقيل.

فى خطاب منه إلى زوجته يقول: إن بعض المسئولين هنا يتعمدون مضايقتى والإساءة إلى حتى تصبح إقامتى فى الصومال غير محتملة، وحتى يضطرونى إلى الرحيل بأى شكل».

وفى خطاب آخر يقول لها: يظهر أن الإنجليز وحلفاءهم لا يهدأ لهم بال، ويداومون على تدبير المكائد لنا، وقد أصبح واضحًا أنهم يريدون التخلص منى شخصيًا.

لكنه لم يستسلم، فقرروا التخلص منه.

فى ١٦ إبريل ١٩٥٧ وقبل سفر كمال الدين حسين إلى نيويورك بثلاثة أيام هجم شاب صومالى بسكين عليه وظل يطعنه حتى سقط على الأرض مضرجًا بدمائه.

كان القاتل- وكما جاء فى أوراق التحقيقات- هو محمد شيخ عثمان، شاب فى حوالى الثلاثين من العمر، طالب فى إحدى البعثات الصومالية بمصر خلال سنتى ١٩٥٣ و١٩٥٤، ولكن طباعه الشاذة جعلت زملاءه أعضاء البعثة يضيقون به، ويسعون لإعادته إلى بلاده، بل إنهم أرسلوه بصحبة قنصل إيطاليا فى مصر إلى أحد الأطباء النفسيين الإيطاليين فى مصر، فوصفه هذا الطبيب بأنه ذو نفسية سريعة التحول، ثم انتهى الأمر إلى إلغاء بعثته وإعادته إلى الصومال.

كان القاتل عضوًا فى حزب «دجل ومرفلة»، وفى أول تحقيق أجرته النيابة معه اعترف بأنه كان فى بلدته «بيضوا» عندما أرسل إليه أحد تجار البلدة واسمه الحاج محمد عمر المخرومى، وقال له إنه كان فى العاصمة مقديشو، وإن عبدالقادر آدن سكرتير عام حزب «دجل ومرفلة» طلب منه أن يخبره بأن يذهب إلى العاصمة فورًا ويقابله لأنه يريده فى أمر شديد الأهمية.

ترك محمد شيخ عثمان بلدته وسافر إلى العاصمة يوم ١٠ أبريل، وفى يوم ١٤ أبريل التقى عبدالقادر آدن سكرتير عام حزب «دجل ومرفلة» وعبدالله مرسل نائب الحزب وصحبه الاثنان فى سيارة عبدالقادر آدن وانطلقا يتحدثان معه.

قالا له: لقد دعوناك من أجل مصلحة عليا للحزب، فنحن نريد أن تتحول الصومال إلى اتحاد فيدرالى بين ولايات، ما يعزز شأن النظام القبلى، ولكن كمال الدين صلاح يؤيد حزب وحدة الشباب الذى يريد دولة واحدة مستقلة، فلابد من محو كمال الدين هذا من الوجود، إذ طالما هو موجود فى الصومال لا يمكن أن يتم مشروع الاتحاد الفيدرالى، ولا بد أن يتم التخلص منه بسرعة، قبل أن يسافر فى نهاية الشهر إلى نيويورك، حيث سيمثل المجلس الاستشارى أمام مجلس الوصاية بالأمم المتحدة أثناء مناقشة الحدود بين الصومال والحبشة، ثم طلبا منه صراحة أن يقوم هو باغتيال كمال الدين.

عاد القاتل فعدل عن أقواله، وقال إن أحدًا لم يحرضه، وإنه ارتكب الجريمة بمفرده، ثم عاد فعدل عن عدوله هذا، ورجع إلى أقواله الأولى واتهام النائبين.

يقول بهاء الدين: إن هناك شكوكًا كثيرة تحيط بالموضوع، فالسيدة أمينة صلاح زوجة الشهيد كمال الدين صلاح لا تصدق اتهامهما، فقد كانا من أعز أصدقاء زوجها، وهذان النائبان كانا من أشد معارضى الإدارة الإيطالية.. فهل كان هناك تواطؤ وتلفيق فى القضية؟

فالجندى الواقف أمام باب القنصلية المصرية لم يتحرك لإنقاذ كمال الدين، ولم يتحرك للقبض على القاتل، وكانت العادة أن يتغير جندى الحراسة كل يوم، ولكن هذا الجندى بالذات لم يتغير طوال الأيام الثلاثة التى سبقت وقوع الجريمة، والتى كان القاتل قد وصل إلى العاصمة فيها، وبدأ يستعد لانتهاز فرصة يرتكب فيها جريمته، وحالة الطوارئ أعلنت لسبب غير مفهوم صباح يوم ارتكاب الجريمة أى قبل وقوعها بساعات.

حكمت المحكمة بالأشغال الشاقة المؤبدة على القاتل وبراءة النائبين.

ويسأل بهاء الدين: من هو المسئول عن قتل كمال الدين صلاح؟

ويجيب فى ختام كتابه: لا يهمنا كثيرًا أن نقف عند تحقيق النيابة، أو أن نتابع جلسات المحكمة، لنعرف من الذى قتل كمال الدين صلاح، إن الذى قتله أكبر من الشاب الأسمر، وأكبر من النائبين اللذين قال القاتل إنهما حرضاه، وأكبر من الذين أعطوه النقود، لقد راح كمال الدين ضحية استراتيجية عالمية واسعة.. والذى قتله هو الاستعمار فى إفريقيا.

أعلام إيطاليا والصومال والأمم المتحدة

رصد مبكرًا أطماع إثيوبيا وصراعاتها من أجل أن يكون لها موطئ قدم فى الصومال

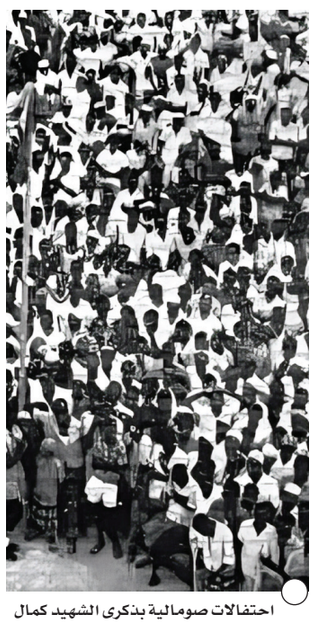
احتفالات صومالية بذكرى الشهيد كمال الدين صلاح

منع القيام بأعمال عنف يستغلها المستعمرون.. ولعب دورًا كبيرًا فى طمأنة المستثمرين الذين قصدوا أرض الصومال

قاتله هو شاب فى حوالى الثلاثين من العمر وكان طالبًا فى إحدى البعثات الصومالية بمصر خلال سنتى 1953 و1954

بوداود عميّر:

تتعدد اهتمامات الكاتب الجزائرى بوداود عميّر، بين الترجمات والكتابة السردية القصصية، خاصة القصة القصيرة جدًا المعروفة أيضًا بـ«الومضة القصصية»، التى يرى أنها ستكون البديل الإبداعى فى عصر السرعة والثورة الرقمية. وشدد «عميّر»، فى حواره مع «حرف»، على أهمية «كتاب ألف ليلة وليلة»، ليس فى الشرق فحسب، بل على مستوى العالم كله، حتى أنه «لو كانت هناك 5 كتب ألهمت البشرية، حتمًا سيكون من بينها هذا الكتاب». وتحدث المترجم والقاص الجزائرى عن الشاعرة صافية كتو، التى أقدمت على الانتحار إثر «العشرية السوداء» فى الجزائر، التى حصدت العديد من المبدعين والمثقفين هناك، ليأتى انتحارها كرفض احتجاجى، وكيف كانت مأساتها مُلهمة لمواطنها الروائى واسينى الأعرج، فى روايته «سيّدة المقام». كما تحدث عن الرحّالة السويسرية إيزابيل إيبرهارت، حيث خصص جزءًا كبيرًا من وقته وعمله فى تقصى سيرتها الذاتية، ورحلتها الفريدة فى الجزائر، مبينًا كيف كان لرائد المسرح المصرى يعقوب صنوع دور فى تعلمها اللغة العربية وتعلقها بالثقافة العربية والإسلامية.

نضال ممدوح

«الومضة القصصية» البديل الإبداعى فى عصر السرعة

■ تتنوع أعمالك المنشورة بين الترجمة والكتابة وأغلبها ينتمى إلى فن القصة.. لماذا اخترت فنًا لا يتهافت عليه القراء؟

– دعينى أولًا أن أعبر لك عن امتنانى بوجودى ضيفًا على صفحات مجلة «حرف» الثقافية الإلكترونية، التى صرتُ حريصًا على قراءتها كل أسبوع، منذ أن اكتشفت مصادفة أحد الأعداد، وبه تحقيق إعلامى شامل لفت انتباهى، لجرأته وحججه المنطقية وأدلته الموثقة، أنجز بناءً على بحث وتنقيب دقيق فى أرشيف الصحف والمجلات، كان قد كتبه الإعلامى القدير محمد الباز، عن كتاب شهير لأنيس منصور، أو «الظاهرة» كما وصفه.

وعندما كتبت عن ذلك على صفحتى فى «فيسبوك»، لفت المقال انتباه الجميع، وأثار نقاشًا واسعًا. كما نالت المجلة ترحيب الجميع، ليس فقط لتنوّع موادها الثقافية وثرائها، ولغة كتابتها التى تقف بمنأى عن اللغة الأكاديمية، ولكن أيضًا فى إخراجها وتصميمها، لتثبت «حرف» بتجربتها الرائدة، أنه بإمكان المجلة الثقافية الإلكترونية أن تكون بديلًا حقيقيًا للمجلة الورقية، التى تعرف اليوم تراجعًا كبيرًا، إن لم أقل «انتكاسة» حقيقية، فى مشهدنا الإعلامى والثقافى العربى.

أعود إلى سؤالك عن القصة القصيرة جدًا، التى كأننى عثرت على ضالتى الإبداعية فيها، بعد أن أخفقت محاولتى فى الكتابة الشعرية والرواية، لأكتب العديد من القصص القصيرة جدًا، التى أتيح لها النشر فى الصحف والمجلات والمواقع الالكترونية فى الجزائر والعالم العربى.

القصة القصيرة جدًا، أو «ق.ق.ج» كما تُختصر، هى نوع أدبى برز حديثًا، وأتاحت انتشاره مواقع التواصل الاجتماعى، بما تتمتع به من خاصيات التكثيف والإيجاز والمفارقة، وبالطبع القُصر. لذا سرعان ما نشرت معظم نصوصى فى هذا الإطار، ضمن مجموعتين قصصيتين، الأولى «صوب البحر» الصادرة فى الجزائر عام ٢٠١٦، و«نزق» الصادرة فى فرنسا عام ٢٠٢٣.

وأتصوّر أن القصة القصيرة جدًا أو الومضة ستكون البديل الإبداعى، فى عصر السرعة والثورة الرقمية، وفى ظل تراجع المقروئية، ما عدا الرواية، فالزمن بات «زمن الرواية» بتعبير الكاتب الراحل جابر عصفور.

■ عبر حسابك فى «فيسبوك» أشرت إلى أن «ألف ليلة وليلة» ما زالت «ملهمة البشرية»، فإلى أى مدى يمتد أثرها فى الأدب العربى والغربى؟

– قلت بالتحديد: إن كانت هناك ٥ كتب أدبية فى تاريخ الأدب العالمى، أثّرت وأدهشت وألهمت البشرية، سيكون كتاب «ألف ليلة وليلة» بينها حتمًا، منذ أن ترجمه المستشرق الفرنسى أنطوان غالون إلى اللغة الفرنسية، فى عام ١٧٠٤.

فبعد هذا التاريخ توالت الترجمات العالمية، وتعددت طبعات الكتاب بملايين النسخ، إلى جانب مئات المسلسلات والأفلام وأعمال الرسوم المتحركة عبر العالم، مقتبسة من هذا الكتاب العظيم، الذى أصبح يُهدى فى المناسبات والأعياد فى الغرب، على شكل كتاب فاخر.

يخبرنا أنيس منصور فى كتابه المثير: «فى صالون العقاد كانت لنا أيام»، أنه التقى الكاتب الإنجليزى المعروف سومرست موم، صاحب كتاب «روائيون عظام ورواياتهم»، المُترجَم إلى اللغة العربية، أثناء زيارته مدينة القاهرة، فسأله إن كان يعرف شيئًا عن الأدب المصرى والعربى عمومًا، إن كان قد قرأ لعباس محمود العقاد مثلًا، لكنه أجاب بالنفى. كذلك لم يقرأ لطه حسين ولا محمود تيمور ولا توفيق الحكيم، رغم أن كتبهم مترجمة إلى عشرات اللغات. سأله: «ماذا قرأت باللغة العربية إذن؟»، فأجابه: «قرأت ترجمة لكتاب: ألف ليلة وليلة».

■ ترجمت للرحالة السويسرية إيزابيل إيبرهارت مجموعة قصصية بعنوان «يا سمينة»؟ ما الذى قادك للكتابة عن هذه الشخصية؟

– لعل الفضول هو الذى قادنى فى البدء نحو التعرف على شخصية إيزابيل إيبرهارت، فعلى بُعد أمتار من منزلى فى مدينة «العين الصفراء» بالجنوب الغربى الجزائرى، تقع مقبرة المسلمين القديمة، حيث يوجد قبر «إيزابيل» باعتبارها ماتت مسلمة.

من هنا انطلقت رحلة بحثى عن حياتها وكتاباتها ورحلاتها، كنت أتصورها قصيرة كقصر حياتها، تنتهى بمجرد إرضاء جزء من فضولى. لكننى وجدت نفسى أمام شخصية متفردة حافلة بالألغاز، تحرض على الغوص فى أسرارها كإنسانة وكصحفية ورحالة.

وقتها كان يدور فى خلدى سؤال كبير: كيف استطاعت هذه المرأة الأوروبية أن تترك مسقط رأسها مدينة جنيف السويسرية، بهدوئها وجمالها، وحيث تعيش فى كنف عائلة ميسورة الحال، لتنتقل فجأة، وفى عز شبابها، صوب الصحراء الجزائرية، تجوبها من أقاصى الشرق إلى أقاصى الغرب على متن حصان؟!

هاجسها المركزى فى البدء كان محاولة اكتشاف عالم آخر، لكن سرعان ما انتهى بها الأمر متورطة فى مواجهة قضايا إنسانية ترتبط بمظاهر الظلم والاستبداد الذى مارسه المستعمر الفرنسى فى حق الجزائريين.

ورغم صغر سنها «توفيت عن عمر يناهز ٢٧ سنة»، تمكّنت إيزابيل إيبرهارت من إنجاز العديد من الأعمال الأدبية المتميزة فى القصة والمقالة الصحفية والرحلات، وتميزت نصوصها خاصة بعنصر المزج بين التحقيق الصحفى والسرد التوثيقى، لتصبح بمثابة شهادات حية، تحيط بتفاصيل الوضع الاجتماعى للجزائريين فى هذه الفترة، حتى توفيت فى بلدة «العين الصفراء» بالجزائر، بعد أن جرفها واديها، فى أكتوبر ١٩٠٤.

و«إيزابيل» بمثابة حلقة وصل بين الشرق والغرب، وليس غريبًا أن تصدر عن حياتها ومنجزها عشرات الكتب، فى فرنسا وإيطاليا وأوروبا، إلى جانب أفلام سينمائية وأشرطة وثائقية. كما اختارها الأديب المصرى محمود قاسم كأول شخصية عالمية، ضمن قائمة الشخصيات الأدبية والتاريخية فى العالم التى دافعت عن الإسلام، فى كتابه «الإسلام والمسلمون فى الأدب العالمى».

■ هل صحيح أن يعقوب صنوع وراء اعتناق إيزابيل إيبرهارت الإسلام وتعلمها اللغة العربية؟

– كان لرجل المسرح المصرى يعقوب صنوع، المعروف باسم «أبونظارة»، الأثر الحاسم على إيزابيل إيبرهارت فى تعلم اللغة العربية، والتعلق بالثقافة العربية الإسلامية، بعدما أطلعها على كنوز الأدب العربى، ولقنها اللغة العربية، خلال المراسلات التى جمعت بينهما لمدة تقترب من ٣ سنوات.

تقول الكاتبة الفرانكو جزائرية سيمون رزوق عن هذه العلاقة: «كان أبونظارة المراسل ثم الصديق الحميم لإيزابيل إيبرهارت. كان يستقبلها عندما تأتى إلى باريس، وكان يساعدها ماليًا عندما كانت تحتاج إلى المساعدة».

«إيزابيل» من جهتها، اعترفت بأفضال الرجل عليها، ودوره الكبير فى تحديد تفكيرها ومسار وعيها. ففى رسالة موجهة منها إلى يعقوب صنوع، أوردتها إيدموند شارل رو، الكاتبة الفرنسية الكبيرة التى أصدرت ٣ كتب ضخمة عن سيرة وأعمال «إيزابيل»، تقول: «لقد كنت واحدًا من الرجال القلائل الذين شجعونى نحو الإقبال على العلوم والدراسات الشرقية، الغالية على قلبى، لن أنسى ذلك، وسأبقى دائمًا ابنتك المثقفة التى تحترمك وتقدّرك حق التقدير، أتمنى أن أثبت لك ذلك ذات يوم، إن شاء الله».

■ تصطبغ رحلات الرحالة الغربيين للشرق بمسحة استخباراتية.. فهل كانت «إيبرهارت» تنتمى لهذه النوعية؟

– تعرّضت إيزابيل إيبرهارت أيضًا لهذا الاتهام، لكن جميع من يطلع على كتاباتها سيكتشف أنها كانت تدافع عن السكان الجزائريين زمن الاستعمار، وتفضح ممارسات الاستعمار الفرنسى، وتحرص على الكتابة فى صحيفة «الأخبار» الفرنسية، المعروف عنها خطها الافتتاحى المدافع عن السكان الجزائريين والمعادى للاستبداد.

تزوجت من مسلم جزائرى واعتنقت الإسلام، من خلال انخراطها فى الطريقة الصوفية المعرفة باسم «القادرية». وفى وقتها، كان هناك كُتاب فرنسيون كبار فى الجزائر، مثل موباسان وأندريه جيد، لم يكتبوا شيئًا عن معاناة السكان الجزائريين زمن الاستعمار.

■ إلى أى مدى تسهم وسائل التواصل الاجتماعى فى نشر الوعى الثقافى؟

– أحرص على صفحتى فى «فيسبوك»، منذ التحاقى بهذا الفضاء، على نشر كل ما هو ثقافى مفيد، جزائريًا وعربيًا، وهو ما جعلها تحظى بمتابعة واسعة، ويثنى على مضامينها جميع المتابعين لها.

وبذلك أرفض تصور البعض أن هذا الفضاء وُجد للتفاهة. شعارى فى ذلك «المساهمة بنصيبى»، وهو شعار أحد المفكرين الفرنسيين من أصول جزائرية، بيار رابحى، من خلال قصة أسطورية تقول: «فى يوم من الأيام، اندلع حريق مهول فى الغابة، أصاب الهلع الشديد حيوانات الغابة، والتى قبعت فى مكانها عاجزة أمام هول الكارثة. وحده طائر الكوليبرى الصغير بدا نشطًا، يلتقط قطرات الماء بمنقاره الصغير، ليرميها فوق النار، لم يكل ولم يتعب، وسرعان ما صاح أحد الحيوانات غاضبًا أمام عبث العصفور غير المجدى: ألست مجنونًا يا كوليبرى؟ لن تتمكن أبدًا بهذه القطرات أن تخمد الحريق! فأجاب العصفور: أدرك ذلك جيّدًا، ولكننى أساهم بنصيبى».

■ ما ردك على من يرى المترجم مجرد وسيط بين النص فى لغته الأصلية ومتلقيه.. ومتى يكون المترجم مبدعًا؟ ومتى «يخون النص»؟

– لعل عبارة «الترجمة خيانة» من العبارات الشائعة التى باتت تجرى على ألسنة الجميع، تستخدم جزافًا دون روية أو تبصر، قد يفهم منها تجنيًا أن الترجمة ليست ضرورية ولا طائل يرجى من ورائها، ما دامت تصنف فى خانة «الخيانة».

هذه المقولة يعود أصلها إلى تعبير إيطالى، وتوارت خلف تلاعب لفظى، أوجده تشابه بين كلمتى «الترجمة» و«الخيانة» فى اللغة الايطالية. لكنها تعنى فى الواقع خارج المحسنات اللفظية، كما تشرح فى سياق إطلاقها، أن ترجمة نص من لغة إلى أخرى، لا يمكن أن تتطابق مع نص العمل الأصلى، لذا يفضل قراءة العمل فى نسخته الأصلية، لنكتشفه كما أراده وأبدعه مؤلفه.

والترجمة كفعل ثقافى وحضارى عملية ضرورية لا مناص منها، بوصفها أداة أساسية لنقل العلوم والمعارف، وجسر تواصل بين شعوب العالم، إذ لا يمكن تصور شكل العالم والإنسانية دون ترجمة. وبقدر ما تهتم الأمم بالترجمة من وإلى جميع اللغات، بقدر ما تضمن أسباب تطورها ونهضتها.

■ لك اهتمام ملحوظ بالشاعرة الجزائرية المنتحرة صافية كتو. هل يمكنك أن تُعرف القارئ المصرى بها وبكواليس انتحارها؟

– ترجمتُ للشاعرة والإعلامية الجزائرية الراحلة صافية كتو مجموعتها الشعرية «صديقتى القيثارة»، التى صدرت عن دار «الوطن اليوم»، فى عام ٢٠١٧. اسمها الحقيقى الزهراء رابحى، ولدت فى مدينة جنوبية صغيرة، لم تسع طموحها فى قول الشعر بحرية، لتنتقل إلى الجزائر العاصمة، حيث نجحت كصحفية لامعة، قبل أن تستبد بها لحظات نفسية صعبة.

ألهمت مأساتها العديد من الكتاب والشعراء الجزائريين، من بينهم الكاتب المعروف واسينى الأعرج، من خلال روايته «سيّدة المقام- مراثى الجمعة الحزينة»، التى استحضر فيها مأساتها، عن طريق التلميح رمزيًا لعنصر الفراسة فى تنبؤها للقادم من المحن، من خلال اختيارها الإرادى لنهايتها، قبل أن تحصد آلة الاغتيال الإرهابية رفاقها من الكُتاب والإعلاميين، بعد سنوات قليلة من رحيلها، فيما يسمى «العشرية السوداء»... هى كما كتب «الأعرج» فى روايته «تشبه الكائنات البرية التى تتحسس عمق الأرض، ترقبًا لحدوث زلزال وشيك».

تذكرتها أيضًا الإعلامية والشاعرة اللبنانية جمانة حداد، فى كتابها «سيجىء الموت وتكون له عيناك»، الذى أحصت فيه ١٥٠ شاعرًا حول العالم، وضعوا حدًا لحياتهم خلال القرن العشرين، مثل سيلفيا بلاث وإيميلا روسيلى وتييرى ميتز ومايكوفسكى، إلى جانب مبدعين جزائريين تعرضا لنفس المصير، هما عبدالله بوخالفة وفاروق سميرة.

صافية كتو

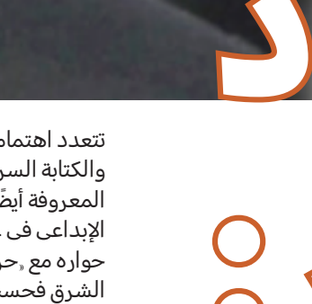

مخلوف عامر

ما العمل الأحدث الذى تشتغل عليه حاليًا؟

– تقريبا أنهيت كتاب «حياة وآثار إيزابيل إيبرهارت»، وهو فى طور المراجعة والتدقيق، وسيتضمن معلومات وتفاصيل جديدة وبعض الصور والوثائق النادرة. كما أشتغل على كتابة عملين فى مجال «البيوغرافيا»، يتناولان حياة وأعمال كل من الشاعرة والإعلامية الراحلة صافية كتو، والباحث والمترجم عبدالباقى مفتاح، فى إطار سلسلة «أعلام الجزائر»، التى تشرف عليها دار النشر الجزائرية «الوطن اليوم»، بعد إنجاز كتابين فى هذا الصدد، صدرا فى عام 2023، الأول عن الباحث والمؤرخ الراحل خليفة بن عمارة، والثانى عن الناقد الجزائرى الكبير مخلوف عامر.

بقدر ما تهتم الأمم بالترجمة بقدر ما تضمن أسباب تطورها ونهضتها

وجدت ضالتى فى «القصة القصيرة جدًا» بعد إخفاقى فى الشعر والرواية

إن كانت هناك 5 كتب ألهمت البشرية حتمًا سيوجد بها «ألف ليلة وليلة»

يعقوب صنوع وراء تعلق إيزابيل إيبرهارت باللغة العربية والثقافة الإسلامية

محمد طرزي: سعادتى مضاعفة لاقتران اسمى بـ«نجيب محفوظ»

والوضع فى لبنان دفعنى لكتابة «ميكروفون كاتم صوت»

قبل نحو عقدين من الزمان، انتقل الكاتب اللبنانى محمد طرزى للإقامة فى دولة موزمبيق، التى صارت مستقرًا له، وهناك، قرب الساحل الشرقى من القارة الإفريقية، انبهر طرزى بالحضور العربى التاريخى فى شرق القارة، فنبش فى هذا المبحث، ومن ثم كتب رواياته التى تتناول هذا التاريخ وتلك الجغرافيا.

أصدر طرزى روايات: «جزر القرنفل.. حكاية الحلم الإفريقى» و«مالیندى» و«إفريقيا.. أناس ليسوا مثلنا»، و «رسالة النور.. رواية عن زمان ابن المقفع».

وقبل أيام أعلنت الجامعة الأمريكية بالقاهرة القائمة القصيرة لجازة نجيب محفوظ العريقة، وكان محمد طرزى واحدًا من بين 6 كتاب مصريين وعرب وجدوا بالقائمة، عن روايته الأحدث «ميكروفون كاتم صوت»، التى صدرت عن الدار العربية للعلوم ناشرون.

فى «ميكروفون كاتم صوت» انتقل طرزى من لونه الروائى الأثير، أى الرواية التاريخية، إلى الرواية الاجتماعية، راسمًا صورة للبنان، فى ظل الظروف الاستثنائية التى يعيشها البلد الشامى صغير المساحة عريق الثقافة.

حول الرواية وألوانها المتنوعة، حول الكتابة والأدب، حول الوطن والغربة، حول نجيب محفوظ و«ميكروفون كاتم صوت» أجرينا هذا الحوار مع محمد طرزى.

أحمد مجدى همام

■ فلنبدأ من الآخر، وصلت روايتك «ميكروفون كاتم صوت» إلى قائمة جائزة نجيب محفوظ، كيف تشعر مع اقتران اسمك بهذا الكاتب المصرى العالمى؟

– قبل الشروع فى كتابة «ميكروفون كاتم صوت»، كنت مترددًا فى الانتقال من الرواية التاريخية إلى الرواية الاجتماعية. استحضرتُ تجربة نجيب محفوظ، إذ بدأ مشروعه الأدبى بالرواية التاريخية، ثم حين تبنى النص الاجتماعى، ذهب عميقًا فى ما هو محلى، وقدمه للعالم نصًا وجدانيًا، يعكس بطريقة إنسانية رهيفة ثقافة الناس العاديين وطريقة عيشهم فى الحارات والأحياء البسيطة. هو الكاتب الذى علمنا أننا لا نحتاج إلى موضوع كبير، كى نكتب نصًا استثنائيًا؛ إذ يكفى أن نراقب الذين يعيشون حولنا، نتلمّس عواطفهم الدفينة، ونقاربها بحس إنسانى صادق. لذلك فإن سعادتى باقتران اسمى بالكاتب الكبير مضاعفة، لأن هذا الاقتران جاء بسبب الرواية التى اهتدت بتجربته.

■ هل يمكن القول إن «ميكروفون كاتم صوت» هى «مرثية روائية للبنان» الذى يمر بواحدة من أقسى الفترات فى تاريخه؟

– أخشى أن تكون كذلك، لكنّ القائمين على النظام السياسى ما فتئوا يفعلون كل شىء حتى يشوهوا صورة لبنان الذى أحبه العالم والعرب. ترد فى الرواية فقرة لعلها تجيب عن سؤالك. إذ بعد أن تُسأل إحدى الشخصيات عن مصير المدينة، تجيب الشخصية بأنها مدينة زائلة بمعنى أن «البحرُ والرملُ والسماء، كلّها أشياء ستبقى، لكن الروح بعد كل هزيمة هى التى تتبدل. وها هى ذى روحها تتبدل الآن أمام حصار الفاسدين وذوى الثقافات الغريبة؛ لم يتصد لهم الناس كما يجب، فلا ضيم أن يعاقبوا بخسارتها».

■ هناك قصة حب مستحيلة بين سلطان وويداد، وهناك المقبرة بمقابل البحر، والوطن مقابل الطائفة.. حدثنا عن لعبة «الأضداد» و«الإسقاطات» فى الرواية.

– لا أميل إلى اعتبار علاقة وداد بسلطان مستحيلة بقدر ما أعدها علاقة مشوهة، فرضتْ إيقاعَها المدينة المشوهة بالصور واللافتات والمكبرات. إنهما شخصيتان فى عمر الشباب، تحاصرهما التناقضات والأضداد؛ فكر أن اليد التى تقول له «ابقَ»، هى اليد نفسها التى تمدّه بالمال حتى يرحل. كل تلك التناقضات أثّرت على طبيعة العلاقة ونقاوتها، فاتخذا قرارات متسرّعة، بل وغير مفهومة، حتى انتهت الحكاية على النحو الدرامى الذى ورد فى النصّ.

تقوم الرواية على لعبة الأضداد، بدءًا من عنوانها، وصولًا إلى آخر تفصيل فيها؛ فسلطان لا يقيم فى قصر، بل فى بيت متواضع مطلّ على مقبرة، يحبّ الكتابة لكنه يدل زائرى الموتى على قبور ذويهم. المومسُ اسمها عفاف، وهى رسامة على طريقتها. أما حسن الآثم، فهو ضمير الرواية. إنها رواية عن الميكروفونات التى تكمم الأفواه، والبحر الذى يبتلع الحالمين بمكان أفضل من المقبرة.

■ يظل الحوار فى الرواية العربية سؤالًا مفتوحًا.. اخترت أن تكون الحوارات بالدارجة اللبنانية. لماذا فضلت الدارجة على ألسنة الشخصيات؟

– هى رواية اجتماعية تعكس حياة الناس وثقافتهم، فمن الطبيعى أن أنقل لهجتهم أيضًا. فلا يمكن تصوّر حفار القبور الأمى يخاطب أصحابه أو أهالى الموتى بالفصحى. يبدو ذلك مجافيًا للحقيقة والواقع، وقد يجرد الرواية من روحها. لم أكتفِ بتفضيل اللهجة الدارجة فى الحوار، بل منحتُ لكل شخصية لهجتها المنسجمة مع الطبقة الاجتماعية التى تنتمى إليها. صحيح أن ذلك لا يبدو جليًا للقارئ العربى، لكن القارئ اللبنانى يلتفت إلى تلك الفوارق البسيطة. حتى إننى اعتمدتُ الحرف اللاتينى، خلال بعض محادثات «واتس آب» الواردة فى الرواية، على اعتبار أنها الطريقة التى يتواصل بها الشباب فى الحيز المكانى للنص. وإذ أخذتُ بعين الاعتبار غرابة بعض التعابير المحلية على القارئ العربى، عمدت إلى إيضاحها بصورة موارية عبر السرد اللاحق، بحيث يتضح معناها بسهولة.

■ هل توافقنى على أن «ميكروفون كاتم صوت»، هى قطعة مغايرة عن أغلب رصيدك الروائى، حيث ركز الكثير من رواياتك السابقة على الحضور التاريخى للعرب فى بعض دول شرق إفريقيا كتنزانيا وكينيا؟

– هى كذلك بطبيعة الحال. فى البدء، أردتُ التخصّص فى الرواية التاريخية، لأننى أحبّ هذا النمط الأدبى. فانكببت منذ البدايات على مطالعة الروايات التاريخية، سواء تلك التى تقارب تاريخ المنطقة أو العالم. اطلعتُ على الأعمال التى تسرد التاريخ بأمانة، وتدرّجت مع تطوّر الأدب التاريخى، وصولًا إلى معالجة الحدث عبر منح الخيال حيزًا أوسع فى النصّ، بغية سدّ الفجوات التى يغفلها المؤرّخون. ما حصل فى لبنان بدءًا من عام ٢٠٢٠، وضعنى أمام حدث تاريخى راهن، فضلًا عن أنه بلدى، والمكان الذى أنتمى إليه ثقافيًا وعاطفيًا. إذ انفجرتْ فى ذلك البلد الجميل كلُّ الأزمات دفعة واحدة؛ تحلّل النظام السياسى، ووقع الإفلاس المالى والاقتصادى، صار الناس يموتون على أبواب المستشفيات، بعدما احتكرت فئة قليلة الدواء المدعوم، وعمدت إلى بيعه فى السوق السوداء؛ العصابات فى كل مكان، فى الكهرباء، فى الإنترنت، فى المقالع والكسارات، فى المصارف والأملاك البحرية. ثم تفشّى فيروس كورونا، وانفجر المرفأ فى الناس، مزيلًا الواجهة البحرية للعاصمة، فى ظل غياب مطلق لأى مساءلة قضائية أو سياسية. سُرقت ضرائب المواطنين، قبل أموالهم المودعة فى المصارف، فزاد الناس فقرًا، واغتنى الزعماء وحاشيتهم. أمام هذا المشهد الدرامى، لم يكن بوسعى إشاحة الوجه عن المأساة، وأواصل مشروعى الأدبى القائم على التاريخ، كأن شيئًا لم يحصل.

■ بالعودة إلى أعمالك السابقة، لماذا اخترت ملف «الحضور العربى فى إفريقيا» ليكون محل بحثك روائيًا؟

– وصلتُ إلى موزمبيق منذ ١٨ عامًا، لم يكن لدى أى فكرة عن عمق الحضور العربى التاريخى فى شرق إفريقيا. هناك تعرفت إلى مواطنين من أصول عربية؛ عمانية ويمنية تحديدًا. ما كانوا يتكلمون العربية، لكنهم على دراية وافية بتاريخ أجدادهم الذين عبروا من الجزيرة العربية إلى القارة السوداء. أثار التاريخُ العربىُ فى شرق إفريقيا فضولى، فانكببت على قراءة كل ما له علاقة بتلك المرحلة. ثم حصل أن اطلعتُ على روايات الكاتب الجنوب إفريقى ويلبور سميث، هى أعمال فى التخيّل التاريخى، عن شرق إفريقيا، ولكن من منظور عائلة أوروبية. هكذا ولدت فكرة الكتابة عن شرق إفريقيا، من منظور عربى. للمفارقة، بينما كان هناك عشرات الأعمال الأدبية عن الأندلس، لم يكن قد كتب حتى ذلك الوقت أىُّ رواية عن عرب الشرق الإفريقى. بدأتُ رحلتى مع جزر القرنفل، وهى عن زنجبار القرن الـ١٩، خلال حكم السلطان سعيد بن سلطان. فازت الرواية بجائزة غسان كنفانى، وحققت انتشارًا مقبولًا. ما شجعنى على مواصلة «حكاية الحلم الإفريقى»، فكانت مالیندى، وعروس القمر، بالإضافة إلى رواية إفريقيا.

■ هل فكرت يومًا أن تكتب بالبرتغالية التى تتقنها بفضل سنوات طويلة قضيتها فى موزمبيق؟

– نكتب الأدب باللغة الأقرب إلينا، وهى عادة ما تكون اللغة الأم. حتى إنك تجد مترجمين يتقنون أكثر من لغة، ومع ذلك، حين يترجمون نصًا أدبيًا، يفضّلون الترجمة إلى اللغة الأمّ، وليس العكس. اللغة الأم تتماهى مع مشاعرنا الأولى، تُجبل بها، حتى يستحيل فصلها عن ذاتنا الحقيقية بعد ذلك. المفردات والتعابير، مهما كانت غنية لدى الكاتب تبقى جوفاء إن لم تشحن بمشاعره الأصلية. ثمّ إننى تعلمتُ البرتغالية فى الـ٢٣ من عمرى، وفى سياق العمل التجارى، لذلك أعرف اللغة ولكنى لا أملك مفاتيحها الفنية. درَستُ الاقتصادَ بالبرتغالية، ولكن أنّى عالم الأرقام من عالم الأدب.

■ كيف أثر وجودك فى البلدان الإفريقية على مسيرتك ككاتب؟

– أثّرت إفريقيا على مسيرتى ككاتب، عبر تأثيرها علىّ كإنسان. إذ بعد أكثر من ١٨ سنة من الإقامة فى إفريقيا، تنقلتُ خلالها بين دول مختلفة، منخرطًا فى حياة الناس وتفاصيلهم اليومية، بإمكانى الزعم بأننى إفريقى بقدر ما أنا لبنانى. كلُّ ما كتبته فيه شىء من إفريقيا، حتى إنك تجد فى رواية محليّة «كميكروفون كاتم صوت»، ذكرًا لموزمبيق وللبنانيين هاجروا إلى تلك البلاد البعيدة.

■ بخلاف قائمة جائزة نجيب محفوظ، سبق لبعض رواياتك أن وجدت فى قوائم جوائز، مثل كتارا والشيخ زايد. فى ظنك كيف تضيف الجائزة إلى الكاتب؟ وهل يصح أن نعتبر الجائزة معيارًا دقيقًا على جودة العمل الأدبى؟

– تسلّط الجائزة الضوء على الكتاب، وهذا أمر يحتاجه الكاتب اليوم أكثر من أى وقت مضى، نظرًا لكثرة الإصدارات الأدبية. بهذا المعنى، تساعد الجائزة الكاتب للوصول إلى قراء قد يصعب الوصول إليهم من دون تسليط الضوء على عمله، عبر نيله جائزة مرموقة. كذلك، توفر بعض الجوائز مبالغ نقدية، قد يكون الكاتب فى أمس الحاجة إليها، كى يواصل مشروعه الأدبى.

لا شك أن الفوز بجائزة هو معيار من معايير جودة النص، خاصة إن كانت الجائزة عريقة، تضم لجنتها التحكيمية أعضاء من ذوى الكفاءات، لكنّ ذلك لا يعنى أن عدم الفوز أو حتى عدم الوصول إلى القوائم معيار على النقيض. هناك أعمال لم تصل إلى أى قائمة عربية، لكنها فازت بجوائز عالمية بعد ترجمتها، علمًا أننى لا أعلم إن رُشحت تلك الأعمال للجوائز العربية أم لا. فى السياق نفسه، أقرأ من وقت لآخر نصوصًا أدبية باهرة لا يأتى ذكرها فى القوائم.

■ ستنتقل قريبًا إلى إيطاليا لخوض تجربة إقامة أدبية.. كيف تقيم فكرة «الإقامة الأدبية»؟ وما المستهدف منها وكيف تفيد الكاتب والكتابة؟

– أول تجربة لى فى هذا المجال كانت فى نيويورك، بإشراف مؤسسة آرت أومای الأمريكية، وبمنحة كريمة من دار جامعة حمد بن خليفة القطرية. تعرّفت خلال تلك التجربة على كُتّاب ومترجمين من قارات أربع، بعضهم ذوو تجارب أدبية استثنائية، ما كان بالإمكان الاستفادة منها، من دون الإقامة بينهم، لمدة من الزمن. كذلك شملت أنشطة البرنامج تعريفَ الكُتّاب بدور نشر أمريكية، بغرض التعاون فى ترجمة الأعمال إلى الإنجليزية ونشرها، سواء داخل الولايات المتحدة أو خارجها. أذكر أن مقر الإقامة كان فى ريف ولاية نيويورك، وسط طبيعة خلّابة، ما أتاح لى الكتابة فى هدوء وسكينة.

اليوم أستعدّ للسفر إلى إيطاليا، للمشاركة فى إقامة بُغلْيَاسكو فى جنوة. هذه الإقامة مختلفة بعض الشىء عن سابقتها، فالمشاركون الذين ينتمون لدول وثقافات مختلفة، ليسوا بالضرورة كُتّابًا أو مترجمين هذه المرة، وإنما موسيقيون، ورسامون ومسرحيون ومخرجى أفلام.

> القائمون على النظام السياسى فى لبنان شوّهوا البلد.. وأزعم أننى إفريقى بقدر ما أنا لبنانى

فى ظنك لماذا يحرص الكاتب العربى على إلقاء التحية على القاهرة والوجود فيها؟

– أحبّ مصر والمصريين. لى فيها أصدقاء كثر وذكريات طيبة. زرتها تلبية لأكثر من دعوة ثقافية، وشاركتُ فى معارضها. إن سألتنى عن الكتّاب الذين ألهمونى، ستجدهم مصريين، وعن النقّاد الأساتذة الذين وجّهونى، تجدهم مصريين أيضًا. القاهرة قلب العالم، كل شىء فيها ملهم؛ التاريخ والحاضر وتطلّع ناسها إلى المستقبل، لذلك لا يبدو لى مستغربًا أن الكُتّاب المصريين ما فتئوا يتصدّرون المشهد الثقافى العربى، وأن العديد من الكُتّاب، من غير المصريين، كتبوا أجمل أعمالهم خلال إقامتهم فى مصر.

> فضلت أن تكون الحوارات بالدارجة اللبنانية لأنها رواية اجتماعية تعكس حياة الناس وثقافتهم

> القاهرة قلب العالم.. وكل شىء فيها ملهم سواءً التاريخ والحاضر أو تطلّع ناسها إلى المستقبل

الجغرافيا والتاريخ والفلسفة تجهزنا للحياة وليس فقط سوق العمل

هوارد جاردنـــر

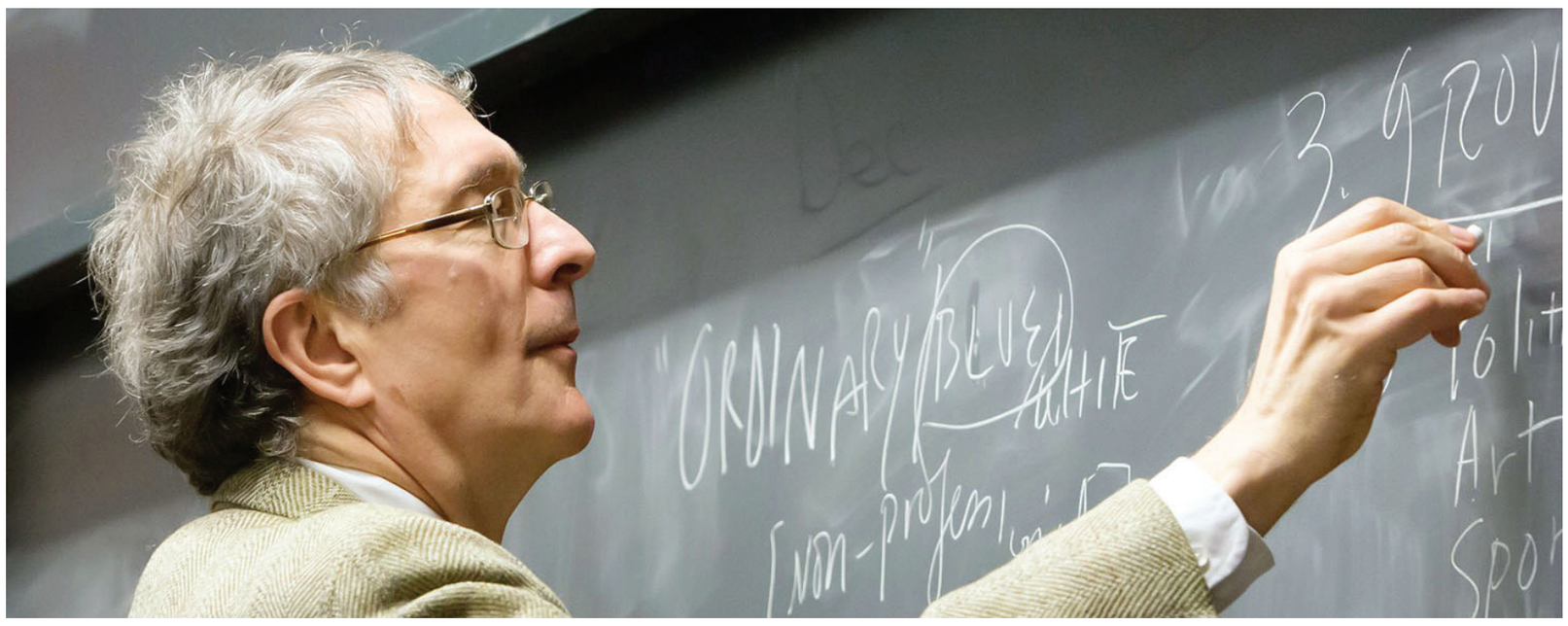

الطفل المصرى الأذكى حتى يدخل المدرسة «ادعاء غبى»

لا صوت يعلو هذا الأيام، ولو شئت فلتقل فى كل الأيام، على التعليم وتطويره، وهو ما زادت حدته بعد الإعلان عن النظام الجديد للتعليم قبل الجامعى، عقب الانتهاء من امتحانات الثانوية العامة، والاستعداد لتطبيقه فى العام الدراسى الجديد، المقرر انطلاقه بعد أسابيع.

وما بين تعليم تقليدى وآخر ذاتى، واستخدام الوسائل الرقمية فى التحصيل والامتحانات، أو الاعتماد على الكتاب الورقى، إضافة إلى الجدل الدائر حول عدد المواد الدراسية فى كل فصل دراسى، وخروج مواد بعينها من «المجموع الكلى»، يمضى ملف تطوير التعليم، أملًا فى الوصول إلى النظام الأفضل.

«حرف» تحاول الوصول إلى رؤية تقترب من هذا النظام الأفضل، خلال حوارها التالى مع البروفيسور هوارد جاردنر، عالم النفس وأستاذ الإدراك والتعلم بجامعة «هارفارد»، صاحب نظرية «الذكاءات المتعددة» أو «Multiple Intelligence»، التى أعادت تعريف مفهوم الذكاء، ووسعت أفق التعليم ليشمل قدرات مختلفة تتجاوز الأطر التقليدية.

«وجاردنر» لمن لا يعرفه أصبح اسمه مرادفًا للابتكار فى التعليم، خاصة بعدما أصدر 30 كتابًا وأكثر من 100 نظرية علمية ومئات المقالات، التى ألهمت مئات المعلمين حول العالم، ووضعتهم على طريق إعادة التفكير فى طرقهم التعليمية ومناهجهم الدراسية.. فماذا قال؟

سماح ممدوح حسن

■ ما الذى يجعل أممًا، لا نبالغ إن قلنا إنها اخترعت العلم، يتدهور حال التعليم بها، حتى صار لا يتعدى كونه مجرد مرحلة يسارع الطلاب لإنهائها على أى حال؟

– يجب على القادة والمسئولين إدراك أهمية وقيمة التعليم، وإتاحة الموارد الكافية لتأمين تعليم جيد. إن لم يفعلوا فسيكون التعليم، أو بالأحرى الحصول على تعليم جيد، هو مسئولية العائلات والطلاب أنفسهم.

■ فى السنوات الأخيرة، أنا ومن فى جيلى، لم نتعلم فى المدارس والجامعات بالقدر الذى تعلمناه بأنفسنا، أو ما نسميه بـ«التعليم الذاتى»، سواء على الإنترنت، أو عبر التدريبات فى أماكن غير الجامعة، لماذا هذا التحول؟

– التعليم الذاتى اختيار جيد، وكثيرًا ما يكون هو الخيار المتاح. لكن دائمًا يحتاج المتعلم إلى أدوات للحصول على هذا التعليم الذاتى، ليستفيد منه بشكل صحيح. ومعظمنا يحتاج أيضًا إلى التوجيه والمهارات، قبل أن نتمكن بشكل كافٍ من مواصلة التعليم بمفردنا.

■ هل حقًا ترتبط جودة التعليم بالرفاهية الاقتصادية؟ وإن كان الأمر كذلك، ما الحل بالنسبة للدول النامية؟

– إذا أردنا أن يكون التعليم فعالًا ويؤدى الفائدة المرجوة منه، فنعم، يحتاج المرء إلى الرفاهية الاقتصادية، ونعم سيكون هناك عدد قليل من الأفراد أو العائلات ممن يستطيعون تعليم وتثقيف أنفسهم بطريقة جيدة. لكن كما ذكرت، الثروة تضمن الحصول على التعليم، لكنها لا تضمن جودته.

■ فى ضوء التطورات الحديثة، هل تعتقد أن النموذج التقليدى للفصل الدراسى ما زال فعالًا؟ وكيف يمكن إعادة تشكيله ليصبح أكثر توافقًا مع احتياجات القرن الـ٢١؟

– أعتقد أن التعليم سيحتاج إلى إعادة تشكيله بالكامل ليناسب القرن الحادى والعشرين. لكن يجب أن نفعل هذا بتمعن وحذر كبيرين. فنحن لا يمكننا ببساطة محو أو التخلص من الأنظمة التى نجحت فى الماضى. من المهم إجراء تجارب بسيطة، ومشاركة ما نجح من هذه التجارب وما لم ينجح، وعرض الأسباب فى الحالتين.

■ هل يجب أن نصوغ لكل بلد وكل خلفية ثقافية طريقة مختلفة للتعليم؟

– أعتقد أن صياغة نظام تعليم خاص لكل خلفية ثقافية هى فكرة غبية، لأن معظم عمليات التعليم، مثل تعلم القراءة والحساب، والتاريخ والعلوم، يجب أن تكون هى نفسها فى جميع أنحاء العالم. أما بالنسبة للتعليم الدينى والسياسى، فهذه قضايا منفصلة، ولا أعتقد أنه ينبغى أن تدرس فى المدارس العامة.

■ هناك من ينادى بإلغاء تدريس العلوم الإنسانية مثل الجغرافيا والتاريخ والفلسفة، بحجة أنها لا تلبى احتياجات سوق العمل اليوم، كيف ترد عليهم؟

– الهدف من التعليم ليس فقط هو إعداد أفراد لسوق العمل، بل هو إعداد بشر للحياة، وهذا يتضمن فهم العالم بكل تعقيداته، والقدرة على المساهمة فى تحسين هذا العالم مستقبلًا، وهذه بالتأكيد أهداف عالمية وخالدة.

■ كيف يمكن تصميم مناهج تعليمية شاملة تلبى احتياجات الطلاب بمختلف مستويات الذكاء والاهتمامات؟

– كنت قد كرست عملى فى مجال التعليم للتعرف على مدى الذكاء البشرى، والتأكد من أن كل شخص فى العالم يستطيع الحصول على تعليم يُمكنه من الاستفادة مما تعلم. وعن هذه الأفكار كتبت معظم أعمالى.

هذا العام ٢٠٢٤، سيصدر لى كتابان جمعت بهما أبحاثى فى هذا الموضوع، عن مطبعة كلية المعلمين فى نيويورك. فى هذين الكتابين سأوجه القراء المهتمين إلى ما وصلت إليه تلك الأبحاث، وربما سيترجم الكتابان أيضًا إلى لغات أخرى.

■ هل يمكن دمج تقنيات التعليم الحديثة، مثل التعلم الرقمى والتعلم الذاتى، مع الأساليب التقليدية، لتحقيق أفضل النتائج؟

– أظن أن هذا هو السؤال الذى لا بد من طرحه. وهذا يعنى أن المعلمين أولًا بحاجة إلى تعلم وفهم التقنيات الجديدة، والتعامل معها بشكل فعال. ومن ناحية أخرى يجب على الطلاب المتعلمين المتعاملين مع هذه التقنية التحلى بالصبر مع معلميهم، واحترام العلوم التى أتقنها أولئك المعلمون سابقًا.

■ كعالِم فى أساليب التعليم، ما أفضل الطرق التى يمكن أن نحسن بها التعليم فى بلادنا؟

– لا أدرى إن كنت على اطلاع بمناهج التعليم وطرق التدريس فى الشرق الأوسط أم لا، لكن يبدو أنها لا تحقق المرجو منها بالقدر والكفاءة المطلوبة. يجب التعلم والاستفادة من التجارب التعليمية الناجحة حول العالم. حاليًا تحقق سنغافورة وفنلندا والدول الإسكندنافية الأخرى أفضل النتائج. كذلك عليهم الاستفادة من عمل منظمة التعاون الاقتصادى والتنمية، التى يقع مقرها الرئيسى فى باريس، من خلال أدواتها ومنشوراتها المختلفة، خاصة برنامجها «Programme for International Student Assessment»، المعروف اختصارًا بـ«PISA»، أو «برنامج تقييم الطلاب الدولى»، وهو المعيار الذهبى فى القياس والإنجاز التعليمى.

■ فى ضوء انتقاداتك للأنظمة التعليمية التقليدية.. كيف ترى مستقبل التعليم؟ وما الذى يجب تغييره؟

– تلك النقطة هى محور كتابى «خمسة عقول للمستقبل»، الذى ناقشت فيه المهارات العقلية الخمس التى ستكون أساسية لتحقيق النجاح فى المستقبل، وكيف أن هذه العقول ستكون ضرورية للتكيف مع التحولات والتحديات المعاصرة، فى عالم يتسم بالتغير السريع.

الخمسة عقول هى: العقل النمطى، والعقل التركيبى، والعقل المبدع، والعقل المحترم، والعقل الأخلاقى. المدارس فى الوقت الحالى مصممة لتطوير «العقل النمطى». لكن يجب عليها محاولة تنمية «العقل الإبداعى» و«العقل التركيبى». أما بالنسبة لـ«العقل المحترم» و«العقل الأخلاقى»، ففى الواقع هذه مهمة العائلات والمجتمع الأوسع، على الرغم من أن المدارس يجب أن تسهم أيضًا.

■ كيف يمكن للتعليم أن يتحول من التركيز على الحفظ والمعلومات إلى التركيز على اكتساب المهارات العملية والقدرات النقدية؟

– أنا متفق على السعى لتحقيق هذا الهدف. لكن إذا لم يتشارك المعلمون والمتعلمون فى السعى لتحقيق هذا الهدف فلن يتحقق. لهذا الهدف بالتحديد ابتكرت جامعة هارفارد «Harvard Project Zero»، أو «مشروع صفر هارفارد»، الذى عملت عليه لأكثر من نصف قرن، وأوصى بالتعرف والاستفادة من نتائجه وتقنياته.

تأسس المشروع عام ١٩٦٧، والهدف الأساسى منه دراسة وتطوير الفهم فى مجالات التعليم والفنون والإبداع، ويركز أكثر على تعزيز الفهم العميق لدى الطلاب، بدلًا من التركيز على الحفظ السطحى للمعلومات، وهو منشور على موقع «pz.harvard.edu».

■ ما المواد الدراسية التى تعتقد أنها لم تعد تلبى احتياجات الطلاب اليوم؟ وما المواد التى يجب إضافتها؟

– لن أنحى أى مواد أو موضوعات راسخة ما لم يظهر أنها غير ضرورية. أما بالنسبة للموضوعات التى يجب إضافتها، فأعتقد أن تدريس وفهم ما يمكن أن تفعله أجهزة الكمبيوتر والأنظمة الحاسوبية، وكيفية عملها، وما لا يمكنها أو لا ينبغى لها فعله، هو أمر حتمى فى القرن الحادى والعشرين.

هل حقًا هناك أنظمة تعليم ومناهج دراسية تقلل من ذكاء الأطفال؟

– أظن أن هذا ادعاء غبى. فقد تتغير دوافع الطالب أو اهتماماته أو إبداعه. لكن لا يوجد أى أساس للادعاء بأن الفطنة أو الذكاء يتضاءل لمجرد أن شخصًا ما يذهب إلى المدرسة!

تطوير التعليم لا يعنى التخلص من أنظمة الماضى الناجحة مثل «الفصل»

صياغة نظام تعليمى خاص لكل بلد وخلفية ثقافية «فكرة غبية»

العالمية والأكثر انتشارًا

هند مختار

عام ١٩٣٩ أُنتج فيلم «ذهب مع الريح» من بطولة كلارك جيبل وفيفيان لى، وهو مأخوذ عن رواية بنفس الاسم للكاتبة الأمريكية مارجريت ميتشيل، ومن خلال أحداث الفيلم يتم استعراض حياة العبيد فى أمريكا، والحرب الأهلية الأمريكية بين الشمال والجنوب لتحرير العبيد، من خلال قصة الحب بين بطلى العمل. فهل الحرب الأهلية الأمريكية فكرة عالمية؟ بالطبع لا، هى فكرة محلية شديدة الخصوصية بالمجتمع الأمريكى، حتى لو كانت تناقش تحرير العبيد، فلكل دولة خصوصيتها فى هذا الشأن.

حين يُقال أو يُسمع تعبير «الفيلم العالمى»، فإن هذا الاستخدام لا يكون مقصودًا به غالبًا سوى الفيلم الأمريكى هوليودى الصناعة. وتعبير «الفيلم العالمى» هنا يكون بناء على انتشاره فى العديد من دور العرض بدول العالم بالتزامن، وأحيانًا تصنف بعض الأفلام التى تحصل على جوائز من مهرجانات دولية بصيغة الفيلم العالمى- على استحياء- خاصة لو كان غير أمريكى.

ويبقى السؤال: هل الانتشار معيار موضوعى للفيلم العالمى، أم هى الجوائز، أم عالمية الفكرة التى تناسب أغلب المجتمعات؟

حقق «ذهب مع الريح» عند عرضه أرباحًا ضخمة، حيث يعد أعلى الأفلام الأمريكية من حيث الإيرادات حتى الآن مع الأخذ فى الحسبان حالة التضخم الاقتصادى.

أيضًا أفلام الغرب الأمريكى فهى أفلام شديدة الخصوصية بين فئات معينة فى مجتمع معين، إذ أنها لا تشبه مجتمعًا آخر.

يطلق على النماذج السابقة وغيرها من النماذج شديدة الخصوصية أفلام عالمية، لمجرد قدرة آلة الدعاية الأمريكية على توزيعها والترويج لها. حتى أن مهرجان الأوسكار وهو مهرجان محلى وليس دوليًا، أصبح هدفا لصناع السينما فى العديد من الدول، ومجرد إعلان جمعية نقاد الفيلم فى مصر، عن أن هناك محاولة لترشح أحد الأفلام للاشتراك فى المهرجان، وأن هذه المشاركة تُعد مكسبًا عالميًا قد تضعنا فى مصاف السينما العالمية، فى حين أنه يجب تجاوز عدة شروط لكى يتم دخول الفيلم فى المسابقة، منها العرض فى دور عرض أمريكية بمدة معينة وغيرها من الشروط.

وإذا كان الحصول على جائزة دولية يجعل الفيلم وصناعه نجومًا عالميين، فماذا يعرف مشاهد السينما العربى عن الجزائرى الأخضر حامينا؛ وهو العربى الوحيد الذى حصل على السعفة الذهبية فى مهرجان «كان»، عن الفيلم الروائى الطويل «أيام الجمر» سنة ١٩٧٥؟ وهل يتم طرح اسم المخرج وأبطال الفيلم كنجوم عالميين، مثلما حدث مع يوسف شاهين سنة ١٩٩٧ حينما حصل على جائزة شرفية عن مجمل أعماله فى المهرجان نفسه، فاعتبرت كل أفلامه عالمية وأنه مخرج عالمى؟

منذ عدة سنوات غزت الدراما الكورية والسينما الكورية العالم، وأصبح فنانوها معشوقى جمهور المراهقين حول العالم، وهناك صراعات تدور بين عشاق كل فئة من هؤلاء الفنانين تملأ مواقع التواصل الاجتماعى، فهل السينما الكورية بخصوصيتها أفلام عالمية؟

التمثيل فى هوليوود والعمل فيها أمنية العديد من الفنانين حول العالم، حيث تحقيق الانتشار الجماهيرى، ولكن الانتشار الجماهيرى لا يعنى بالضرورة أن يكون العمل عالميًا.

أتصور أن العمل السينمائى الذى يجدر بها أن يكون عالميًا، بحاجة إلى فكرة متقاطعة مع المجتمعات، أو تتلاقى معها فى زوايا رئيسية، حتى لو كان هناك قدر من الخصوصية، بمعنى هذا التماس الإنسانى. فعلى سبيل المثال فيلم مثل «أم العروسة»، يتشابه فى موضوعه مع فيلم meet my parents إذ أن كليهما يتحدث عن أعباء الأسرة، ودور الأب فى زواج ابنته والأعباء الملقاة على عاتقه.

«الفيلم العالمى»، تعبير عرفه التصنيف الفنى من خلال الصحافة الفنية، فأصبح جزءًا أصيلًا من تصنيف الأفلام، والفنانين، وهنا نعرج سريعًا إلى ضرورة إدراك المسافة بين الصحافة الفنية، بشكل عام، والرؤى النقدية المتخصصة جدًا، وبالعودة إلى تعبير «الفيلم العالمى»، ففى السينما المصرية أفلام شديدة التميز مثل «أم العروسة»، وكذلك فيلم مثل «عائلة زيزى» وغيرهما، تحمل صبغة عالمية الموضوع ولكننا لا نصنفها على أنها عالمية، لأن انتشارها مقصور على العالم العربى، الذى يعد بالمناسبة سوقًا كبيرة للسينما والأفلام لمجرد أنها رغم تميزها لم تُعرض فى الخارج، أو حصلت على جوائز من مهرجانات دولية.

رجاء لا يغيب

احتفاء بـ90 عامًا على ميلاد رجاء النقاش

يمكنك بسهولة أن تصفه بـ«الموسوعى» و«متعدد المواهب»، فهو الرجل الذى أبحر من ضفة الأدب ونقده حتى صار اسمه مقرونًا بهذا المجال، إلى ضفة الصحافة التى تميز بها وأصبح من أشهر أسطواتها، وصناع التجارب فيها، وبينهما أخذته أمواج الفن وكانت لها من مسيرته نصيب كبير، ليرسو فى النهاية على البر، هو علم لو ذكرته مجردًا لكفى.. اسمه رجاء النقاش.

بين جدران «روزاليوسف» العريقة صاغ هذا الاسم وشكل كقطعة ألماس نادرة، فى نهاية خمسينيات القرن الماضى، ومنها انطلق إلى جريدتى «أخبار اليوم» والأخبار، فى بداية الستينيات، قبل أن يتولى دفة القيادة كرئيس تحرير وإدارة للعديد من الصحف والمجلات، بداية من رئاسة تحرير مجلتى «الهلال» والكواكب، مرورًا برئاسة مجلسى إدارة وتحرير مجلة «الإذاعة والتليفزيون»، ثم رئاسة تحرير مجلة «الشباب» الصادرة عن مؤسسة «الأهرام».

لم يكتفِ بنثر إبداعه فى مصر، وحلق مع الطيور المهاجرة إلى العديد من الدول العربية، لصناعة تجارب ثقافية وصحفية مثلت بدايات لهذه المجالات فى تلك الدول، وهو ما تجسد فى إصداره لمجلة «الدوحة» فى قطر، قبل أن يعود لاستكمال مسيرة الإبداع بين بنى وطنه، ليواصل كاتب التاريخ إسالة المزيد من الحبر فى تسجيل رحلة ناقد وصحفى وكاتب متفرد، يستحق من دون أى مبالغة لقب «الأستاذ».

وتحمل مسيرة ابن محافظة الدقهلية، الذى ولد فى الثالث من سبتمبر عام 1934، الكثير من المشروعات الأدبية المهمة، من بينها إعداده كتاب «صفحات من مذكرات نجيب محفوظ»، الذى حكى فيه «أديب نوبل» أبرز محطاته ومعاركه، إنجازاته وكبواته، لتعيش مذكرات الأديب الكبير سنوات طويلة، بقلم ورؤية «الأستاذ رجاء».

وصفه بـ«الأستاذ» مُستحق من دون أى شك، فـ«النقاش» لم يقتصر على منح وطنه كتاباته ومشاريعه الصحفية والأدبية فحسب، بل اختار نفض الغبار من على قطع الماس، صارت فيما بعد علامات حُفرت أسماؤها فى كتب التاريخ ممهورة بإنتاجهم المتفرد، وعلى رأسهم يأتى الروائى السودانى الطيب صالح، الذى أعاد اكتشافه، ونشر رائعته «موسم الهجرة إلى الشمال» للمرة الأولى، فى سلسلة روايات «الهلال» الشهيرة، إلى جانب كتابة مقدمة نقدية رائعة لها.

كما كان له دور وطنى قومى عروبى، أضاف به إلى سجله المهنى شرفًا لن يزول، حينما أعد كتابًا عن أيقونة شعر المقاومة الفلسطينية محمود درويش، ليكون صك مرور للشاعر الكبير إلى قلوب العرب فى كل ربوع الأرض.

وينتمى «الأستاذ رجاء» إلى «بيت النقاشين»، والذى يمكن وصفه بالأرض الخصبة التى أنبتت ورودًا فى تاريخ الصحافة والفن المصرى، فشقيقه الراحل وحيد النقاش كان مُترجمًا وناقدًا، وشقيقه الآخر فكرى النقاش مؤلف مسرحى. بينما تقلدت شقيقته الناقدة فريدة النقاش رئاسة تحرير مجلة «أدب ونقد» لنحو عشرين عامًا، قبل أن تصبح رئيسة تحرير صحيفة «الأهالى»، لسان حال حزب التجمع اليسارى، منذ نهاية 2006. كما امتد سلسال هذا البيت الثقافى العريق ليشمل الشقيقة الأخرى أمينة النقاش، الكاتبة الصحفية الكبيرة.

وكما عاش من أجل الإبداع فى كل موضع خطته قدماه، نال رجاء النقاش تكريمًا وتقديرًا يليق بتلك المسيرة المشرفة، سواء ممن أسعده حظه بقراءة أعماله، أو من خلال العديد من الجوائز التى حصل عليها، وعلى رأسها جائزة الدولة التقديرية، فى عام 2000، ودرع المجلس الأعلى للثقافة.

واختار مجلس إدارة «جائزة الصحافة العربية» التابعة لـ«نادى دبى للصحافة» رجاء النقاش كشخصية العام العالمية، فى 2004، قبل أن ينال تكريمًا جديدًا، فى يناير 2007، خلال حفل كبير بنقابة الصحفيين المصريين، حصل فيه على درع النقابة ودرع مؤسسة «دار الهلال» ودرع حزب «التجمع»، ليرحل بعدها بعام واحد، تحديدًا فى شهر فبراير 2008، تاركًا تاريخًا مُشرفًا ومسيرة تستحق الاحتفاء.

74 عامًا من الإبداع عاشها الكاتب الموسوعى على أرض المحروسة، وبالأمس الموافق الثالث من سبتمبر حلت ذكراه العطرة، فماذا يقول محبوه وتلاميذه وكل من أصابهم إبداعه فى هذه المناسبة؟

محمد نصر

رجاء لا يغيب

حرف تنفرد بنشر برقية تهنئة نجيب محفوظ لـ«النقاش»: مقالاتك أغانٍ

حصلت «حرف» على صورة ضوئية من برقية كان قدر أرسلها الأديب العالمى والحائز على جائزة نوبل نجيب محفوظ إلى الكاتب والناقد الكبير رجاء النقاش، وذلك تعبيرًا من أديب نوبل عن امتنانه وثنائه على كتابات الناقد الكبير، وجاء فى نص البرقية التى لم تتجاوز الخمس كلمات: «مقالاتك أغانٍ فبارك الله فيك».. بتوقيع نجيب محفوظ.

جدير بالذكر أن علاقة الناقد الكبير رجاء النقاش والأديب العالمى نجيب محفوظ كانت علاقة لها طبيعة خاصة، وبالتحديد حينما اختصه أديب نوبل بحكاويه التى أدرجت تحت توصيف مذكرات نجيب محفوظ، خاصة أن الأديب العالمى كان يرفض بشدة أن يكتب سيرته الذاتية، ولكن النقاش نجح بذكائه فى إقناعه فى أغسطس من العام ١٩٩١ بعد أن جلس بجانبه ١٨ شهرًا يسمع منه ويكتب ويسلط الضوء على مسيرة الأديب العالمى.

كتاب «صفحات من مذكرات نجيب محفوظ» والصادر عن دار الشروق نجح فى توثيق مسيرة أديب نوبل بشكل دقيق، حيث تناول فيه نشأته وآراءه الفنية والثقافية وهواياته وحكايات من طفولته وشبابه، علاوة على المعارك الخاصة والعامة التى خاضها.

الكتاب الثمين الذى أعده النقاش تناول أيضًا تفاصيل محاولة اغتيال نجيب محفوظ كما جاءت على لسانه، وتفاصيل وكواليس حصوله على جائزة نوبل، ما يعكس حجم العلاقة الوثيقة التى جمعت أديب نوبل والناقد الكبير رجاء النقاش.

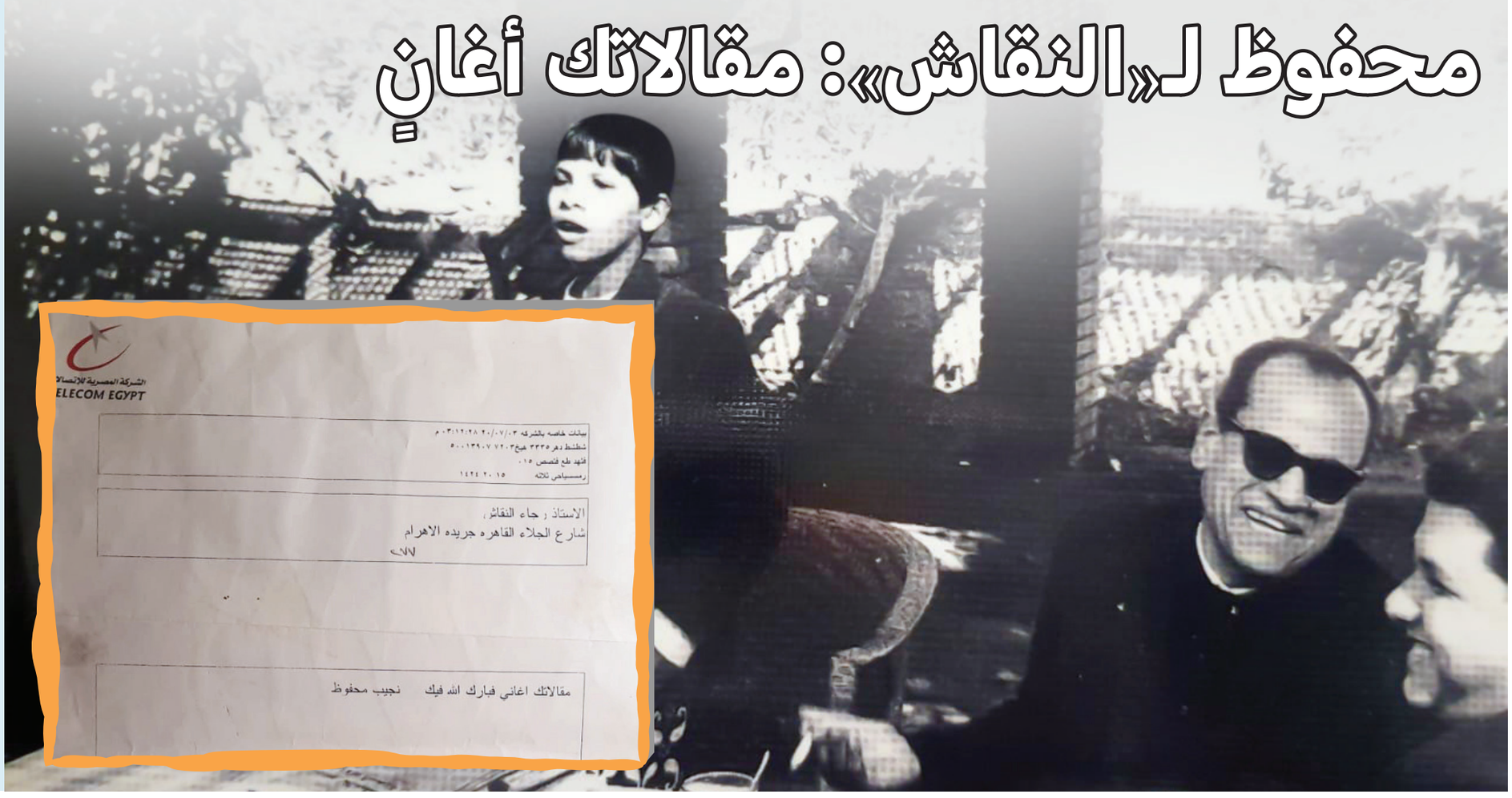

محمد عفيفى: ناقد نزيه.. وكوكتيل من زمن الصحافة الجميل

قال الكاتب الصحفى محمد عفيفى إن ما قدمه رجاء النقاش للأدب والنقد فى مصر ليس مجرد مشروع عادى، بل بمثابة التجربة الملهمة التى يصعب تكرارها أو تقييمها.

وأضاف عفيفى أن النقاش امتلك كنزًا أخلاقيًا وإنسانيًا لم ولن يسبقه له أحد، أو ينال تلك المكانة فى عالم الصحافة والأدب والنقد.

محمد عفيفى

مشروعه النقدى أكبر من التقييم وبيت النقاشين رسم شخصيته الأدبية

■ «رجاء النقاش» و١٦ عامًا على رحيل مُبدع.. كيف تقيّم تلك الشخصية؟

– لا شك يُعد رجاء النقاش كاتبًا صحفيًا من الطراز الفريد، وناقدًا أدبيًا من الطبقة الرفيعة للنقاد، حيث امتلك كنزًا أخلاقيًا وإنسانيًا لم ولن يسبقه له أحد، أو ينال تلك المكانة فى عالم الصحافة والأدب والنقد الفنى، علاوة على ندرة طباعه على المستوى الشخصى من كرم أخلاق وذوق رفيع، جعل كل من تعامل معه لا يستطيع نسيانه أو العثور على نواقص فى تلك الشخصية، ما يجعلنى أعتبره «كوكتيل من زمن الصحافة الجميل».

■ شخصية رجاء النقاش التى نشأت فى بيت فنى وثقافى.. كيف كان للنشأة دور فى تكوينها؟

– بيت النقاشين كان بمثابة الأرض الخصبة التى أنبتت أزهارًا فى حديقة الثقافة والنقد الفنى والأدبى فى مصر، وكأن البيت كان يطرح نوابغ، فكان شقيقه الراحل وحيد النقاش مترجمًا وناقدًا، والشقيق الثانى فكرى النقاش مؤلفًا مسرحيًا، وتولت شقيقته الناقدة فريدة النقاش رئاسة تحرير مجلة أدب ونقد لنحو عشرين عامًا، ثم أصبحت منذ نهاية ٢٠٠٦ رئيسة تحرير صحيفة «الأهالى»، والشقيقة الرابعة الكاتبة الصحفية الكبيرة أمينة النقاش، ما يجعلنا أمام نقابة من الأدباء والمفكرين وليس مجرد منزل لأسرة عادية.

■ مشروع أدبى ونقدى كبير تبناه الراحل.. كيف يمكن تصنيف ذلك العمل؟

– ما قدمه رجاء النقاش للأدب والنقد فى مصر ليس مجرد مشروع عادى، بل بمثابة التجربة الملهمة التى يصعب تكرارها أو تقييمها، حيث ما زلت أتذكر رحلتى فى شوارع القاهرة بحثًا عن مجلة الدوحة التى كان يصدرها الراحل فى قطر وكانت تقدم وجبة فنية وأدبية وثقافية دسمة استفاد منها المواطن المصرى والعربى، لتضاف إلى العديد من التجارب الثقافية الملهمة التى قدمها النقاش للساحة المصرية والعربية، ولم يكتف الراحل بالتجارب الثقافية فقط، ولكنه قدم أيضًا روائيين وكتابًا أصبحوا فيما بعد من أقطاب الصحافة والأدب، مثلما حدث مع الروائى السودانى الطيب صالح عندما كتب النقاش عن روايته «موسم الهجرة للشمال» وكان سببًا فى أن ذاع صيته بين الأوساط الثقافية والأدبية.

■ ما الصفة الأدبية التى كان يتميز بها النقاش وندرت فى الآونة الأخيرة؟

– النزاهة بكل تأكيد، نزاهة الكاتب فى الاختيار والكتابة عن عمل أو مشروع أو شخص بعينه، رجاء النقاش كان يمتلك الجرأة والنزاهة فى تقديم كاتب جديد أو روائى للساحة ويدعمه حتى يبزغ نجمه ويصبح من أقطاب العمل الثقافى.

■ ثورة يوليو كان لها تأثير كبير فى كل من عاصروها.. كيف تأثر بها النقاش؟

– ثورة يوليو وما أحدثته من حالة تغيير وحراك سياسى وثقافى فى المجتمع المصرى، أثرت بشكل إيجابى على النقاش وأسهمت فى تكوين شخصيته، كما أنها كانت سببًا رئيسيًا فى اكتشاف مواهب ورموز جديدة مثل أحمد بهاء الدين وصلاح جاهين وغيرهما، ما أثرى الحياة الفكرية فى مصر بشكل كبير.

■ نجيب محفوظ كانت له علاقة ذات طبيعة خاصة بالراحل.. كيف رصدتها؟

– أعظم وأهم ما كُتب عن نجيب محفوظ كان من صنيعة رجاء النقاش، حينما كتب «صفحات من مذكرات نجيب محفوظ» وجلس فيها النقاش بجانبه لساعات طويلة لكى يكتب ويدقق، وأهمية ما كُتب من وجهة نظرى تعود لارتياح نجيب محفوظ للنقاش علاوة على طبيعة الأسئلة التى طرحها النقاش على أديب نوبل، حتى نجح رجاء فى إعداد خلطة سحرية وتركيبة عجيبة تمكن من خلالها أن يقدم للمجتمع هذا المشروع والعمل العظيم.

الشقيقتان تتحدثان عن «السند»

فى قرية ريفية تحمل اسم «منية سمنود» بمحافظة الدقهلية، وهب الله «رجاء عبدالمنعم النقاش» ذرية جعلته يباهى بهم خلق الله، أبناء سطروا فى تاريخ الصحافة والأدب المصرى أعمالهم بحروف من ذهب، وهم: محمد وشهرته «رجاء النقاش» الكاتب الصحفى والأديب الكبير، وحيد «مترجمًا وناقدًا»، فكرى «مؤلفًا مسرحيًا»، فريدة «رئيس تحرير مجلة أدب ونقد»، وأمينة «كاتبة صحفية».

شاء القدر أن يقود محمد أو رجاء النقاش لواء نشر عشق الصحافة والأدب بين أروقة بيت النقاشين، متكئًا ومستمدًا لهذا العشق من الوالد الذى كان يهوى الثقافة والأدب، ليأخذ بيد أشقائه إلى نداهة الصحافة والأدب، وهو ما دفع الشقيقتين أمينة وفريدة لوصفه بالسند فى حديثهما عنه.

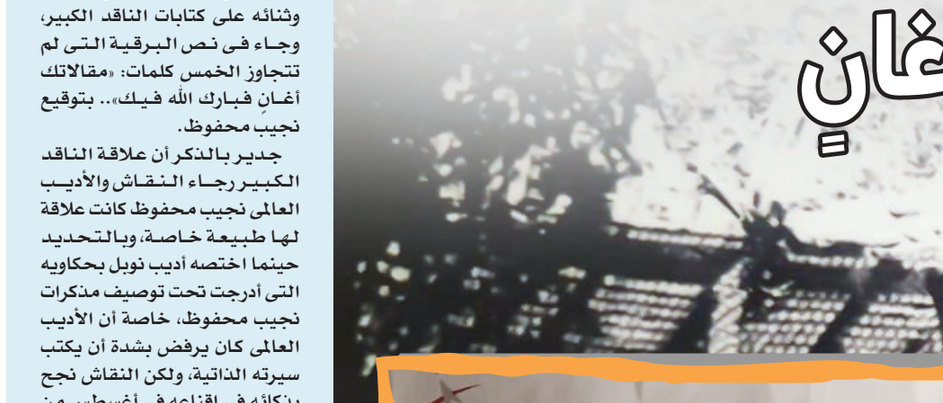
صلاح عيسى وأمينة النقاش

أمينة: منحنى عشق المسارح والأوبرا ورفض زواجى من صلاح عيسى

«تشكيلى الفكرى صنعه رجاء النقاش».. هكذا تحدثت الكاتبة الصحفية الكبيرة أمينة النقاش عن دور شقيقها فى حياتها المهنية والفكرية، معتبرة أن تكوينها العقلى والثقافى والفكرى هو صنيعة الشقيق.

وفى ذكرها لفضائله العديدة عليها قالت أمينة إن أهم ما زرعه فيها شقيقها الراحل هو تعلق قلبها بالتردد على المسارح، التى تقدم شتى أطياف الفنون ودار الأوبرا المصرية.

أمينة النقاش انتقلت فى حديثها عن الشقيق الراحل من بوتقة الفكر والسياسة إلى سمنود حيث نشأة الأشقاء، حيث كشفت عن أن رجاء النقاش حرص منذ أن كان طالبًا على السعى للعمل بحثًا عن المال لمساعدة الأهل والأسرة ودعمهم ماديًا حتى لا يضطروا إلى العوز أو الاحتياج لأحد، مشيرة إلى أنه كان بمثابة الأب لها، وكانت علاقتهما لها طبيعة خاصة عن باقى الأشقاء.

لحظة الزواج عند أى أسرة مصرية لا يمكن أن تمر مرور الكرام دون تدخل الشقيق، ناصحًا وموجهًا، وهو ما فعله رجاء النقاش مع شقيقته أمينة، كما قالت، مشيرة إلى أنه كان رافضًا لزواجها من الكاتب الصحفى الكبير الراحل صلاح عيسى، حيث كان لديه العديد من التحفظات بسبب الظروف الحياتية القاسية، التى كان يعانى منها صلاح عيسى من مطاردات أمنية، علاوة على فصله من وظيفته، وظل مُصرًا على هذا الرفض رغم صداقتهما الشديدة، والتى كانت سببًا فى لقائى الأول بـ«صلاح»، ولكن شخصيتى المستقلة فى التفكير وإصرارى على الارتباط به كانت كلمة السر فى إتمام الزيجة، رغم رفض رجاء النقاش.

أمينة النقاش

فريدة: حذرنى وقال «زواجك من حسين عبدالرازق هيحبسك»

حسين عبدالرازق أول أزمة كبيرة نشبت بينى وبين رجاء النقاش، فقد كان معارضًا لزواجى منه، هكذا تحدثت الكاتبة الصحفية الكبيرة فريدة النقاش عن علاقتها بشقيقها الراحل رجاء النقاش، مشيرة إلى أنه كان رافضًا زواجها من القطب اليسارى الكبير حسين عبدالرازق، وقال لها حينها: «الراجل ده هيوديكى السجن» فى إشارة للسياسى البارز، لكنها، على حد وصفها، رفضت بشدة الانصياع لشقيقها وأصرت على إتمام الزيجة.

أما عن رجاء النقاش الأخ، فقالت فريدة إن شقيقها يحسب له الفضل فى فتح باب الدخول إلى عالم الثقافة والأدب، ومهد لها الطريق بشكل كبير، وكان دافعًا رئيسيًا لها لكى تقرأ وتتعمق فى القراءة، كما كان له دور محورى فى تشجيعها على الكتابة، وبالتحديد كتابة الشعر والقصة.

فريدة النقاش

فريدة النقاش وزوجها حسين عبدالرازق

رجاء لا يغيب

أيمن الحكيم: «صاحب السر».. وخلطته السحرية لم يصل لها أحد

رجاء وعادل إمام

«جواهرجى يشتم رائحة الموهبة وينفض التراب عنها».. بهذه الكلمات وصف الناقد والكاتب الصحفى أيمن الحكيم أستاذه وشيخه كما وصفه الراحل رجاء النقاش، مشيرًا إلى أنه يُعد من عظماء النقد الفنى والأدبى فى مصر والعالم العربى.

عن علاقته بنزار قبانى وإنقاذه له من غضب جمال عبدالناصر، وحكايته مع الأديب الكبير نجيب محفوظ، يتحدث الكاتب الكبير أيمن الحكيم عن رجاء النقاش لـ«حرف».

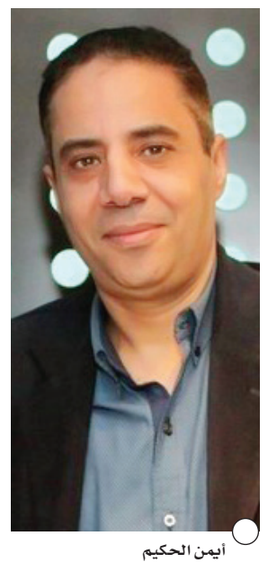

أيمن الحكيم

■ بيت أدبى وثقافى نشأ فيه رجاء النقاش.. كيف أثرت تلك النشأة فى تكوينه؟

– بالتأكيد كان لنشأة رجاء النقاش فى بيت يقوم على رعايته أب شاعر كلاسيكى مهم وهو المدرس الإلزامى رجاء عبدالمؤمن النقاش، بالغ الأثر فى تكوينه، حيث كان يمتلك والده موهبة شعرية كبيرة وله ديوان رائع مطبوع وهو ألحان الفجر، وكان يتمتع بحس ثقافى عالٍ للغاية، وامتلك مكتبة ثرية بالعديد من المؤلفات لكبار الكتاب، أسهمت تلك المكتبة بالتأكيد فى تشكيل وجدان رجاء النقاش، الذى كان يحلم بالعمل معيدًا فى كلية الآداب بجامعة القاهرة، إلا أن مرض والده ثم وفاته فى سن مبكرة دفعت رجاء للعمل من أجل مساعدة أسرته ماديًا بعد وفاة والده.

■ معنى ذلك أن وفاة والده غيرت فى مسار حياته وحياة الأسرة؟

– لا شك فى ذلك، ولكن القدر كان له دور كبير فى مسار عائلة رجاء النقاش، حيث كانت عائلة تراجيدية لدرجة كبيرة، خاصة أن لرجاء شقيقين توفيا فى عُمر الشباب، بهاء وكان نابغة فى مجال النقد السينمائى، ووحيد وكان ناقدًا مسرحيًا كبيرًا، وبرغم الفجيعة بوفاتهما إلا أن العائلة قدمت للمجتمع رجاء النقاش وفريدة وأمينة النقاش الذين صاروا بعد ذلك من أقطاب الصحافة فى مصر، وهذا من وجهة نظرى يعود للمناخ الثقافى العظيم الذى نشأ فيه رجاء النقاش وأشقاؤه ما كان سببًا فى تكوين هذه العقول النابغة على كافة المستويات والمجالات الأدبية والثقافية.

■ جمعتك بالراحل صداقة وعلاقة عمل استمرت لفترة طويلة.. كيف يمكنك وصف مسيرته؟

– من حسن حظى أن علاقتى بالراحل الكبير دامت حوالى ١٠ سنوات، كانت علاقة فارقة بشكل كبير فى حياتى تعلمت منه الكثير والكثير، ولكن من يريد تلخيص مسيرة رجاء النقاش يمكنه وصفه بـ«صاحب السر»، حيث امتلك سر المعادلة المستحيلة فى الكتابة النقدية بعد أن جمع بين العمق والبساطة فى النقد، ما جعله صاحب السر فى الوصول للمواطن العادى البسيط فى وقت كان النقاد الماركسيون يعتمدون فى كتاباتهم على العمق المفتعل ما جعل دائرتهم تقتصر على طبقات بعينها، على عكس رجاء النقاش الذى كان بمثابة ناقد ملك للجميع.

■ هل هذا الخلط بين العمق والبساطة من جعل النقاش يتربع على عرش مملكة النقاد؟

– بالتأكيد، حيث نجحت خلطته السحرية فى الجمع بين الجاذبية والعمق فى وضعه على مصاف كبار النقاد وجعلت المنصفين يعتبرونه أعظم صناع المجلات الأدبية والثقافية فى مصر والعالم العربى، سواء فى مرحلة مجلتى الكواكب والهلال أو رئاسته لتحرير مجلة الإذاعة والتليفزيون مرورًا بمجلة الدوحة التى جعلته ذائع الصيت على مستوى الوطن العربى بشكل عام.

■ هل كانت للراحل نصائح بعينها يوجهها لتلاميذه؟

– القراءة نصيحته طوال الوقت لجميع من حوله، وأتذكر فى بداية علاقتى به طالبنى بقراءة عشرة كتب لمجموعة من القامات الصحفية مثل كامل زهيرى ومحمد التابعى وإحسان عبدالقدوس ومحمد حسنين هيكل ونثر نزار قبانى.

■ على ذكر نزار قبانى.. كانت للراحل واقعة جمعته بالشاعر الكبير هل يمكنك ذكر تفاصيلها؟

– نزار قبانى عقب نكسة ١٩٦٧ كتب قصيدة «هوامش على دفتر النكسة»، تلك القصيدة كانت بمثابة نزع لفتيل الحرب على نزار فى حملة شعواء قادها الشاعر صالح جودت، طالب فيها بمنع نزار قبانى من دخول مصر وحجب قصائده، ونظرًا لما كان يحمله رجاء النقاش من محبة وود لنزار قبانى، تبنى حملة للدفاع عنه وذهب للقائه فى بيروت وطالبه بكتابة رسالة للرئيس عبدالناصر يشرح فيها وجهة نظره التى دفعته لكتابة القصيدة وهو ما حدث بالفعل، وقام رجاء بتوصيلها للرئيس عبدالناصر عن طريق أحمد بهاء الدين، وحينها تراجع الرئيس جمال عبدالناصر عن موقفه تجاه نزار بعدما اعتبر القصيدة بمثابة صرخة غضب تجاه النكسة.

■ كيف كان رد فعل نزار قبانى حينها على موقف رجاء؟

– نزار قبانى اعتبر ما قام به رجاء النقاش بمثابة الفضائل التى لا تُنسى وكتب له «أنت يا أخى رجاء رصيدنا الذهبى الباقى وثروتنا النقدية الأخيرة»، فى رسالة تقدير عظيمة للراحل.

■ الجدعنة من مميزات رجاء النقاش؟

– بالفعل، يستحق وبشدة هذا الوصف، ولكنه امتلك مواصفات عديدة أخرى، حيث كانت لديه نقطة ضعف حين يشتم رائحة الموهبة ويزكيها بل ويتكفل بها من جيبه الخاص، وينفض التراب من على المواهب الشابة مثلما حدث مع الشاعر الفلسطينى الكبير محمود درويش، والروائى السودانى الطيب صالح، كما كان له موقف منحاز بموهبة الأديب الكبير نجيب محفوظ.

■ علاقته بنجيب محفوظ كانت ذات طبيعة خاصة.. حدثنا عن تفاصيلها؟

– رجاء النقاش انحاز لموهبة الأديب الكبير نجيب محفوظ، وكتب عنه الكثير وأهمها مذكرات أديب نوبل التى كانت توثيقًا دقيقًا لمسيرة الأديب الكبير، وعلى النقيض رفض رجاء النقاش الكتابة عن الروائى يوسف السباعى والذى كان يتولى منصبًا وزاريًا فى ذلك الوقت، وكان من الطبيعى والمنطقى أن يكتب عنه من باب المجاملات، إلا أن النقاش رفض ذلك واعتبر أن رواياته أغلب أحداثها متوقعة، ما اعتبره السباعى إهانة وتحديًا كبيرًا حينها.

■ هل ترى أن الكاتب الراحل نال التقدير الذى استحقه؟

– بالتأكيد، ومن ضمن البراهين على ذلك والتى رأيتها بعينىّ برقية عزاء كتبها الكاتب الكبير محمد حسنين هيكل فى رثاء الراحل وأرسلها لزوجته، قال فيها هيكل: رجاء النقاش رجل أدى دوره بامتياز وترك أثره باستحقاق واكتشف طرقًا ومسالك ودروبًا أطل عليها جميعًا بشعلة ضوء ستبقى.

> أنقذ نزار قبانى من غضب عبدالناصر وهيكل صنفه ضمن عظماء المهنة

رجاء وياسر عرفات

إبراهيم داود: صاحب أيادٍ بيضاء على القضية الفلسطينية ورفع العزلة عن شعرائها

«فى كل مكان عمل فيه النقاش كان يحوله إلى منارة حقيقية»، هكذا تحدث الكاتب والروائى الكبير إبراهيم داود عن الناقد الراحل رجاء النقاش، مشيرًا إلى أنه صاحب الفضل فى اكتشاف العديد من نجوم الحياة الفكرية فى مصر والعالم العربى.

داود تحدث لـ«حرف» عن دور ثورة يوليو فى تشكيل وجدان رجاء النقاش وكيف تعلق بها، وما قدمه النقاش للقضية الفلسطينية، وبالتحديد فى رفع العزلة عن شعرائها، خاصة مع اكتشاف شاعر المقاومة محمود درويش.

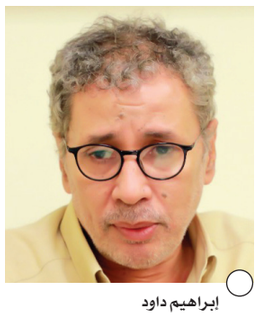

إبراهيم داود

■ تجارب عديدة حملت شعار «النقاش مر من هنا» كيف تقيم تلك التجارب وما أفضلها؟

– فى كل مكان عمل فيه النقاش كان يحوله إلى منارة حقيقية، كان مؤسسة ثقافية مستقلة، لم يتورط فى الخلافات الأيديولوجية التى كانت رائجة، لأنه كان يسعى إلى طمأنة الناس على الوجدان الذى يطرح مبدعين قادرين على صنع ذاكرة ثقافية هى رأس مال البلد، كتبه صالحة للقراءة طوال الوقت، ولا أمل شخصيًا من العودة إليها بين الحين والآخر، مثل: «ثلاثون عامًا مع الشعر والشعراء»، «محمود درويش.. شاعر الأرض المحتلة»، «عباقرة ومجانين»، «شخصيات وتجارب»، «أبو القاسم الشابى».. «شاعر الحب والثورة»، «نساء شكسبير»، «فى حب نجيب محفوظ»، «ملكة تبحث عن عريس»، «شعراء عالميون»، وغيرها من الكتب التى غيرت فى حياة كثيرين من المهمومين بالكتابة والمستقبل.

■ كيف كان ينظر رجاء النقاش إلى الأدب، خاصة أنه نجح فى الجمع بين العمق والإبداع؟

– كان يرى أن الأدب العظيم أدب واضح، والأدب المؤثر أدب واضح، والوضوح نفسه لا يتناقض مع العمق والأصالة وقوة الإبداع، وتصوير أعمق الصراعات والخيالات المضطربة فى النفس الإنسانية.

■ أقطاب كبيرة قدمها النقاش للحياة الفكرية فى مصر وكانت بمثابة مشروعه الخاص.. كيف ترى ذلك؟

– بالفعل، كان له الفضل فى تقديم أسماء عظيمة للجمهور، مثل الشاعر الفلسطينى محمود درويش والروائى السودانى الطيب صالح والشاعر الكبير أحمد عبدالمعطى حجازى والشاعر الفلسطينى سميح القاسم على سبيل المثال، كما كان يمتلك النقاش ذائقة رفيعة فى تلقى الشعر والكتابة عنه، كما صنع حالة وتوليفة مع هؤلاء الذين أعاد اكتشافهم، ما جعلهم يدينون له بالفضل طيلة حياتهم، مثلما قال عنه الشاعر الكبير محمود درويش أنه عمل على تعميق العلاقة بين حرية الشعر وشعر الحرية، واستند فى هذا التقييم إلى واقعة اهتمام النقاش بشعراء الأرض المحتلة ورفع العزلة عنهم، فمن خلال كتاباته لم يعد هؤلاء الشعراء معزولين عن محيطهم العربى، وإن الشعراء الفلسطينيين وكل الموهوبين من الشباب مدينون للنقاش، لأنه لم يكف عن التبشير النبيل بمواهبهم وعن تحديث الحساسية الشعرية والدفاع عن الجديد الإبداعى فى مناخ كان ممانعًا للحداثة الشعرية، ومدينون له لأنه ابن مصر البار وابن الثقافة العربية، الذى لم تدفعه موجات النزعات الإقليمية الرائجة إلى الاعتذار عن عروبته الثقافية.

■ علاقة رجاء النقاش مع الأديب نجيب محفوظ كانت لها طابع خاص.. كيف تابعتها؟

– كان الأستاذ نجيب محفوظ يحبه ويقدره، ولم ينس له مجازفته بنشر «المرايا» مسلسلة فى مجلة الإذاعة والتليفزيون بعد أن رفضت مؤسسة «الأهرام» نشرها، بينما كانت درة التعاون بينهما المذكرات التى كتبها النقاش لصاحب نوبل، والتى تعد من أجمل وأصدق ما كتب فى أدب السيرة، وحكى لى نجل الراحل الكبير أن ما نشر لا يمثل ١٠٪ مما رواه صاحب الحرافيش، وأن بحوزته هذه التسجيلات، والتى لا أعرف هل من حقنا أن نقلب فيها أم لا؟ وهل كان سيوافق فى حياته؟

■ من وجهة نظرك كيف أثرت ثورة يوليو فى شخصية وتكوين النقاش؟

– رجاء النقاش صدق ثورة يوليو ودافع عن أهدافها، ولم يكن بوقًا لها، لأنه كان معنيًا بما هو أهم، ألا وهو صناعة نجوم يليقون بالمرحلة، وإشاعة المناخ الإبداعى، وحرص على العمل والكتابة فى صحف ومجلات الثورة، ونجح فى كل مكان عمل فيه.

سعيد الشحات: حَوّل مجلة الدوحة إلى جسر للتواصل بين المشرق والمغرب

قال الكاتب الصحفى الكبير سعيد الشحات إن الناقد الراحل رجاء النقاش كان يمتلك مفاتيح تذوق الشعر والأدب، وكان فى ذلك صاحب مدرسة فريدة، حيث يكتب بلغة صحفية سهلة لكنها شديدة العمق وبعيدة عن السطحية والاستسهال.

وأضاف أن تجربته فى رئاسة تحرير مجلة الدوحة حولت المجلة إلى منبر ثقافى عربى مهم وجسر للتواصل بين المشرق والمغرب.

■ تجارب عديدة قاد فيها رجاء النقاش الدفة.. أى التجارب الأفضل من وجهة نظرك؟

– قاد الأستاذ رجاء أكثر من تجربة صحفية مثل مجلة وكتاب الهلال ومجلة الإذاعة والتليفزيون ومجلة الكواكب ومجلة الدوحة فى قطر، وترك فى كل هذه التجارب بصماته لدرجة يصعب معها اعتبار واحدة أفضل من الأخرى، وإن كنت أرى أن تجربته فى مجلة الكواكب المصرية فى المرحلة التالية لهزيمة ٥ يونيو ١٩٦٧ تستحق الكثير من التقدير، وكذلك مجلة الدوحة التى ترأسها من عام ١٩٨١ كانت تتمتع بمزايا كبيرة، حيث جعلها منبرًا ثقافيًا عربيًا مهمًا وجسرًا للتواصل بين المشرق والمغرب.

■ لو تحدثنا عن محطاتك أو ذكرياتك مع النقاش.. ماذا يمكن أن تروى؟

– أتذكر أول لقاء لى مع الأستاذ رجاء وكان فى عام ١٩٩٠، حيث اتصلت به أطلب منه إجراء حوار لمجلة الموقف العربى، وكانت إحدى المجلات العربية المهمة التى تصدر من قبرص فى وقت عرف بالصحافة العربية المهاجرة، حيث شهدت عواصم أوروبية إصدار مجلات وصحف عربية كثيرة لها ارتباطات بدول عربية، وكان يرأس تحرير مجلة الموقف العربى الكاتب والأديب الليبى محمد الشويهدى الذى يعرفه الأستاذ رجاء جديًا، ذهبت إلى الأستاذ رجاء فى مكتبه بدار الهلال الساعة ١١ صباحًا حسب الموعد، وكان يشرف على تجهيز العدد الجديد من مجلة المصور، باعتباره مدير التحرير، وكان الأستاذ مكرم محمد أحمد رئيس التحرير يرافق الرئيس مبارك فى جولة خارجية.. كان من المتفق أن يستغرق الحوار ساعة، لكن الجلسة طالت، وأذكر أننى خرجت من عنده الساعة الثالثة بعد الظهر، ويكرمه الحاتمى المعروف صمم أن أتناول الغداء معه.

■ كيف يمكن أن تصنف مدرسة النقاش النقدية؟

– النقاش أستاذ كبير وناقد فذ، يعطى للقارئ مفاتيح تذوق الشعر والأدب، وكان فى ذلك صاحب مدرسة فريدة، حيث يكتب بلغة صحفية سهلة، لكنها شديدة العمق وبعيدة عن السطحية والاستسهال، وتميز عن غيره من النقاد الأكاديميين بلغته السهلة كما قلت، وعدم الاستغراق فى المجردات، والبعد عن الفذلكة اللغوية التى تطفش القارئ.. وتميز مقاله بالاستدلالات على فكرته وتحليلها بعمق، ولو عدنا إلى مؤلفاته الغزيرة لوجدناها من نفس القماشة، كما أنها تؤكد أننا أمام ناقد بدرجة مفكر، يشتبك مع قضايا الواقع، خاصة من جانبيها الثقافى والفكرى.. وكان مكتشفًا ماهرًا، ووجدنا ذلك فى تقديمه للشاعر محمود درويش وشعراء الأرض المحتلة فى كتاب «محمود درويش شاعر الأرض المحتلة» عام ١٩٦٩.. وكذلك فعل مع الروائى السودانى الطيب صالح عام ١٩٦٨ بعد أن قرأ له رواية «موسم الهجرة إلى الشمال».

سعيد الشحات

رجاء لا يغيب

سميح النقاش يتحدث لأول مرة عن والده:

حب إيه؟

لم أتحدث أبدًا عن أبى.. ولم أفكر فى يوم من الأيام أن أعبر عن مشاعرى تجاه رحيله.. حاولت أن أمنع نفسى من التفكير فى الأمر.. حتى يوم وفاته لم أفكر فى الأمر.. ربما فقط للحظات قليلة لم أتمالك فيها نفسى ساعة رحيله... فمهما كان فهم الانسان للحياة أو إيمانه بالله وتقبله للقدر.. فللموت رهبة.. ولفقد الأحبة رهبة أكبر.. كنت أريد أن يمر الأمر «عادى».. كنت أريد أن «أغيظ» الموت وأن أقول له لن نحزن ولن نبكى ولن تستطيع أيها الضيف الثقيل أن تؤذى مشاعرنا.. أو ربما.. كنت فقط أنفذ تعاليم أبى.

فقد قال لى قبل رحيله بأيام قليله «لما أموت أبقوا صلوا عليا فى أى جامع قريب.. بلاش تغلبوا نفسكم وتعملوا شغلانة.. عادى».

تذكرت حينها نجيب محفوظ فى الفيلم التسجيلى عن حياته الذى تم إنتاجه فى أوائل التسعينيات من القرن الماضى، وكان من إخراج المخرجة الكبيرة رحمها الله «سميحة الغنيمى» عندما قال «أقمت حياتى فى الدنيا على أساس الحب.. حب العمل وحب الناس وحب الحياة وأخيرا حب الموت».

واندهشت.. إذ كيف لإنسان أن يدخل فى علاقة مع الموت وأن تكون هذه العلاقة مبنية على أساس الحب.. فما أعقد هذه العلاقة وما أتعس هذا الحب.

ومرت الأيام وأنا أحاول أن أفهم كلام الأستاذ نجيب عن هذا الحب الغريب من نوعه «حب الموت».

فى رحلته الأخيرة لألمانيا قبل وفاته بأيام قليلة كانت أمى تبعث لنا ببعض صور رجاء وهو يقرأ وكنت أشاهد تلك الصور وأتعجب.. فكيف لهذا الرجل أن يقرأ وهو فى أيامه الأخيرة تلك.. فماذا يجنى من ثمار القراءة الآن.. فجميعنا يعلم وهو أولنا وبمصارحة الأطباء لنا- أن الأيام معدودة.. فقد قال لى قبل سفره الأخير بأيام «أبقوا خلوا بالكم بقى من نفسكم شويه عشان أنا رجل فى طريقى الى الموت».

وكان هذا المشهد من أكبر دروس الحياة.. فليست النتيجة هى ما يبحث عنه الإنسان فى هذه الدنيا.. بل إنها تلك اللحظة التى يمارس فيها ما يحب بصدق دون انتظار لأى شىء.

ومرت بذهنى فى تلك اللحظة لمحات سريعة من حياة رجاء وهو يكتب وهو يقرأ وهو يضحك.. لمحات من هنا ومواقف من هناك ثم رأيته فى تلك الحالة التى كان يستعد فيها لذلك الموت «العادى» كما سماه هو.. ففز فى ذهنى على الفور كلام الأستاذ نجيب وقلت لنفسى.. ها انت الآن قد فهمت.. هذا هو معنى كلام الأستاذ نجيب.. ها هو ذا شخص آخر قد فعل نفس الشىء.. أقام حياته على الحب.. حب العمل وحب الناس وحب الحياة، ثم أخيرًا حب الموت حتى أصبح «عاديًا» كما قال لى.. وتذكرت كلام تشيكوف الذى قرأته فى أول صفحة من كتاب رجاء النقاش عن أبى القاسم الشابى وكانت هذه هى أولى كلمات الكتاب.

«إذا كان فى وسعك أن تحب، ففى وسعك أن تفعل أى شىء».

منذ السنين الأولى من حياتى التى كان فى استطاعتى فيها بالكاد أن أميز موقعى من هذا العالم وأن أعرف أن لى أسمًا وأن لى أبًا وأمًا وأختًا وأن أقول بعض الكلمات التى تعبر عن هذا الموقف المربك والمحير فى ذلك الوقت.. منذ هذا الوقت البعيد وتلك السن الصغيرة وإلى ما قبل تاريخ وفاة رجاء النقاش فى ٨ فبراير ٢٠٠٨ بأيام قليلة لا أتذكر يوم واحد لرجاء بلا عمل- إلا يوم واحد فقط سوف أذكره بعد قليل- فأنا لم أنفصل عن أبى وأمى.. حتى بعد الزواج.. فقد كنا جيرانًا فى بيت العائلة.. وكانت الزيارة يومية.. ولذلك كنت أراه تقريبًا بشكل يومى.. فيما عدا أيام العمل الطويل او السفر.

كان العمل هو حياته.. أو هو البناء الأساسى لحياته.. وقد أعترف لى ذات يوم وهو فى مكتبه وبين كتبه وقال «أنا الحقيقة ماعنديش أى متعة أخرى فى الحياة إلا القراية والكتابة» ثم قال «بس يا أخى الواحد عاوز عمرين تانى فوق عمره عشان يعرف يقرأ الكتب اللى هو عاوز يقراها «فضحكت وبدى على الخجل.. وأحس هو بورطتى.. فلم أقرأ فى حياتى ما قرأه هو فى شهرين.. فأراد على الفور تغيير الموضوع، وقال ضاحكًا «مش عاوز تعملى قهوة».

فضحكنا معًا.. وذهبت لعمل القهوة.

وكان يوم وفاة «فلة» هو اليوم الذى أشهد أنه قضاه دون عمل.. لا قراءة ولا كتابة.. فقد سافرنا لدفنها حيث كنا نملك بيتا فى الإسكندرية فى منطقة أبويوسف.. بيتا تحيطه حديقة وكان هو المكان الوحيد الذى فكر فيه أبى أن يدفن فلة.. وكان يومًا شاقا جدًا وقد بكى فيه رجاء بلا انقطاع تقريبًا حزنًا على الأستاذة «فلة».

أما الأستاذة «فلة» فهى الكلبة التى كانت تعيش معنا فى منزلنا بالدقى.. وكانت علاقة أبى بفلة علاقة غير عادية.. كان يعاملها كأحد أفراد الأسرة وكان يسأل عنها أثناء اليوم ليطمئن أنها أكلت وشربت وأن أحدًا لم يمسها بسوء وعندما ماتت فلة حزن أبى بصورة لم أره عليها من قبل ولا من بعد.

كان رجلًا رقيق المشاعر جدًا.. وكان لرقته تلك.. يرى بقلبه الجانب الحزين من الحياة.. كان يراه بوضوح.. وكان يحاول أن يعالج نفسه من هذا الحزن الذى رأه فى كل جوانب الحياة بالعمل. فقد قال فى مقدمة كتابة تأملات فى الإنسان.. «وأود أن يسمح لى القراء هنا باعتراف خاص. هذا الاعتراف هو أننى أحب هذا الكتاب أكثر من أى كتاب آخر لى. وذلك ببساطة لأننى كنت أحاول أثناء كتابته أن أعالج نفسى من الحزن والضيق بالحياة، كنت أحاول أن أنتصر على عوامل الهزيمة الروحية التى أوشكت يومًا أن تسد أمامى كل الطرق وأن تسلب منى أى حماس للحياة أو ابتهاج».

وفى اعتقادى أن رجاء منذ ذلك اليوم عرف وسيلته لمحاربة الحزن.. فكانت الكتابة والقراءة والعمل الدائم دون انتظار أى نتيجة.. هى الحل السحرى الذى تمكن عن طريقه أن يحل مشاكله وأن يحارب الحزن فى قلبه.. فى كل الأوقات وفى كل الظروف.

ولم يتوقف يومًا من الأيام عن العمل.. حتى آخر يوم.. قبل أن يغيب عن الوعى.. وكان هكذا يقول لى دائمًا «العمل فيه حل لكل مشاكل الإنسان.. المادى منها والمعنوى».

وبرغم أن العمل هو حب رجاء النقاش الأول وكان هو الأساس الذى بنى عليه حياته كلها.. إلا أن حبه للناس وللحياة كان يمثل عمودًا آخر من هذا البناء.. فلم تكن الحياة مجرد قراءة وكتابة.. ولكن كانت هناك حياة أخرى متمثلة فى الأسرة وفى الحياة العامة بين الناس والأصدقاء، فلقد كان منزلنا فى حى الدقى لا ينقطع عنه الناس والزيارات والجلسات والسهرات من مثقفين وفنانين وشعراء.. فكان بيتًا مليئًا بحب الناس وحب الحياة.. وكان هو وبرغم طبيعته الخجولة لديه حضور متوهج، مبهج شديد الجاذبية.. كان كالممثل الموهوب.. إذا خطت قدماه خشبة المسرح وبدأ فى إلقاء حواره نسى طبيعته وعاش فى تلك اللحظة التى يمثل فيها دوره فقط. فلا تستطيع إلا أن تنصت إليه بانتباه ولا تمر ثوان حتى تجد نفسك أسيرًا لكلامه وإلقائه وتتمنى ألا ينتهى المشهد.. هكذا كان رجاء فى حديثه وهكذا كان فى جلساته وهكذا كان فى إلقائه للشعر وما أكثر ما كان يلقى الشعر.

كان شديد الحب لنا نحن أسرته الصغيرة زوجته وأبناءه.

أما علاقته بأمى فكانت شديدة الثراء فى كل جوانب الحياة فقد كانت الدكتورة هانية نموذجًا حى وعملى لتعبير شريكة الحياة - فكل من يعرف رجاء يعرف كيف كانت هانية جزءًا أساسيًا من حياته.. كانت حاضرة فى كل لحظة وكل مناسبة.. شاركته كل مشاعر الفرح والحزن والتأمل.. شاركته أيضًا هموم الحياة ولحظات البهجة.. شاركته الثقافة والفكر. فكان دائم الرجوع لها فى كل شىء.. كيف يتفق وكيف يختلف وكيف يقاوم.. كان يأخذ رأيها فيما يكتب فقد كانت هانية كاتبة من طراز رفيع- كما كان يقول لها دائمًا- ولكن شاء لها القدر أن تمتهن هى طب الأطفال.. وهو الكتابة.

يوم أن ماتت أمى نادتنى فى الليل، وكانت قد شعرت ببعض التعب، فذهبت لها ووقفت على باب حجرتها فقالت لى: «مالك يا حبيبى»

فأجبت: «أبدًا مفيش يا أمى.. قلقان عليك بس»

فقالت لى: «ماتخفش من الموت يا حبيبى.. تعالى».

فاقتربت منها وجلست بجانبها وقبلت يدها وقلت لها إنى أحبها وبعدها بساعات قليلة.. ماتت أمى.

وتعجبت للمرة الثانية بعد أن رأيت أبى فى المرة الأولى وهو يواجه الموت.. كيف لها أن تواسينى وهى فى هذه الحالة التى هى فيها، فأنا من يجب أن يواسيها.

فتذكرت مرة أخرى الأستاذ نجيب.. وفهمت.. إنه الحب.

فقد شاركت هانية رجاء الحب بنفس القدر ونفس المعانى.

حب العمل وحب الناس وحب الحياة، وأخيرًا حب الموت.

رحم الله رجاء وهانية ونجيب.

> لم يتوقف يومًا من الأيام عن العمل.. حتى آخر يوم.. قبل أن يغيب عن الوعى.. وكان هكذا يقول لى دائمًا «العمل فيه حل لكل مشاكل الإنسان.. المادى منها والمعنوى»

تشويه الإسلام

كتاب مجهول للرئيس السادات يجيب عن السؤال: لماذا تخلف المسلمون؟

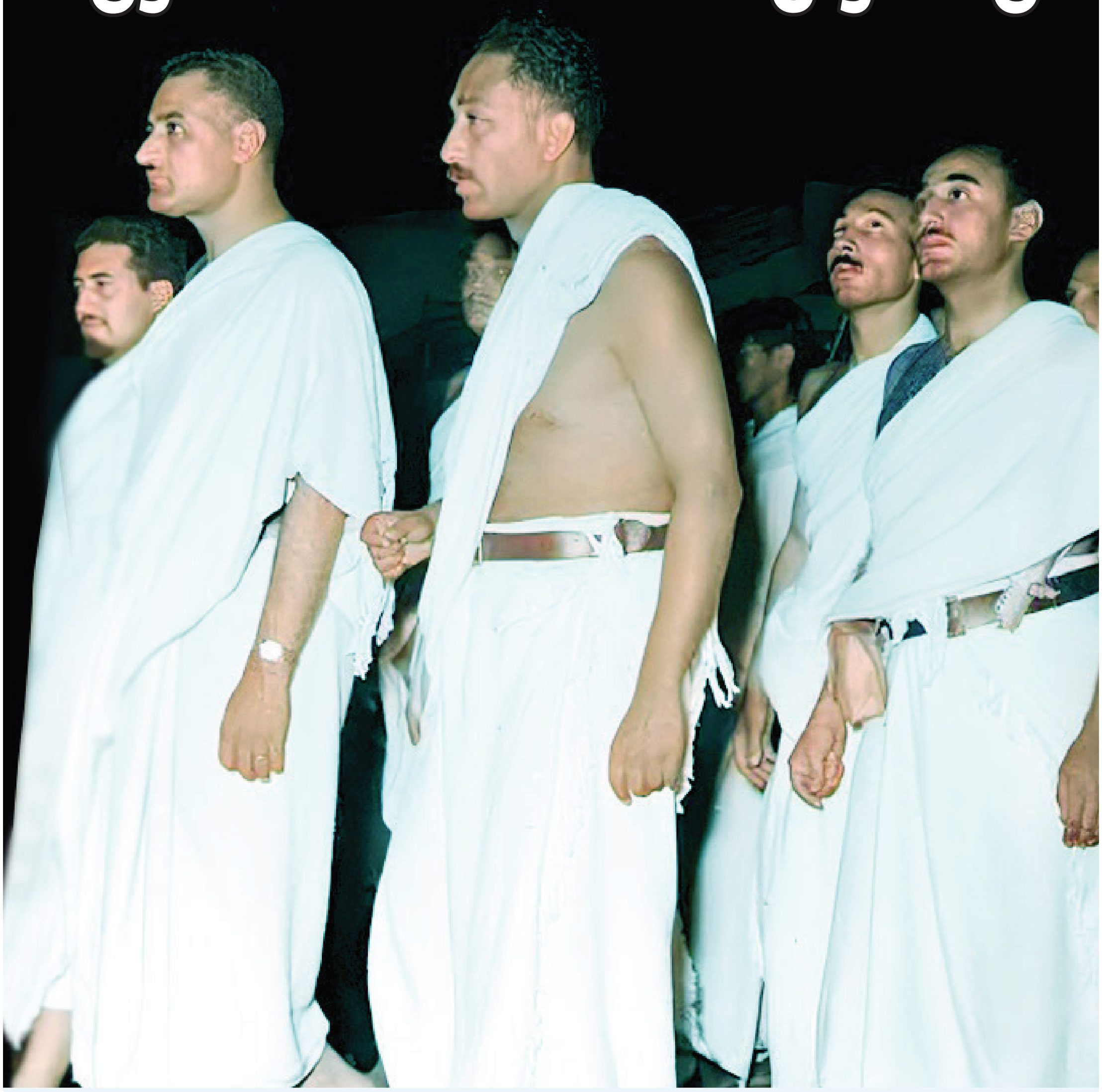

يعرف القراء للرئيس السادات مجموعة من الكتب المشهورة والمنتشرة والتى لا تزال تصدر حتى الآن فى طبعات مختلفة.
فمن منا لم يقرأ كتبه «ثلاثون شهرًا فى السجن»، «يا ولدى هذا عمك جمال»، «صفحات مجهولة»، «قصة الثورة كاملة»، «البحث عن الذات»، «وصيق».

ورغم شهرة هذه الكتب، إلا أن هناك كتبًا غير معروفة للرئيس السادات أحدها وأولها كتابه «القاعدة الشعبية» وهو الكتاب الذى من الصعب أن تعثر على غلافه أو نصه أو أى معلومات متماسكة عنه.
لم أجد شيئًا عن هذا الكتاب، اللهم إلا بعض السطور المتناثرة عبر تقارير صحفية تشير إلى أنه صدر عن الدار القومية للطباعة والنشر فى العام 1953، وتناول فيه نظام الحكم والديمقراطية والملك والأحزاب فى مرحلة ما قبل الثورة، وصدره بقوله: إنما أمرنا كله بيدنا نحن الشعب، وعلينا أن ننهض بمسئوليتنا وعلينا أن نختار الطريق الذى نحس والذى نؤمن أنه سيوصلنا إلى غاياتنا وأهدافنا.
من الكتب التى تكاد تكون مجهولة تمامًا للرئيس السادات كتابه «نحو بعث جديد» وبين يدى النسخة التى صدرت عن مجلة «الجديد» فى يوليو من العام 1975.

الباز

تشويه الإسلام

نحو بعث جديد (١)
بقلم: انور السادات
شبابا وشيبانا .. نساء واطفالا .. كهولا وشيوخا .. من اقصى الغرب فى مراكش الى اقصى الشرق فى اندونيسيا .. ومن اقصى الشمال فى روسيا الى اقصى الجنوب فى افريقيا .. من كل تلك البقاع والاصقاع، تتجمع مئات الالوف حول البيت الحرام ..
لبيك اللهم لبيك .. لبيك لاشريك لك .. ان الحمد والنعمة لك والملك لاشريك لك .
ويردد الجميع هذا النداء . كل بلغته وعلى شاكلته .. ولكنهم جميعا يلتقون فى لغة واحدة هى الايمان بالاله الحبيب الاعلى الواحد الاحد ، مصدر كل شىء وباعث الروح والحياة ، ومقدر الموت والنشور .. ذلك الذى البسنى الذل لايوت ..
اخذت الوف الكعبة مع هذه الجموع واذا ذاهل عن نفسى . وعن وجودى وعما حولى .. ثم خرجت مع الرعاة لاسعى بين الصفا والمروة مع مئات الالوف يسعون ويهرولون والنسائم فى الفضاء والتهليل كلا اليسع الضاحكة وغيرها وتسبيحها ..
ولم افق الا وانا واقف فى شرفة الفندق فى مكة ، البسه الحرام ، وكانما كانت ملابس الاحرام تتحدى التجدد والانطلاق ، ورأيتنى اعود بذاكرتى الى غلائل الايام الاولى للاسلام فى مكة عندما نهض محمد صلى الله عليه وسلم يدعو قومه الى الدين الجديد ..
وكان هذا ايذانا ببدء اروع ثمرة فى تاريخ الكفاح والحرية سطرها التاريخ

نحو بعث جديد (٢)
بقلم: أنور السادات
حدثتك امس ايها الواطن عن مشاعرى وانا اطوى بالارض التى انجبت وسول المسلمين ، حدثتك عن دعوته ، وعن التضحيات التى وضعها قومه فى طريقه لكى يدلنوا الدعوة الجديدة فى رمال ملابهة الشاسعة ، ثم كافح محمد واستمر يكافح من اجل مستقبل قومه الذين حاربوه .. من اجل ان يعيشوا فى كنف العدالة والحق والفضيلة ، وانهيت حديث الامس بوقفتى امام قبر الفاضل العظيم نبينا عليه السلام ....
وناجيته .. حدثت نفسى وعدت التاريخ قاصلات بالاحلام الراسخ بالدين الخالد .. وبالمرارة والاسى كنا وصل الية اتباع هذا الدين الذى كان كفيلا بان يهدينا ، لو اتبعنا خطوات محمد ، الى طريق العدل والحق والعمل .
ناجيت محمدا نبيى وناجيت عمر العظيم الجليل ابا بكر الامين وارث الامانة وحاميها ....
كنت ساعتها فى وقفتى امام القبر الطاهر ، اكاد ارفع صوتى فى حسرة مذاعا فى صاروخا .. يا محمد ... يا رسول الهدى .. يا فجر العلم .. يا واضح الرؤى الغ فى اوفى شاع الجفاف فى رمالها .. حتما حرى فى قلوب اهلها الذين اضيروا لك الشر .. وانبى الله .. نحن من حولك جئنا من اطراف الدنيا ... سهول اوروبا ومن هضاب اسيا ومن اعماق افريقيا ، ومن اقصى الشمال فى اندونيسيا ، ومن افريقيا نحمل الايمان مالا يزعزعه بالسلاح ، وبرسالتك ... بكلماتك ... وانت الذى هديت لنا ... جميعا ... معالم الطريق .. اشرت لنا اليه وحدثتنا عنه ، وكنت قد عصبت فيه منذ مئات السنين حتى وصلت بقومك الى نهايته ..

نحو بعث جديد (٣)
بقلم: انور السادات
كيف اعذب حالنا .. نحن المسلمين .. من عصر الى عصر ؟!
هذا هو السؤال ..
.. كنا عاصمتنا ؟!!
كنا نزحف نحو المستقبل الهائل الذى نردد صحبة محمد ودعوته الى الخلق والعمل ، وسنهار معن احداقنا الغارية امبراطوريات فى الشرق والغرب ، ويزول امامنا الحقد ومستسلم كما دعاة البغى والعدوان ، وتحنى وراء محمد من نصر الى نصر تطوى بين فتوحاتنا امانة رسالته ، ولم تكن رسالته الا ثورة انسانية اراد الله ان تعم كل البشر من اقصى الشرق الى اقصى الغرب ، لتحطم الحرام ، لتهدى الضال ، لتطعم الجائع ، لترعى اليتيم ... لتنظم علاقات الانسان بالارض والسماء .. لتحذره من الوهم .. من الجهل .. من الجمود ..
هذه هى ثورة محمد التى اراد الله ان يطوقها كتفه المجيدة ، وقد تحت منذ عشرات السنين وتسهد العالم كيف حررت دعوة محمد الشعوب وحققت بالاستبداد والمستبدين .
حالما كنا .. نحن المسلمين .. نعيش فى كنف الحق والعدل والصدق ..
فالحالما اصبحنا .. ونحن الان فى كل شعاب الارض .. جياعا ، جهلة ، مرضى ، مستعبدين ؟!
مرة اخرى هذا هو السؤال ..
انا .. ابناء محمد .. يحتم علينا فى هذه الايام ان نتدارع انفسنا الى التامل فى حالنا .. الى تفاعلنا فى شعابنا ، فى جهلنا ، فى تاخرنا ؟!!
فنحن المسلمين قد ورثنا مشعلا مضيئا بعبرا كان يكن ان يهدينا الى طريق الحق والعلم والخير .. والسلام !
كان يكن ان نصبح لو اهتدينا به ان نقف على اقدامنا تحت الشمس عمالقة نقبض فى ايدينا على مقدراتنا وعلى رزقنا ، لا يهزمنا باطش ولا يسخرنا ظالم ولا نشارك الدود فى مصيره وحياته ، يمكننا ان نحقق هذا الحلم الرائع الجميل ، كما حققه من قبلنا اجدادنا فى قديم الزمان ، فلماذا لم نحقق هذا الحلم ثم قنعنا بالذل ورضينا بالتعاسة والبطش والسخرة ، فهل انطفأ المشعل الباهر الذى اورثه لنا محمد فضللنا الطريق ؟ ام ترى ان اجدادنا كانوا سحرة يسخرون الجن لتحقيق المعجزات ، ونحن لا حول لنا ولا قوة .
وفى سى يمكنك ان تشعر به فى كلمات السادات ، يقول : كان أجدادنا بشرًا مثلنا ، والمشعل الباهر المضىء لم ينطفئ ، لأنه فكرة من الأفكار العظيمة التى لا تموت ولا تتبدد ، مَن إذن فعل هذا بنا وجعلنا نعيش فى هذه الحالة التعسة ؟
دخل السادات إلى تفسير تخلف المسلمين وتراجعهم مدخلًا سياسيًا أولًا .
يقول : إنهم فئة منا ، حكموا بلادنا فى الشرق والغرب ، اختطفوا المشعل المضىء الباهر وأخفوه عن أنظارنا لكى يستعبدوا ويبطشوا ويسلبوا وينهبوا ثم يقولوا للمسلمين : نحن أولياء عليكم فأطيعونا ، ويطيعهم المسلمون فيمضى الأولياء يحكمون والدنيا لهم والآخرة لنا ، هكذا فسروا رسالة محمد ، فالمسلم فى رأيهم من يصلى ويصوم رمضان ويخرج الشهادة من جوفه ، ويطيع أولى الأمر .
ويضع السادات يده بدقة على تصور هؤلاء الحكام للمسلمين ، فالمسلم فى رأيهم هو الذى يتعرى ويجوع ويمرض ثم يموت ، المسلم فى رأيهم هو الذى يؤمن بتفسيرهم لرسالة محمد ، لا بتفسير محمد نفسه لرسالته ، رغم أن محمدًا لم يقل للناس صلوا وصوموا وانطقوا بالشهادة ثم موتوا ، لقد قاد محمد المسلمين فى طريق العمل ، وليس فى طريق السخرة ، محمد جاهد وقاتل وأطلق دعوته فى الأمصار ، لا ليُخضع الناس للكهنوت والغيبيات والقدر ، بل ليعمل الناس وليعملوا ويعملوا ولا شىء غير العمل ، فهو العمل وحده الذى يعصم الناس من الضلال ، من الشر ، ومن الحرب ، ومن الفقر ، ومن الجهل ، ومن الزلل .
ويخرج السادات من التفسير السياسى لتخلف المسلمين إلى التفسير الفكرى .
فالذين اختطفوا مشعل محمد - فى رأيه - كانوا أصحاب مصالح تتعارض مع مصالح الجماهير ، وقد شعروا أن تلك المصالح ربما عصفت بها رسالة نبى الله فزوروا الرسالة تحت سمع المسلمين وبصرهم ، وبالقهر والتضليل والقوة أخضعوا المسلمين لرسالتهم لا لرسالة محمد .
فالرسول قال : لأن يأخذ أحدكم حبله على ظهره ، ليحتطب ويعود آخر النهار ومعه خبزه ورزق عياله خير من أن يقضى نهاره فى صيام وصلاة ، محققًا المعجزة بدعوته إلى العمل ، لكن من زوروا الرسالة اختطفوا المشعل خطفًا ، لم يتركوا المسلمين يعملون ، كما أوصاهم محمد ، من أجل رزقهم وخبز عيالهم ، بل دعوهم إلى العمل من أجل حماية مصالحهم والذود عنها والموت فى سبيلها .
ويقارن السادات بين النبى محمد ومن قاموا بتزوير رسالته .
فمحمد كان ثائرًا .. وهم كانوا ناعمين .
ومحمد كان مناضلًا .. وهم كانوا طلاب متعة وعشاق لذة .
ومحمد كان حقيقة .. وهم كانوا وهمًا كبيرًا .
الحل الذى وضعه الرئيس السادات لهذه المعضلة ، كان محددًا ، يقول : كان لا بد أن يقود المسلمين رجال قضوا أعمارهم فى نضال وكفاح وإيمان ، لا فى أسرة وثيرة أو فى مقاعد تحوطها السلامة والأمان ، حتى كان يمكن أن يستأنف هؤلاء القادة المناضلون نفس الشىء ، الدعوة إلى العدل والحق والعمل ، الدعوة إلى محق الظلم الذى عانوه ، والدعوة إلى الحق لأنهم افتقدوه ، والدعوة إلى العمل لأنهم يؤمنون به ، أما أن يأتى رجل لم يناضل ولم يكافح فى سبيل شىء على الإطلاق فى كل سنوات عمره ، ويختطف مشعل محمد ثم يزعم أنه يريد أن ينقذ عباده ويهديهم إلى الطريق ، ذلك الرجل لا شك سيصنع مأساة ، سيجعل من المسلمين أشباهًا له ، لا يرغبون فى كفاح أو فى نضال أو فى عمل ، سيجعل منهم فئة تؤمن بالانتهازية والخطف مثله ، تؤمن بأن الدين صلاة وصوم وتمتمة بالدعوات وشعوذة وأفعال مجاذيب ، وتعصب وظلام وجمود وخضوع لما هو مكتوب ..
وهذا هو السبب فى ضياعنا نحن المسلمين .
وبمباشرة ووضوح يعلق السادات الجرس فى رقبة من فعلوا بنا ذلك .
يقول : تركنا فئة منا تخطف المشعل الباهر المضىء لتنهب وتسلب وتحكم ، ثم قنعنا فى دنيانا بالصلاة والسلام على محمد ، ومحمد برىء منا ، لأنه دعا إلى الاحتطاب من أجل الخبز ، دعا إلى العمل ثم فضله على الصلاة والصوم ، وكانت هذه الدعوة تكفى لهدايتنا إلى الطريق ، تكفى لكى

كتاب «نحو بحث جديد» نشر لأول مرة عام 1963.. وهو عبارة عن مجموعة مقالات نشرها السادات فى جريدة الجمهورية

رأى السادات أن النبى محمدًا كان لا بد أن ينتصر لأن دعوته هى الحق وهى الحب وهى الإخاء

السادات سجل فى الكتاب مشاعره وخواطره وآراءه وأفكاره عن رحلة الحج التى أداها عام 1954

كتاب «الجديد» عبارة عن سلسلة كتب شهرية تصدر عن مجلة «الجديد» التى أصدرها الدكتور رشاد رشدى عن الهيئة المصرية العامة للكتاب فى العام ١٩٧٢ واستمرت فى الصدور حتى يناير ١٩٨٣ .
فى تصديرها للكتاب قالت مجلة الجديد إن «نحو بعث جديد» نشر لأول مرة فى عام ١٩٦٣، وإن المجلة يسعدها أن يسمح لها السيد الرئيس بإعادة نشره فى هذه المرحلة المهمة من تاريخنا التى تشهد إعادة بناء الحاضر والمستقبل.
أغفلت مجلة «الجديد» أن هذا الكتاب كان عبارة عن مجموعة من المقالات التى نشرها السادات فى جريدة الجمهورية بداية من ١٦ أغسطس فى العام ١٩٥٤، وهى المقالات التى سجل خلالها مشاعره وخواطره وآراءه وأفكاره عن رحلة الحج التى اصطحبه فيها الرئيس جمال عبدالناصر فى شهر سبتمبر من العام ١٩٥٤، أى أن السادات بدأ فى كتابة ونشر مقالاته بعد أقل من شهر من عودته من الأراضى المقدسة.
ترك السادات نفسه على سجيتها تمامًا وهو يسجل مشاعره عندما كان يؤدى فريضة الحج، ورغم أن هناك شبهة حول من كان يكتب للسادات مقالاته - البعض يردد أن يوسف إدريس كان هو كاتبه - إلا أننى فى النهاية توقفت أمام الأفكار التى طرحها، فالكتابة قد لا تكون له، لكنه فى النهاية هو صاحب الرؤية.
عندما وقف السادات فى شرفة الفندق فى مكة، شعر أن ملابس الإحرام تمنحه التجديد والانطلاق، ورأى نفسه يعود بذاكرته إلى الأيام الأولى للإسلام عندما نهض محمد، صلى الله عليه وسلم، يدعو قومه إلى الدين الجديد، الذى كان أروع قصة فى تاريخ الكفاح والبطولة سطرها التاريخ وشهد بها الأعداء قبل الأصدقاء.
يصف السادات رحلة كفاح الرسول، صلى الله عليه وسلم، بقوله: وقف محمد وهو فرد ضد بلد بأكمله، بأشرافه، وعصبياته، وعنجهية أهله وهم سادة العرب، تحداهم جميعًا، وانتصر عليهم جميعًا لأنه آمن بربه ولم يفقد لحظة واحدة ثقته به.
وفى رأى السادات أن النبى محمدًا كان لا بد أن ينتصر لأن دعوته هى الحق، وهى الحب، وهى الإخاء إلى الحد الذى تحب فيه لغيرك ما تحبه لنفسك.
يدخل بنا السادات إلى صلب فكرته، وهى الفكرة التى أمسك بها وهو يقف أمام قبر الرسول، يقول: رأيت مكة ومعالمها، وزرت المدينة وما حواليها، وحين وقفت إلى قبر الرسول أخذت أناجيه هو وأبو بكر وعمر بما رأيته من أحوال المسلمين، ناجيتهم بحديث نفس وعت التاريخ، وترى اليوم ما يمر به المسلمون من محن وآلام.
كان السادات يشعر بالمرارة والأسى لما وصل إليه أتباع هذا الدين الذى كان كفيلًا بأن يهدينا لو اتبعنا خطوات محمد إلى طريق العدل والحق والعمل، وناجى الرسول: يا محمد، يا رسول الهدى، يا قاهر الظلم، يا رافع لواء الحق فى أرض شاع الجفاف فى رمالها، مثلما سرى فى قلوب أهلها الذين أضمروا لك الشر، يا نبى الله، نحن من حولك جئنا من أطراف الدنيا، من سهول روسيا ومن هضاب آسيا ومن أعماق أوروبا، ومن إفريقيا نحمل فى قلوبنا الإيمان بربك وبك وبرسالتك، وبكلماتك، وأنت الذى جددت لنا جميعًا معالم الطريق، أشرت لنا إليه، وحدثتنا عنه، وكنت قد مضيت فيه منذ مئات السنين حتى وصلت بقومك إلى نهايته.
ويتساءل السادات وهو لا يزال أمام قبر الرسول: ثم ماذا حدث للأبناء والأحفاد؟ ماذا حدث لذرية المسلمين؟ لقد ضلوا الطريق فتاهووا فى شعاب الأرض يستبد بهم الظلم والعرى والجوع؟
ويواصل السادات تساؤلاته عن أحوال المسلمين: كيف انهار الحق ودفنت العدالة ومحق الحق، فأصبحنا نحن المسلمين فى آسيا وفى أوروبا وفى إفريقيا يستبد بنا الظلم وتفترسنا الحاجة، ويقهرنا الغزاة على اختلاف جنسياتهم ومذاهبهم؟ أهم على حق ونحن على باطل؟ أهم رسل عدالة ونحن رسل شر؟ أم ترانا قد هزمنا فى أقواتنا وفى عملنا وفى نهضتنا، لأن هناك من أهم أحق منا بالحياة.
ويجيب السادات: لسنا على باطل لأننا نحن المسلمين نؤمن برسالة نبى بعثه الله لينقذ كل من ظلم فى قوته وفى علمه وفى حريته وفى إيمانه، ولسنا رسل شر لأننا لا ندعو إلى استعباد أو استغلال أو بطش، وليس هناك بشر أحق بالحياة من غيرهم على الاطلاق.
هذه القناعة دفعت السادات إلى أن يقول: إذن .. كيف أصبح حالنا كما هو عليه الآن؟ كيف جعنا وتعرينا وخضعنا لكل المظالم؟ كيف انقلب حالنا - نحن المسلمين - من يسر إلى عسر؟ لماذا أصبحنا جياعًا جهلة مرضى مستعبدين؟
ويتأمل السادات أوضاع المسلمين وهو يقف أمام قبر الرسول، صلى الله عليه وسلم، ويصل إلى نتيجة أنه يتحتم على المسلمين أن يندفعوا اندفاعًا إلى التأمل فى حالهم، فى تعاستهم وشقائهم وفى جهلهم وتأخرهم.
يقول: نحن المسلمين ورثنا مشعلًا مضيئًا باهرًا كان يمكن أن يهدينا إلى طريق الحق والعلم والخير والسلام، وكان يمكن لو اهتدينا به أن نقف على أقدامنا تحت الشمس عمالقة نقبض فى أيدينا على مقدراتنا وعلى رزقنا، لا يهزمنا باطش ولا يسخرنا ظالم ولا نشارك الدود فى مصيره وحياته، يمكننا أن نحقق هذا الحلم الرائع الجميل، كما حققه من قبلنا أجدادنا فى قديم الزمان، فلماذا لم نحقق هذا الحلم ثم قنعنا بالذل ورضينا بالتعاسة والبطش والسخرة، فهل انطفأ المشعل الباهر الذى أورثه لنا محمد فضللنا الطريق؟ أم ترى أن أجدادنا كانوا سحرة يسخرون الجن لتحقيق المعجزات، ونحن لا حول لنا ولا قوة.
وفى سى يمكنك أن تشعر به فى كلمات السادات، يقول: كان أجدادنا بشرًا مثلنا، والمشعل الباهر المضىء لم ينطفئ، لأنه فكرة من الأفكار العظيمة التى لا تموت ولا تتبدد، مَن إذن فعل هذا بنا وجعلنا نعيش فى هذه الحالة التعسة؟
دخل السادات إلى تفسير تخلف المسلمين وتراجعهم مدخلًا سياسيًا أولًا.
يقول: إنهم فئة منا، حكموا بلادنا فى الشرق والغرب، اختطفوا المشعل المضىء الباهر وأخفوه عن أنظارنا لكى يستعبدوا ويبطشوا ويسلبوا وينهبوا ثم يقولوا للمسلمين: نحن أولياء عليكم فأطيعونا، ويطيعهم المسلمون فيمضى الأولياء يحكمون والدنيا لهم والآخرة لنا، هكذا فسروا رسالة محمد، فالمسلم فى رأيهم من يصلى ويصوم رمضان ويخرج الشهادة من جوفه، ويطيع أولى الأمر.
ويضع السادات يده بدقة على تصور هؤلاء الحكام للمسلمين، فالمسلم فى رأيهم هو الذى يتعرى ويجوع ويمرض ثم يموت، المسلم فى رأيهم هو الذى يؤمن بتفسيرهم لرسالة محمد، لا بتفسير محمد نفسه لرسالته، رغم أن محمدًا لم يقل للناس صلوا وصوموا وانطقوا بالشهادة ثم موتوا، لقد قاد محمد المسلمين فى طريق العمل، وليس فى طريق السخرة، محمد جاهد وقاتل وأطلق دعوته فى الأمصار، لا ليُخضع الناس للكهنوت والغيبيات والقدر، بل ليعمل الناس وليعملوا ويعملوا ولا شىء غير العمل، فهو العمل وحده الذى يعصم الناس من الضلال، من الشر، ومن الحرب، ومن الفقر، ومن الجهل، ومن الزلل.
ويخرج السادات من التفسير السياسى لتخلف المسلمين إلى التفسير الفكرى.
فالذين اختطفوا مشعل محمد - فى رأيه - كانوا أصحاب مصالح تتعارض مع مصالح الجماهير، وقد شعروا أن تلك المصالح ربما عصفت بها رسالة نبى الله فزوروا الرسالة تحت سمع المسلمين وبصرهم، وبالقهر والتضليل والقوة أخضعوا المسلمين لرسالتهم لا لرسالة محمد.
فالرسول قال: لأن يأخذ أحدكم حبله على ظهره، ليحتطب ويعود آخر النهار ومعه خبزه ورزق عياله خير من أن يقضى نهاره فى صيام وصلاة، محققًا المعجزة بدعوته إلى العمل، لكن من زوروا الرسالة اختطفوا المشعل خطفًا، لم يتركوا المسلمين يعملون، كما أوصاهم محمد، من أجل رزقهم وخبز عيالهم، بل دعوهم إلى العمل من أجل حماية مصالحهم والذود عنها والموت فى سبيلها.
ويقارن السادات بين النبى محمد ومن قاموا بتزوير رسالته.
فمحمد كان ثائرًا .. وهم كانوا ناعمين.
ومحمد كان مناضلًا .. وهم كانوا طلاب متعة وعشاق لذة.
ومحمد كان حقيقة .. وهم كانوا وهمًا كبيرًا.
الحل الذى وضعه الرئيس السادات لهذه المعضلة، كان محددًا، يقول: كان لا بد أن يقود المسلمين رجال قضوا أعمارهم فى نضال وكفاح وإيمان، لا فى أسرة وثيرة أو فى مقاعد تحوطها السلامة والأمان، حتى كان يمكن أن يستأنف هؤلاء القادة المناضلون نفس الشىء، الدعوة إلى العدل والحق والعمل، الدعوة إلى محق الظلم الذى عانوه، والدعوة إلى الحق لأنهم افتقدوه، والدعوة إلى العمل لأنهم يؤمنون به، أما أن يأتى رجل لم يناضل ولم يكافح فى سبيل شىء على الإطلاق فى كل سنوات عمره، ويختطف مشعل محمد ثم يزعم أنه يريد أن ينقذ عباده ويهديهم إلى الطريق، ذلك الرجل لا شك سيصنع مأساة، سيجعل من المسلمين أشباهًا له، لا يرغبون فى كفاح أو فى نضال أو فى عمل، سيجعل منهم فئة تؤمن بالانتهازية والخطف مثله، تؤمن بأن الدين صلاة وصوم وتمتمة بالدعوات وشعوذة وأفعال مجاذيب، وتعصب وظلام وجمود وخضوع لما هو مكتوب..
وهذا هو السبب فى ضياعنا نحن المسلمين.
وبمباشرة ووضوح يعلق السادات الجرس فى رقبة من فعلوا بنا ذلك.
يقول: تركنا فئة منا تخطف المشعل الباهر المضىء لتنهب وتسلب وتحكم، ثم قنعنا فى دنيانا بالصلاة والسلام على محمد، ومحمد برىء منا، لأنه دعا إلى الاحتطاب من أجل الخبز، دعا إلى العمل ثم فضله على الصلاة والصوم، وكانت هذه الدعوة تكفى لهدايتنا إلى الطريق، تكفى لكى

في الكتاب ترك السادات نفسه على سجيتها تمامًا وهو يسجل مشاعره

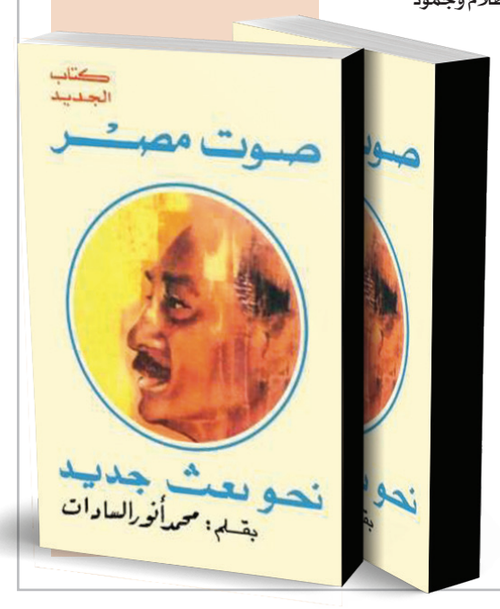

نحو بعث جديد (٤)

بقلم : أنور السادات

ان الحديث عن الخواطر التى تداعت فى رأسى وأنا أتنقل فى أرض الحجاز بين الآلاف من المسلمين جاؤوا من كل فج عميق سيظل بى وبك أيها القارئ ...

ولقد قلت لك أمس أن الشغل الشاغل الباحث الذى يتملكنى - نحن المسلمين - عن سبيل المخلصين النوار لنبينا محمد ، لن يخلصه أحد بعد اليوم لبطئه فيضل المسلمون الطريق من جديد ...

بل سوف يأخذ مخلصون نوار كثيرون من أجل الحق والعدل والعمل ، ليواصلوه عاليا حتى يراه الذين يمشون فى الظلمات على الطريق مضيئة ينورونه ...

واليوم ، وقبل أن أمضى فى الحديث عن الأمل الذى انبثق - أخيرا - أمام المسلمين وهم يؤدون فريضة الحج هذا العام ... أود أن أقول أننى شاهدت مولد مسجزة !!

وكنت قبل أن أشاهد مولدها قد شاهدت وفود المسلمين الذين جاؤوا من مصر ، ومن كل بقعة من بقاع الأرض يوحد الله ويصلى على محمد، وقد بدت على وجوههم الطيبة السكينة ...

كانوا حيارى - جميعا - وفى أعينهم شئ ما تحدثنى أنه أيضا !!

ما هو هذا الشئ ؟!

ولماذا لا يفصح أصحابه عنه ؟!

كانوا يقبلون علينا .. مسلمين من آسيا ، ومن افريقيا ، ومن كل أطراف الأرض .. فى يحيطون بنا ...

والذى أثار اهتمامى كان كامنا فى كل عين التقت بها عيناى !

انهم يريدون أن يقولوا لنا شيئا ...

وخيل الى أنهم يريدون منى بخاصة

نحو بعث جديد (٥)

بقلم : أنور السادات

هل وجد الدين لكى يعد الناس للآخرة فقط ؟!

واذا كان الأمر كذلك .. فهل أصبح من المحتم على أصحاب كل دين أن يعدوا أنفسهم منذ اللحظة التى يولدون فيها حتى آخر دقيقة من عمرهم لكى يدخلوا الجنة ، لا يعملون ولا يتطورون ، ولا يقيمون حضارة ولا يشيدون مدنية .. بل يتركون أنفسهم للمقادير يتراكم الصدأ على عقولهم وأرواحهم ، يتمتعون بالأدعية ويعدون حبات المسابح و .. الخ ؟!

أقولها بكل ما أملك من إيمان ان الدين ليس كذلك ، والذين يوهمون البشر بأن الانسان ما وجد الا ليترهبن ويعد نفسه للدخول الجنة ما هم الا أعداء للدين .. ولكل الأديان !!

ان الدين ما وجد الا لكى ينتشر العمران وتقام الحضارات فى كنفه ، ويعم العلم ويشيع العمل !

ولقد قلت أمس ان الشعوذين والدجالين - تجار الدين - ارتكبوا أشنع جريمة فى حق ملايين المسلمين ، ومن ثم ترتب على تفكيرهم المنحرف عن أصل الدين واستغلالهم لرسالة محمد ، وتفسيرهم لها حسبما شاءوا ، ان ترتب على كل هذا أن اتهم المسلمون بالتأخر والجهل وكل صفة وضيعة تمتهن آدميتهم !

الدين لم يوجد الا لكى ينتشر العمران وتقام الحضارات فى كنفه ، ويعم العلم ويشيع العمل !

ولقد قلت أمس ان الشعوذين والدجالين - تجار الدين - ارتكبوا أشنع جريمة فى حق ملايين المسلمين ، ومن ثم ترتب على تفكيرهم المنحرف عن أصل الدين واستغلالهم لرسالة محمد ، وتفسيرهم لها حسبما شاءوا ، ان ترتب على كل هذا أن اتهم المسلمون بالتأخر والجهل وكل صفة وضيعة تمتهن آدميتهم !

و - نحن المسلمين - متأخرون فعلا !! وهذه حقيقة يؤلمنا كلنا مثلما هو مسؤول عن تأخرنا وجهلنا وعن مأساتنا كلها فلسفا نحن المسلمين - على أى حال !! وليس الدين نفسه ، بل المسئول هو هؤلاء التجار الذين يخطفون المشاعل ليطفئوها حتى تضل الجماهير الطريق !!

ويلح السؤال على السادات مرة أخرى ، فيقول : لماذا لم يتأخر سوى المسلمين ، ولماذا لم يمرض سواهم ، ولم يعم الجهل غيرهم ، ولم ينتشر الخراب الا فى ربوعهم ؟!

فكل الأديان يعيش أصحابها فى أمان وسلام ، وفى كنف العلم والعمل والحق والعدل ، ولم يقل أحد إنهم قد كفروا بدياناتهم ، فهم يقيمون الصلوات ويحتفلون بمولد كل نبى لهم ، ويبتهلون فى الملمات إلى الله ويسجدون له .

ويقارن السادات بين ما نحن عليه وما عليه أوروبا ، يقول : لقد عرفت أوروبا أن الدين لم ينزله الله على رسله لكى يعد البشر أنفسهم لدخول الجنة ، بل عرفت أوروبا بعد صراع بين المفكرين الذين فهموا حقيقة الدين وبين الكهانة القائمة على الخرافة والشعوذة ، أن الدين أُنزل على عباد الله لكى يحطم أغلالهم ويحميهم من الظلم والسخرة والجهل ، ويحميهم مما يهدد تقدمهم ورزقهم وعلمهم وحرياتهم .

ويضيف السادات : عرفت أوروبا الحقيقة وتركناها نحن - المسلمين - ، تركنا الحقيقة تضيع منا ، وكانت بين أيدينا نوجه بها مقدراتنا ونتقدم على هديها نحو المستقبل العظيم ، الذى حدده لنا أعظم الثوار وأقدر المناضلين نبينا رسول الله محمد .

ويحسم السادات موقفه ، فيقول : يمكننا أن نعرف أن الدين ، أى دين ، يمكن أن يستغله الدجالون والمشعوذون والانتهازيون طلاب الأسلاب والغنائم والجاه والشهرة ، كما يمكن أن تستغله الشعوب ، وهذا هو الأقل فى وجوده ، فالدين لم يوجد إلا من أجل الملايين ، لا الأفراد ، ومن واقع الملايين ومن صميم حياتها تنتشر الديانات وترسخ فى القلوب ، فالذى يدعونا إلى الإيمان برسالة معينة لا يمكن أن تكون رسالته متعارضة مع مصالحنا ومع تقدمنا ودوافعنا ، مع ازدهار معيشتنا وأمننا وسلامنا ، والا لما وُجد من يؤمن به وبرسالته ويتبعه ، ثم يناضل معه من أجل نشرها بين العباد ، ومن أجل هذا انتصر «محمد» على جميع أعدائه ، وعلى ضوء الحقيقة انطلق العرب فى بسالة وراءه يستشهدون وينشرون العدل والحق والعمل فى جميع الأمصار .

وفى مواجهة تتجدد مع أصحاب الكهانة ، يذهب السادات إلى أنه يتحتم على المسلمين أن يفهموا حقيقة دعوة «محمد» كما أنزلها الله عليه ، لا كما يريدها الانتهازيون والدجالون وتجار الدين أن يصوروها لهم ، بدافع من رجعيتهم وضعفهم وعشقهم للشهرة والجاه والسلطان .

يقول السادات : يتحتم علينا أن نقف فى وجه تجار الدين ونَصفهم بالحقيقة ، فنقول لهم إن محمد لم يدع المسلمين إلى الكهانة والجمود ، أو إلى العبث بحق الإنسان سواء كان هذا الإنسان رجلاً أو امرأة فى العلم والمعرفة .

ويفتح السادات بخطابه مساحة مهمة وكبيرة عن خروج المسلمين من تخلفهم ، والعودة مرة أخرى إلى أصول الدين الحقيقية بعيدًا عن الكهان وتجار الدين ، ولن نتعجب أن تكون هذه المساحة هى مساحة الثقافة .

يعرف السادات الثقافة تعريفًا واقعيًا ، فهى التى تحدد مقدار وعى الفرد ، ومن ثم تلزمه بشق الطريق نحو مستقبله ، وفى الحدود التى تحقق مصالحه وحرياته وآماله بل وحقوق ومصالح وآمال الجماهير كلها .

ويجزم السادات : إذا أردنا أن نحقق معجزة توحيد الشعوب الإسلامية على أساس ما بلغه التطور الإنسانى من مدنية وعلم ومعرفة وحق وعدل ومساواة يجب أن نبدأ فى بعث ثقافة للفرد ينفعل معها ويؤمن بها ، ومن ثم يبدأ فى شق طريقه مع المجموع نحو الأهداف التى يكافح البشر جميعًا من أجلها ، وهذا هو الطريق .

وينبه السادات من يقرأ له حتى لا يعتبر أن المقصود بالثقافة هى التعليم فى المدارس والجامعات ، لأن الفرق بين الثقافة والتعليم شاسع ، فالمثقف هو الذى يعرف الطريق إلى الحياة والحرية والعدل والحق ، كما يعرف وسائل الانطلاق فى ذلك الطريق ، أما المتعلم فهو الذى يدرس لكى يحترف عملاً يرتزق منه .

ويتجه السادات بحديثه إلى ثقافة الفرد المسلم ، فيؤكد أنها ثقافة ينبغى أن يكون لها طابع يتسم به مئات الملايين من أتباع النبى محمد ، يجب أن تكون الثقافة مستمدة أصلاً من تاريخ هذه الملايين ، من نضالها ومن واقعها ومن مصالحها ومن حضارتها ومن أدبها ومن فنها ، ثم لكى تصبح ثقافة واعية متقدمة متطورة يتحتم أيضًا أن تكون مرتبطة بثقافة ووعى البشر جميعًا .. فالثقافة فى العالم وحدة لا تتجزأ .

وينطلق السادات إلى هدفه الواضح بقوله : يساعدنا نحن - المسلمين - على بعث ثقافتنا وتمكينها من رءوس الملايين تلك الحقيقة الناصعة التى تقول إن الإسلام هو الدين الوحيد الذى تضمن إلى جانب مبادئه السماوية مبادئ اجتماعية تحدد قيمة الإنسان العظمى فى الحياة ، ثم تعترف بحقه فى العلم والرزق والحرية وكل ما يمنع عنه شبح المأساة .

يضرب السادات مثلاً على ما يقوله .

فالإسلام مثلاً لم يحتم شل نصف المجتمع ، المرأة ، والحيلولة بين هذا النصف وبين الاشتراك فى نضال البشرية من أجل مستقبلها وأمنها وسلامها ، لكن الكهانة وتجار الدين يفرضان على المرأة المسلمة أن تولد ثم تلد ثم تموت ، أى جعلت منها آلة مسيرة لا عقل لها ولا رأى ولا حق .

وكيف يمكن أن تبعث ثقافة الفرد المسلم ويتم توحيد الشعوب المسلمة ، وخلق نهضة المسلمين ونصفهم باسم الدين يجب أن يظل مغلولاً بلا عقل ؟

ويدلل السادات على ما يقوله بواقعة شهدها بنفسه .

يحكى : لا أنسى حادثًا وقع أمام عينى ذات يوم ، فقد رأيت شابًا متعلمًا ينتمى إلى إحدى الهيئات المعروفة فى إحدى المناسبات ، وكانت هناك سيدة فاضلة فى المكان ، صافحناها جميعًا نحن الرجال وكان زوجها طبعًا معنا ، وعندما مدّت السيدة الفاضلة يدها إلى ذلك الشاب لتصافحه ارتد إلى الوراء مذعورًا كأن إنسانًا يهاجمه ليقتله ، ورفض أن يصافح السيدة ، وسألناه : لماذا ؟ والحيرة تستبد بنا ، ففهمنا منه أن الذين يوجهونه فى الحياة ويخضع لهم فى نشاطه وفى أفكاره قد أكدوا له أن محمد الرسول المناضل الحر لم يضع يده فى يد امرأة .

ويعلق السادات على هذه الواقعة ، يقول : من خلال هذا الحادث البسيط العابر يمكننا أن نفهم مدى ما يتمتع به تجار الدين فى بلادنا من وعى وإيمان بالتطور الإنسانى ، وبرسالة أقوى الثوار وسيد الأحرار «محمد» ، فهم بدلاً من أن يقولوا لهذا الشاب إن محمدًا قد دعا إلى العمل وبناء المجتمع وتخليص البشرية من الجهل والجمود والاستغلال ونشر العمران والحضارة فى جميع الأقطار ، يحدثونه عن وضع يد الرجل فى يد المرأة وكيف يصبح هذا جريمة ، وكيف أن منع هذه الجريمة هو الهدف الذى نزلت من أجله رسالة الإسلام .

ويعيد السادات طرح القضية من جديد ، يسأل : الكهانة إذن فى بلاد المسلمين تريد أن تعطل نصف المجتمع .. لحساب من ؟ أيفعلون ذلك لحساب النهضة والبعث والحرية والعدل والحق ؟ أم لحساب التطور الإنسانى ومصالح الأفراد والجماعات ؟

ويجيب السادات : لا هذا .. ولا ذاك .. فتعطيل نصف المجتمع معناه تأخر هذا المجتمع وتخلفه عن اللحاق بموكب المدنية والعلم والتقدم ، وهذا إذن يكون قطعًا لحساب

محمد أسد

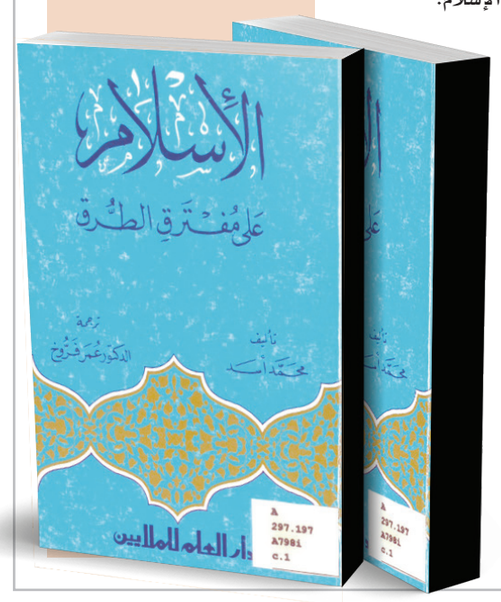

نحو بعث جديد (٦)

بقلم : أنور السادات

كان الحديث بين سفير أفغانستان وبينى عابرا سريعا ، والحديث كان عن المسلمين وأحوال المسلمين وهلاء المسلمين ...

وقبل أن أستأنف الكلام عن الكهانة وتجار الدين ، والجريمة التى ارتكبوها فشوهوا بها حياتنا .. أود أن أسجل هنا بقى ما تضمنه ذلك الحديث .

ان سفير الأفغان عالم أديب جليل واسع الثقافة ، وهو مسلم مثل وكل ملايين البشر .. لكن حديث كان مختلفا ، بجعلنا نذكر الفاضل الجليل جمال الدين الأفغانى المفكر المسلم ، الذى عرف بوعيه العظيم بن مأساة المسلمين من صنع الكهانة ، كما عرف أن الكهانة هى ربيبة الاستعمار .. فعمدا فى كل كلماته وفى أعماله ركزة الى القضاء عليه .. على الأصل لكى يختفى الظل !!

ولقد تحدثنا عن الأسلوب الذى يمكن أن تتوحد به الشعوب الاسلامية ، وعن الأسس التى يمكن أن تقوم فى ضوئها هذه الوحدة ..

ان الحاجة الى توحيد ملايين المسلمين الجديدة ، والتى لا حصر لها ، هى أسس تتمشى مع الواقع الذى يعيش فيه العالم الآن ، وسائر التطور الهائل العظيم الذى بلغته الانسانية أخيرا .. أقول ان هذه الحاجة لم تصبح مجرد ضرورة تحتمها رغبة تلك الشعوب فى التحرر والانطلاق الى الحياة .. الى الحق والعدل والعمل ..

وتناول الحديث نقطة أخيرة المسلم ، التى قيل لها طابر فى الوقت الراهن ، بل ليست لها معالم معروفة أن المجسمات !!

والثقافة كما هو معروف هى التى تحدد مقدار وعى الفرد ، ومن ثم الزمه بشق الطريق نحو مستقبله ، وفى الحدود التى تحقق مصالحه وحرياته وآماله بل وحقوق ومصالح وآمال الجماهير كلها !!

فلقد أردنا أن نحقق معجزة توحيد الشعوب الإسلامية على

تشويه الإسلام

السادات: «الكهانة» أرهقت الشعوب الإسلامية وحطمت إمكاناتها وعصفت بها عصفًا

البعض استغلوا الدين استغلالًا شائنًا وتاجروا به كأنه بضاعة تخضع للعرض والطلب

نتكتل من أجل أهدافنا، كانت تكفى لكى نعرف أن الدين نضال وليس كلامًا يخرج من فم رجل مجذوب يريد أن يتسلق فوق أكتاف المسلمين.. وهكذا انقلب حالنا من يسر إلى عسر.

وبشفافية ووضوح كامل فى الرؤية يذهب السادات إلى أسباب الداء الذى أصاب المسلمين وجعلهم يعيشون كل هذا التخلف.

فبالنسبة له أرهقت الكهانة الشعوب الإسلامية وحطمت إمكاناتها وعصفت بها عصفًا، وفى كل عصر مر بتلك الشعوب كان المشعوذون والانتهازيون وطلاب الأسلاب والغنائم يظهرون بين صفوف المسلمين، يستغلون مأساتهم الكبرى المغلقة على الفقر والجهل والحاجة فيقودونهم إلى طريق الكهانة الأثيم.

الصورة تتضح أمامنا أكثر، يقول السادات: وهكذا استغل هؤلاء الدين استغلالًا شائنًا وتاجروا به كأنه بضاعة تخضع للعرض والطلب، فأصبح الدين فى نظر هؤلاء صلاة وصومًا وتمتمة وعد حبات المسابح وترديد الأحاديث بلا فهم ودعوة إلى الرضا بما هو مكتوب على الجبين، وباسم الدين يقفز من حين لآخر دجال مشعوذ رجعى بين الصفوف لينادى المسلمين أن يتبعوه.

ويسأل السادات: ونقول يتبعونه إلى أين؟

ويجيب: هو لا يقول شيئًا، هو لا يعرف شيئًا، لكنه يتكلم عن الله وعن محمد وعن الصحابة والأولياء، وعن الدستور الأعظم «القرآن» ثم يسكت عن الكلام المباح، ويقع المسلمون فى شرك ذلك الدعى الكاهن، يقعون بحسن نية تدفعهم أحاسيسهم نحو الله ونحو الرسول، وأصبح من السهل أن يدس تجار الدين أشياء غريبة عنه ولم يجئ بها صاحب الرسالة على الإطلاق، وأصبح من السهل أن يحصل أفراد، من هذا النوع، على مكاسب شخصية وعلى بغيتهم فى الدنيا، وهى لا تخرج عن مطمع فى سلطان، ورغبة فى نفوذ وعشق للجاه والشهرة.

ويضع السادات يده على فكرة مهمة تفسر لنا نجاح هؤلاء الأدعياء.

يقول: والجماهير بالرغم من هذا التخريب فى صفوفها مستريحة إلى حد ما، لأنها تعتقد أن سيرها وراء تجار الدين يقربها من الله، وكان أن أصبح المسلمون فى نظر العالم والرأى العام العالمى فئة من المشعوذين، بل وتجرأ البعض فاتهمهم بالوثنية، وهو معذور ورب الكعبة، فهذا التأخر الذى هم فيه، وهذا الفقر الذى هم فيه، وهذا الجهل الذى يسود تفكيرهم وخطواتهم، قد جعل الرأى العام العالمى يؤمن بأن الإسلام دين شعوذة ورجعية واستسلام للوهم.

بهذه الطريقة، كما يرى السادات، تمت الجريمة، جريمة تشويه أعظم الرسالات وأقواها وأكثرها ثورية وإيمانًا بالتقدم، وكانت الكهانة جريمة ترتكب فى حق أتباع محمد، وفى حق المؤمنين بأقوى المناضلين وأقدرهم.

ويسأل السادات مستنكرًا: فهل كان يجب أن يسكت الرجال الذين يؤمنون بالعدل والحق والعمل على هذه الجريمة؟

ويدخل بنا إلى قضية أعتقد أنها فى منتهى الخطورة، وأعتقد أيضًا أنها لا تزال مؤرقة للمسلمين ولأصحاب الديانات فى كل مكان.

يطرح السادات سؤالًا مهمًا وهو: هل وُجد الدين لكى يُعد الناس للآخرة فقط؟

وهنا تطول الإجابة وتتشعب ونجد أنفسنا أمام مواجهة تتسم بالشجاعة.

فإذا كانت الأديان جاءت لتعد الناس للآخرة، فهل أصبح من المحتم على أصحاب كل دين أن يعدوا أنفسهم منذ اللحظة التى يولدون فيها حتى آخر دقيقة من عمرهم ليدخلوا الجنة لا يعملون ولا يتطورون ولا يقيمون حضارة ولا يشيدون مدينة؟ بل يتركون أنفسهم للمقادير يتراكم الصدأ على عقولهم وأرواحهم، يتمتعون بالأدعية ويعدون حبات المسابح؟

ويجيب السادات عن سؤاله القلق والمُقلق، يقول: أقولها بكل ما أملك من إيمان إن الدين ليس كذلك، والذين يوهمون البشر بأن الإنسان ما وجد إلا ليترهبن ويعد نفسه لدخول الجنة ما هم إلا أعداء للدين.. ولكل الأديان.

فالدين، كما يراه السادات، ما وجد إلا لكى ينتشر العمران وتقام الحضارات فى كنفه ويعم العلم ويشيع العمل، ولذلك فإن المشعوذين والدجالين تجار الدين ارتكبوا أشنع جريمة فى حق ملايين المسلمين، ومن ثم ترتب على تفكيرهم المنحرف عن أصل الدين واستغلالهم لرسالة «محمد»، وتفسيرهم لها حسبما يشاءون، وترتب على كل هذا أن اتهم المسلمون بالتأخر والجهل وكل صفة وضيعة تمتهن آدميتهم.

ويعترف السادات: نحن - المسلمين - متأخرون فعلًا، وهذه حقيقة، وإذا كان هناك من هو مسئول عن تأخرنا وجهلنا وعن مأساتنا كلها فلسنا نحن - المسلمين - على أى حال، وليس محمدًا، وليس الدين نفسه، بل المسئول هم هؤلاء التجار الذين يخطفون المشاعل ليطفئوها حتى تضل الجماهير الطريق.

ويلح السؤال على السادات مرة أخرى، فيقول: لماذا لم يتأخر سوى المسلمين، ولماذا لم يمرض سواهم، ولم يعم الجهل غيرهم، ولم ينتشر الخراب إلا فى ربوعهم؟

فكل الأديان يعيش أصحابها فى أمان وسلام، وفى كنف العلم والعمل والحق والعدل، ولم يقل أحد إنهم قد كفروا بدياناتهم، فهم يقيمون الصلوات ويحتفلون بمولد كل نبى لهم، ويبتهلون فى الملمات إلى الله ويسجدون له.

ويقارن السادات بين ما نحن عليه وما عليه أوروبا، يقول: لقد عرفت أوروبا أن الدين لم ينزله الله على رسله لكى يعد البشر أنفسهم لدخول الجنة، بل عرفت أوروبا بعد صراع بين المفكرين الذين فهموا حقيقة الدين وبين الكهانة القائمة على الخرافة والشعوذة، أن الدين أُنزل على عباد الله لكى يحطم أغلالهم ويحميهم من الظلم والسخرة والجهل، ويحميهم مما يهدد تقدمهم ورزقهم وعلمهم وحرياتهم.

ويضيف السادات: عرفت أوروبا الحقيقة وتركناها نحن - المسلمين -، تركنا الحقيقة تضيع منا، وكانت بين أيدينا نوجه بها مقدراتنا ونتقدم على هديها نحو المستقبل العظيم، الذى حدده لنا أعظم الثوار وأقدر المناضلين نبينا رسول الله محمد.

ويحسم السادات موقفه، فيقول: يمكننا أن نعرف أن الدين، أى دين، يمكن أن يستغله الدجالون والمشعوذون والانتهازيون طلاب الأسلاب والغنائم والجاه والشهرة، كما يمكن أن تستغله الشعوب، وهذا هو الأقل فى وجوده، فالدين لم يوجد إلا من أجل الملايين، لا الأفراد، ومن واقع الملايين ومن صميم حياتها تنتشر الديانات وترسخ فى القلوب، فالذى يدعونا إلى الإيمان برسالة معينة لا يمكن أن تكون رسالته متعارضة مع مصالحنا ومع تقدمنا ودوافعنا، مع ازدهار معيشتنا وأمننا وسلامنا، والا لما وُجد من يؤمن به وبرسالته ويتبعه، ثم يناضل معه من أجل نشرها بين العباد، ومن أجل هذا انتصر «محمد» على جميع أعدائه، وعلى ضوء الحقيقة انطلق العرب فى بسالة وراءه يستشهدون وينشرون العدل والحق والعمل فى جميع الأمصار.

وفى مواجهة تتجدد مع أصحاب الكهانة، يذهب السادات إلى أنه يتحتم على المسلمين أن يفهموا حقيقة دعوة «محمد» كما أنزلها الله عليه، لا كما يريدها الانتهازيون والدجالون وتجار الدين أن يصوروها لهم، بدافع من رجعيتهم وضعفهم وعشقهم للشهرة والجاه والسلطان.

يقول السادات: يتحتم علينا أن نقف فى وجه تجار الدين ونَصفهم بالحقيقة، فنقول لهم إن محمد لم يدع المسلمين إلى الكهانة والجمود، أو إلى العبث بحق الإنسان سواء كان هذا الإنسان رجلاً أو امرأة فى العلم والمعرفة.

ويفتح السادات بخطابه مساحة مهمة وكبيرة عن خروج المسلمين من تخلفهم، والعودة مرة أخرى إلى أصول الدين الحقيقية بعيدًا عن الكهان وتجار الدين، ولن نتعجب أن تكون هذه المساحة هى مساحة الثقافة.

يعرف السادات الثقافة تعريفًا واقعيًا، فهى التى تحدد مقدار وعى الفرد، ومن ثم تلزمه بشق الطريق نحو مستقبله، وفى الحدود التى تحقق مصالحه وحرياته وآماله بل وحقوق ومصالح وآمال الجماهير كلها.

ويجزم السادات: إذا أردنا أن نحقق معجزة توحيد الشعوب الإسلامية على أساس ما بلغه التطور الإنسانى من مدنية وعلم ومعرفة وحق وعدل ومساواة يجب أن نبدأ فى بعث ثقافة للفرد ينفعل معها ويؤمن بها، ومن ثم يبدأ فى شق طريقه مع المجموع نحو الأهداف التى يكافح البشر جميعًا من أجلها، وهذا هو الطريق.

وينبه السادات من يقرأ له حتى لا يعتبر أن المقصود بالثقافة هى التعليم فى المدارس والجامعات، لأن الفرق بين الثقافة والتعليم شاسع، فالمثقف هو الذى يعرف الطريق إلى الحياة والحرية والعدل والحق، كما يعرف وسائل الانطلاق فى ذلك الطريق، أما المتعلم فهو الذى يدرس لكى يحترف عملًا يرتزق منه.

ويتجه السادات بحديثه إلى ثقافة الفرد المسلم، فيؤكد أنها ثقافة ينبغى أن يكون لها طابع يتسم به مئات الملايين من أتباع النبى محمد، يجب أن تكون الثقافة مستمدة أصلًا من تاريخ هذه الملايين، من نضالها ومن واقعها ومن مصالحها ومن حضارتها ومن أدبها ومن فنها، ثم لكى تصبح ثقافة واعية متقدمة متطورة يتحتم أيضًا أن تكون مرتبطة بثقافة ووعى البشر جميعًا.. فالثقافة فى العالم وحدة لا تتجزأ.

وينطلق السادات إلى هدفه الواضح بقوله: يساعدنا نحن - المسلمين - على بعث ثقافتنا وتمكينها من رءوس الملايين تلك الحقيقة الناصعة التى تقول إن الإسلام هو الدين الوحيد الذى تضمن إلى جانب مبادئه السماوية مبادئ اجتماعية تحدد قيمة الإنسان العظمى فى الحياة، ثم تعترف بحقه فى العلم والرزق والحرية وكل ما يمنع عنه شبح المأساة.

يضرب السادات مثلًا على ما يقوله.

فالإسلام مثلًا لم يحتم شل نصف المجتمع، المرأة، والحيلولة بين هذا النصف وبين الاشتراك فى نضال البشرية من أجل مستقبلها وأمنها وسلامها، لكن الكهانة وتجار الدين يفرضان على المرأة المسلمة أن تولد ثم تلد ثم تموت، أى جعلت منها آلة مسيرة لا عقل لها ولا رأى ولا حق.

وكيف يمكن أن تبعث ثقافة الفرد المسلم ويتم توحيد الشعوب المسلمة، وخلق نهضة المسلمين ونصفهم باسم الدين يجب أن يظل مغلولًا بلا عقل؟

ويدلل السادات على ما يقوله بواقعة شهدها بنفسه.

يحكى: لا أنسى حادثًا وقع أمام عينى ذات يوم، فقد رأيت شابًا متعلمًا ينتمى إلى إحدى الهيئات المعروفة فى إحدى المناسبات، وكانت هناك سيدة فاضلة فى المكان، صافحناها جميعًا نحن الرجال وكان زوجها طبعًا معنا، وعندما مدّت السيدة الفاضلة يدها إلى ذلك الشاب لتصافحه ارتد إلى الوراء مذعورًا كأن إنسانًا يهاجمه ليقتله، ورفض أن يصافح السيدة، وسألناه: لماذا؟ والحيرة تستبد بنا، ففهمنا منه أن الذين يوجهونه فى الحياة ويخضع لهم فى نشاطه وفى أفكاره قد أكدوا له أن محمد الرسول المناضل الحر لم يضع يده فى يد امرأة.

ويعلق السادات على هذه الواقعة، يقول: من خلال هذا الحادث البسيط العابر يمكننا أن نفهم مدى ما يتمتع به تجار الدين فى بلادنا من وعى وإيمان بالتطور الإنسانى، وبرسالة أقوى الثوار وسيد الأحرار «محمد»، فهم بدلًا من أن يقولوا لهذا الشاب إن محمدًا قد دعا إلى العمل وبناء المجتمع وتخليص البشرية من الجهل والجمود والاستغلال ونشر العمران والحضارة فى جميع الأقطار، يحدثونه عن وضع يد الرجل فى يد المرأة وكيف يصبح هذا جريمة، وكيف أن منع هذه الجريمة هو الهدف الذى نزلت من أجله رسالة الإسلام.

ويعيد السادات طرح القضية من جديد، يسأل: الكهانة إذن فى بلاد المسلمين تريد أن تعطل نصف المجتمع.. لحساب من؟ أيفعلون ذلك لحساب النهضة والبعث والحرية والعدل والحق؟ أم لحساب التطور الإنسانى ومصالح الأفراد والجماعات؟

ويجيب السادات: لا هذا.. ولا ذاك.. فتعطيل نصف المجتمع معناه تأخر هذا المجتمع وتخلفه عن اللحاق بموكب المدنية والعلم والتقدم، وهذا إذن يكون قطعًا لحساب

> من السهل أن يدس تجار الدين أشياء غريبة عنه ولم يجئ بها صاحب الرسالة على الإطلاق

> فتح السادات بخطابه مساحة مهمة وكبيرة عن خروج المسلمين من تخلفهم والعودة مرة أخرى إلى أصول الدين الحقيقية

تشويه الإسلام

نحو بعث جديد (٧)
بقلم : انور السادات
وامضى معك أيها القارىء في حديثي الطويل ، فاستأنف كلامي عن ثقافة الفرد المسلم . تلك التي ليس لها وجود في الوقت الراهن ...
وكنت قد حدثتك بما حدثنا خاطفا منها وعن مفهومها والتزاماتها ، وتحدثت عن الوسيلة التي تمكننا نحن المسلمين من بعث ثقافتنا ، حتى يمكن أن ننهض ومن ثم نصبح مثل غيرنا ، نعيش في كنف العدل والحق والعمل !
والثقافة وحدة لاتتجزأ في هذا العالم ، فاذا كانت مزدهرة في ركن منه ومندثرة في ركن آخر ، أصبح من المحتم أن يساهم هذا في بعث ثقافة ذاك.
فكيف يكون ذلك ؟!
في التاريخ ... تاريخ البشرية سجلت هذه الحقيقة فاصبحت قانونا لايمكن نقضه ولنضرب مثلا عن تاريخنا ... نحن المسلمين ، أيام ان كنا نهتدي بسماحة محمد على حقيقتها ، وقبل ان تستبد السكهانة بنا ، وقبل أن يفرض علينا تجار الدين الجمود والجوع والحمى والفرقة والجهل !!
كان ذلك في مستهل القرن العاشر الهلالي حتى القرن الثالث عشر ، وتلك الفترة اطلق عليها المؤرخون في الشرق والغرب عصر العرب الزاهي ..
وتحدث المؤرخون عن ذلك العصر فقالوا ان العرب كانوا رسلهم حملة مشاعل الثقافة في الدنيا كلها !
وفي ذلك العصر الجميل علما العرب الحياة علما ومدارج من العمل والخلق السامقين في ربوعهم على نبض تراث ابينا العظيم .
ذلك التراث الذي حاول الرومان دفنه في أعماق الأرض حقدا منهم وحسدا من

نحو بعث جديد (٨)
بقلم : انور السادات
من رأيي أن أعظم وأجل الأعمال التي يمكن أن يقوم بها المصلحون في بلاد المسلمين ، هي أن يفتحوا آذان الشعوب الاسلامية وعيونهم على التراث الانساني الثقافي ، سواء أكان هذا التراث اسلاميا أم سابقا للاسلام أم لاحقا له !..
ولا أود أن أقدم هذا الرأي باعتباره اقتراحا قابلا للدراسة والتمحيص ، بل هو حقيقة وأمنية يتحتم الاعتراف بها ما دمنا نحن المسلمين نريد أن نفتح الأبواب أمام البعث الجديد ، واذا لم نؤمن بهذه الحقيقة فلا سبيل على الاطلاق الى النهوض بشعوب العالم الاسلامي لأنه من المحال جعل البعث الجديد أمرا واقعا في بلادنا المتأخرة الجاهلة المريضة الجائعة اذا لم نعمل فورا على ازاحة الغشاوة عن عيون الملايين المسلمة ، لكي ترى الطريق ، ومن ثم تبدأ ثقافة الفرد المسلم تأخذ شكلها الجديد في هذا القرن العشرين المليء بالنور ، المليء بالمدنية ، المشحون بالمعرفة ..!!
واستأنف حديث الامس .. وكنت قد مررت بك أيها القارىء مرا سريعا بالتاريخ ـ تاريخنا نحن المسلمين ـ وحدثتك عن الدور المجيد الذي قام به اجدادنا في عصرهم الزاهي أيام بني العباس ، في سبيل تقدم البشر جميعا بلا تحيز ، وبلا حقد ولا حسد ... !
وقلت أن مثل الامس كان كافيا لاثبات تلك الحقيقة الرائعة .. التي

نحو بعث جديد (٩)
بقلم : انور السادات
بسائلني بعض القارىء : هل الثقافة وسيلة .. أم غاية ؟!
واقول للاخ : ان الثقافة وسيلة وحضارة هي الغاية ...
الثقافة تصنع الحضارات ، لتصنع الحرية تصنع الحياة وتهيجها
وفي هذا القرن العشرين بمثله توجد حضارة لم تكن تخطر على بال اكثر المفكرين كقدما في الزمن البعيد او القريب .
ونحن نحيا ـ نحن المسلمين ـ من ذلك الحضارة المزدهرة دواما الفيل بل هنيل الى حد الاسى !
نحن نعيش وراء تلك الحضارة ، ونكاد ننساقط من الاعياء والارهاق ، نكاد نسقط هنها عاجزة وزعم أننا !
وفي خلال الاخيرة اوضحت من خلال تاريخ البشرية في القرون الوسطى السبب في انبعاث الحضارة هناك ، وتصرعها هنا ... في بلاد المسلمين ..
هناك في الغرب كان القانون تصريحه ، وتم القضاء على تجار الدين . فانبعثت النهضة ، وهنا في الشرق تركنا السكهانة تصنع الدين ، فاستغل في القضاء على نصيبنا من الحضارة ، وتركنا نصيبي تاجر الدين منذ القرن الثالث عشر حتى القرن العشرين !
وانا احب بل اهدف الى تاكيد هذا المعنى في كل مقالاتي الاخيرة لا رغبة مني او من الثورة في كشف اساليب تجار الدين الذين لايسرهم ان يعلمون نفوسنا وقيود حضارتنا ؟!
هذا رأيي هدفي .. التفهم الانساني كما يهم ؟!
انا اتكلم من هذه المقالات التي شاءت ظروف نشرها ان تبدأ بعد عودتي من ارض النبي ـ فهو توضيح حقيقة تاريخية كان من المحال ان يشار اليها بكلمة قبل ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ..
اي قبيل بداية الطوفان .. ايام ان كان الهمس بالحقيقة جريمة بل ذنبا عظيما .

الرئيس: أعظم الأعمال التى يمكن أن يقوم بها المصلحون هى أن يفتحوا آذان الشعوب على التراث الإنسانى الثقافى

المقال العاشر كان خاتمة لأفكار وخواطر السادات ومصارحة حول أسباب تخلف المسلمين وكان بعنوان «تجار الدين»

السادات ومبارك وحسب الله الكفراوى وعثمان أحمد عثمان

أعداء البشرية، ولحساب الرجعية، ولحساب المشعوذين.

وفى رؤية تجديدية أعتقد أننا ما زلنا فى احتياج مُلح إليها الآن يدلنا السادات على ما يعتبره أعظم الأعمال، يقول: من رأيى أن أعظم الأعمال التى يمكن أن يقوم بها المصلحون فى بلاد المسلمين هى أن يفتحوا آذان الشعوب الإسلامية وعيونهم على التراث الإنسانى الثقافى، سواء أكان هذا التراث إسلاميًا أو سابقًا للإسلام أم لاحقًا له.

ولا يقدم السادات هذا الرأى باعتباره اقتراحًا قابلًا للدراسة والتمحيص، بل هو حقيقة وأُمنية يتحتم الاعتراف بها ما دمنا نحن- المسلمين- نريد أن تفتح الأبواب أمام البعث الجديد، وإذا لم نؤمن بهذه الحقيقة فلا سبيل على الإطلاق إلى النهوض بشعوب العالم الإسلامى لأنه من المحال جعل البعث الجديد أمرًا واقعًا فى بلادنا المتأخرة الجاهلة المريضة الجائعة إذا لم نعمل فورًا على إزاحة الغشاوة عن عيون الملايين المسلمة، لكى ترى الطريق، ومن هنا تبدأ ثقافة الفرد المسلم تأخذ شكلها الجديد فى هذا القرن العشرين المليء بالنور، المليء بالمدنية المشحون بالمعرفة.

تواصلت مقالات الرئيس السادات فى جريدة الجمهورية التى كونت هذا الكتاب «نحو بعث جديد» حتى وصلت إلى المقال التاسع، ثم توقفت، وهو ما أثار التساؤلات حول هذا التوقف، فقرر السادات أن يستأنف الكتابة بمقال عاشر، قرر أن يكون خاتمة لأفكاره وخواطره ومصارحته حول أسباب تخلف المسلمين ومحاولة الخروج منه.

كان عنوان المقال الأخير هو «تجار الدين».

وبدأه بقوله: كنت أعرف وأنا أواصل كتاباتى عن البعث الجديد أن المسألة قد تبلغ من الخطورة حدًا يُرغمنى على التفرغ لها، والأعمال كثيرة والمسئوليات ضخمة والوقت محدود، إننى لم أكن أود على الإطلاق أن أتوقف عن الكتابة فى مسألة خطيرة كهذه تشغل أذهان الملايين فى بلاد المسلمين هنا فى الشرق وهناك فى الغرب، لكن ظروف العمل المتشعب الأطراف ومسئولياته أرغمتنى على التوقف عند المقال التاسع، ثم كان علىّ أن أواصل الحديث بعد أيام لكن تلك الظروف والمسئوليات أكلت وقتى كله.

ويضيف السادات: وبدأ الكثيرون يتساءلون: لماذا توقف أنور السادات عن مواصلة حديثه الخطير؟ والواقع أن عشرات الأسئلة كانت تترى وتملأ أذنى كل يوم، وكنت أبتسم لغرابتها، ثم كان علىّ لكى أوقف سيل الأسئلة أن أستأنف الحديث عن البعث الجديد، وعن مأساة المسلمين فى إفريقيا وفى آسيا وفى أوروبا.

فى المقال الأخير ركز السادات على القضية الأساسية وهى كيف وقع المسلمون بين مخالب الكهانة، فقذف بهم تجار الدين إلى هوة مظلمة بعيدة عن الحضارة التى صنعها الأجداد، وبعيدة عن المدنية، وعن العلم والحق والعدل.

ويعرض لكتاب وضعه مستشرق من النمسا اسمه «ليوبولد فايس» اعتنق الإسلام، وهو فى غمرة بحثه الطويل عن السبب فى مأساة المسلمين.

المستشرق اسمه بعد إسلامه «محمد أسد» والكتاب عنوانه «الإسلام فى مفترق الطرق».

يقول السادات: شعرت وأنا أقرأ الكتاب بأن المسألة بالنسبة لنا نحن- المسلمين- ما دمنا نريد أن نحطم أغلال الكهانة ونقيم سدًا منيعًا يحمينا من الخطر الذى يهدد مستقبلنا ويعزلنا عن التطور والحضارة ويمنعنا من المساهمة مع البشر جميعًا على اختلاف مذاهبهم ودياناتهم فى إقامة دعائم عالم يسوده الأمن والحق والعدل والسلام.

ويحسم السادات هذه القضية بقوله: أقول إن المسألة فى هذه الحالة بالنسبة لنا أن نزيل تجار الدين من طريقنا، ثم بعد ذلك لن تقف أمامنا قوة لتمنعنا من الانطلاق نحو أهدافنا، نحو الحق والعدل والسلام، وتلك أهداف محمد نبينا.

أما لماذا وصل السادات إلى هذه القناعة؟

فلأن المستشرق «ليوبولد فايس» أو «محمد أسد» جاء من أوروبا إلى الشرق فى عام ١٩٢٢، وكان وقتها يعمل صحفيًا وأوفدته بعض أمهات الصحف ليراسلها من إفريقيا ومن آسيا، ومضى يتجول فى ربوع بلاد المسلمين، وكان اهتمامه بتلك البلاد فى بداية الأمر لا يتعدى اهتمام رجل غريب، ثم بعد أن مضى عليه بعض الوقت فى الشرق الإسلامى وجد أن أحاسيسه قد بدأت تنفعل بما يراه.

فى هذه الجولة رأى محمد أسد نظامًا اجتماعيًا ونظرة إلى الحياة تختلف اختلافًا أساسيًا عما هو عليه الحال فى أوربا، فنشأ فى نفسه ميل إلى إدراك الحياة أكثر هدوءًا أو بعبارة أخرى أكثر إنسانية.

زار أسد أفغانستان والحجاز وسوريا وانتقل من بلد إلى بلد وهو يدرس ويبحث مُسقطًا من حسابه واجبه كصحفى، ناسيًا أن عمله الذى يرتزق منه يوشك أن يضيع، كان قد بدأ يتأمل فى الحياة، وعندما أعلن إسلامه كان يريد أن يواصل دراساته لهذا الدين الذى لم يسمع عنه أيام أن كان يعيش فى النمسا معزولًا عن الشرق وفلسفته، وقد دفع ذلك الشاب إلى البحث عن حياة أكثر هدوءًا وواقعية أو كما يقول أكثر إنسانية، فمضى يواصل الليل بالنهار يدرس الحضارة العربية وفلسفة علماء العرب، وحقيقة «رسالة محمد» بنظرة علمية تحتلف اختلافًا كليًا عن نظرة تاجر دين أو مشعوذ.

من بين ما وصل إليه «محمد أسد» وتوقف عنده السادات ما قاله: لقد كوّنت رأيًا، وهو أنه فى الإمكان تنظيم الحياة الإنسانية مع أقل قدر ممكن من النزاع الداخلى، ومع أكبر قدر من المشاعر الإنسانية.

وعندما تمر الأعوام بالشاب «ليوبولد» الباحث عن حلول لمأساة البشر وهو يطوف بالشرق تُروعه الحياة العفنة التى تعيشها الملايين، فيقول: على أى حال إن الحياة الإسلامية فى الواقع تبدو فى أيامنا هذه بعيدة جدًا عن الإمكانات العظمى التى تتضمنها تعاليم الإسلام، فما كان فى الإسلام من تقدم وحيوية أصبح اليوم تراخيًا وركودًا، وكل ما كان فى الإسلام من إيثار وكرم أصبح اليوم أنانية وعشقًا للحياة الهنية، وأصبح ضيق نظر.

تخيل «ليوبولد» نفسه مسلمًا يعيش فى بلاد المسلمين، وهو يقول إن تلك تجربة عقلية بحتة، فإنه كلما ازداد فهمًا لتعاليم الإسلام ازداد رغبةً فى التساؤل عما دفع أتباع «محمد» إلى عدم تطبيق تعاليم ذلك النبى تطبيقًا عمليًا على الحياة الحقيقية، أى على الواقع المسيطر على كل بلد والذى يختلف قطعًا عنه فى أى بلد آخر؟

ناقش «ليوبولد» هذه المسألة مع كثيرين من المفكرين المسلمين كما يقول من طرابلس الغرب إلى هضبة «البامير» فى الهند، ومن البوسفور إلى بحر العرب، وقد دفعته مناقشاته تلك مع هؤلاء المفكرين إلى مضاعفة اهتمامه بالعالم الإسلامى من الناحية الثقافية.

يقول «ليوبولد»: عندما زادت رغبتى تلك واهتمامى أصبحت أتكلم إلى المسلمين أنفسهم فأشفق على الإسلام، وأنا غير المسلم، من إهمال المسلمين وتراخيهم.

عاد «ليوبولد» إلى أوروبا وهناك مضى يدرس ويبحث ويتأمل، ثم عاد إلى الشرق ليواصل دراساته، ثم سافر إلى الحجاز ونجد ليكمل تلك الدراسات، وكان لا يزال يبحث عن أسباب انحدار الشعوب الإسلامية إلى تلك الهوة المظلمة حيث لا علم ولا حضارة ولا حق ولا عدل ولا عمل.

يقول «ليوبولد» إن هذه الدراسات والمقارنات قد خلقت فى نفسى عقيدة راسخة وهى أن الإسلام من وجهتيه الروحية والاجتماعية لا يزال- بالرغم من جميع العقبات التى خلقها المسلمون- أعظم قوة ناهضة بالهمم عرفها البشر، لهذا اتجهت رغباتى كلها منذ ذلك الحين حول مسألة بعثه من جديد.

يضع السادات تجربة «محمد أسد» جانبًا ويعود مرة أخرى إلى رؤيته، ويضعها أمامنا فى إيجاز ووضوح، يقول: مسألة البعث الجديد إذن هى الطريق، هى الطريق الذى يرى جميع المفكرين والثوار والمناضلين أن مستقبلنا فيه، وبلا بعث جديد يشمل كل بلاد المسلمين فى آسيا وفى إفريقيا وفى كل مكان لن ننهض ولن نجد رزقًا أو علمًا أو حقًا أو عدلًا.

ويسأل السادات: كيف يمكن أن يتم هذا البعث الجديد؟ كيف نصبح نحن- المسلمين- مثل غيرنا من البشر، نملك علمًا وحقًا وعدلًا، ونتحكم فى مصائرنا ونصنع حياة بهيجة لا يشوهها بطش أو قهر أو استبداد؟ كيف نمضى فى طريقنا مع البشر جميعًا بلا تعصب وبلا أنانية وبلا وَهْم؟

ويجيب السادات فى إجابة أخيرة: نحن لا نزعم أن الحق والعدل والعمل أهداف يجب أن ننالها نحن دون غيرنا، ونحن لا ندّعى أن من حق المسلمين وحدهم أن يتحكموا فى العلم وفى المدنية، نحن لسنا متعصبين أو تجار دين أفاقين يزعمون أن الله قد أورثهم الأرض ومن عليها، نحن نؤمن بالإنسانية كوحدة لا تتجزأ، نحن نريد أن نسهم فى بناء العالم مع جميع البشر على اختلاف مذاهبهم ودياناتهم وفلسفتهم، بلا حرب وبلا دمار وبلا معارك، لكن كيف نصنع هذا كله؟

يقول السادات فى الختام: إننا أولًا كمسلمين يتحتم علينا أن نعرف تراثنا، حتى نقيم أسس بعثنا الجديد على قواعد علمية وتاريخية.

قد لا يتصور كثيرون أن الرئيس السادات طرح هذه الرؤية منذ سبعين عامًا، فقد ظهرت على صفحات جريدة الجمهورية فى العام ١٩٥٤، ولا يتصور أحدٌ أنها مرت كما تمر رؤى كثيرة دون أن نتوقف أمامها بالبحث والدراسة والتطبيق، لكن يبدو أن هذا قدرنا.. لأننا لا نقرأ.. وقد يكون هذا هو سر تخلفنا الأكبر.

بلا بعث جديد لن ننهض ولن نجد رزقًا أو علمًا أو حقًا أو عدلًا

يثير الجدل دائمًا بآرائه الخارجة عن السياق، وبشجاعته وإصراره على الدفاع عن أفكاره ومعتقداته رغم الهجوم العنيف الذى يتعرض له بسببها، ورغم تخصصه المهنى فى مجال الطب لكنه سخّر طاقته فى البحث والمعرفة فى مجالات بعيدة كل البعد عن وظيفته مثل التراث الدينى وغيره.

إنه الطبيب والتنويرى الدكتور خالد منتصر، الذى أصدر مؤخرًا كتاب «سماسرة السماء» عن دار ريشة للنشر، والذى يناقش فيه ظاهرة الألتراس الدينى على نحو جمع بين المنهجين الفانتازى والعقلانى.

وفند «منتصر» فى كتابه الكثير من الأفكار والفتاوى الغريبة التى طرحها عدد من المشايخ والدعاة خلال السنوات الماضية، محللًا ظاهرة التأييد المطلق من قبل شرائح من الجمهور تلك الآراء الشاذة، والتى أرجعها إلى ضعف المستوى التعليمى والثقافى لدى الأجيال المختلفة.

عن كتابه الجديد وما به من أفكار ورؤى، أجرت «حرف» مع خالد منتصر الحوار التالى.

حسام الضمرانى

ضد سماسرة السماء

خالد منتصر: التنوير قادم رغم الفاتورة الغالية وأواجه الوقاحة بالابتسامة

■ فى عام ٢٠٠٧ فند الدكتور رفعت السعيد فى كتابه «أوهام الخلافة.. وفتاوى بير السلم» ظاهرة النقل الأعمى من كتب التراث ودعا لإعمال العقل وليس النقل وتفسير النص وفق أسباب النزول وتخليص الدين من محاولات استخدامه شعارًا أو أداة فى الصراع السياسى، وهو ما تنادى به فى كتابك الصادر حديثًا بعنوان «سماسرة السماء».. فى رأيك لماذا لم يتحقق ذلك حتى اليوم؟

- أتفق مع الدكتور رفعت السعيد؛ ولكن دعنى أوضح أن ما دعا إليه الراحل لم يكن من أطروحاته الخاصة بل كان ضمن منظومة ظهرت فى أواخر ثمانينيات وأوائل تسعينيات القرن الماضى والتى قدمت هذا الطرح، ومن قبل ذلك طرح المستشار سعيد العشماوى فى مقالاته بمجلة روز اليوسف فكرة دراسة «أسباب النزول»؛ وفرق بينها ومناسبات النزول.

وكان المعنى الذى يقصده رفعت السعيد أو سعيد العشماوى، أو حتى محمد نور فرحات أو غيرهم هو توضيح فكرة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ؛ وغيرها من العلوم التى قامت على قاعدة أساسية مهمة، هى أن الثابت الوحيد فى هذا الكون هو التغير، ولا بد من أن نحترم هذا التغير، وهذا القانون يقول لنا إنه حتى النص المقدس يقاس بغطائه الزمانى والمكانى.

ولا بد أن نتساءل لماذا امتلأ القرآن الكريم بألفاظ «التجارة»؛ لأن المجتمع الذى نزل فيه كان مجتمعًا تجاريًا، ولماذا قيل تركبون البغال والحمير وليس الصواريخ والطائرات والقطارات، لأن هذا هو الإطار الزمنى والمكانى الذى يتحركون فيه، لماذا الخيام والأرائك والعنب هى الموعودة لنا فى الجنة، لأن هذا هو أقصى أمانى الرجل البدوى القابع فى الصحراء؛ كل هذه الأشياء إن لم نحترمها ونحترم التغير سنضع الدين نفسه فى مأزق لأننا سنحطمه، ونجعل الشباب ممن يتعامل مع الكمبيوتر والإنترنت والعلاج الجينى والهندسة الوراثية إلى آخره يعانى، فنحن الذين خلقنا خصومة بين العلم والدين من خلال إصرارنا على تحنيط الدين فى النصوص القديمة فقط.

■ أشرت فى كتابك الجديد إلى ظاهرة «الحمل المستكن» التى تتحدث عن بعض مدعى المدنية الذين يكذبون علمهم حتى لا يحرجوا فقهاءهم.. اشرح لنا تلك الفكرة؟

- هذه الظاهرة لها حكاية طريفة ولكنها تنتمى إلى الكوميديا السوداء؛ لأننى أول من علقت عليها فى جريدة المصرى اليوم.

وخلفية الأمر أننى دُعيت لندوة فى كلية الطب بإحدى الجامعات الخاصة، وأشرت خلالها إلى القضية التى أجمع عليها الفقهاء الأربعة، وهى أن مدة الحمل بالنسبة للأنثى من الممكن أن تمتد إلى سنتين وإلى أربع وإلى خمس سنوات؛ وليست تسعة أشهر؛ وعندما قلت ذلك كان فى ذهنى أنه لن يعترض أحد على انتقادى لهذا الأمر، خاصة وأنا موجود فى قلعة علمية اسمها كلية الطب.

لكن المفاجأة أننى وجدت طبيب «نساء وولادة» قد وقف منفعلًا صارخًا، ويتهمنى بالكفر لأننى قلت هذا الكلام مستنكرًا أننى أخالف رأى الفقهاء فى أن الحمل قد يصل لأربع سنوات؛ فأخذتنى الصدمة وفكرت كيف لطبيب درس فى كلية الطب ثم أخذ الماجستير ثم أخذ الدكتوراه ثم أصبح أستاذًا فى الكلية وهو قادم من كلية طب حكومية عريقة ويدرس فيها، ويقول هذا الكلام الذى ينتمى إلى العبث العلمى!

■ ما تصوراتك حيال مستقبل التيار العلمانى فى مصر والوطن العربى؟

- بسبب هذا التحول التكنولوجى نعرف أن المعركة صعبة جدًا بل أصعب من المعارك التى خاضها ديكارت وفولتير؛ ولكنها ليست مستحيلة، وأقول برغم ذلك إننى متفائل أن التنوير قادم قادم، ولكن الفاتورة أصبحت أغلى، والاغتيال المعنوى أصبح متاحًا أكثر، وللأسف التيار الظلامى يستخدم التكنولوجيا أفضل من التيار التنويرى وهذا يجب أن يشار إليه، ونحن معذورون، لأن التيار الظلامى يملك ثروات ومليارات ومهاجرين للخارج وأغنياء ولكن رهانى على التاريخ.. فالتاريخ يقول إنه بعد 300 سنة اعتذرت الكنيسة لـ«جاليليو».

ولا بد للتيار العلمانى والتنويرى أن يستفيد من الآليات الحديثة ولا يتعالى على «السوشيال ميديا» ولا يخاف من الشتائم ومن الهجوم، أنا شخصيًا عودت نفسى وعقلى على مواجهة هذه الشتائم والوقاحات بابتسامة.

د. خالد منتصر يتحدث للزميل حسام الضمرانى

وقتها لمعت أمامى فكرة أنه من الممكن أن يتخلى العالم أو الطبيب عن علمه مقابل تقديسه وانسحاقه أمام كلام التراث؛ وفكرت أنه إلى هذه الدرجة من الممكن أن يلغى عقله، وأن يرمى المراجع كلها.

هنا قلت إنه من المهم ألا ننخدع بكلمة أو بحرف «دال» قبل أى اسم، حتى لو كان صاحبه أستاذًا أكاديميًا فى أعرق جامعات العالم؛ لأنه من الممكن أن يزيف وعيه وتغسل دماغه.

■ إذن كيف ترى البناء المعرفى لهؤلاء الأساتذة؟

- أرى أن الطالب منذ كان طفلًا وهو يُقتل فيه السؤال؛ وتُكبت فيه علامات الاستفهام؛ فالتعليم يقول عن الطفل المتسائل إنه مشاغب ويخرج عن منهج الوزارة؛ وإن من يخرج عن منهج الوزارة مارق أو بلغة الدين «مرتد».

وضعف التعليم يقتل التفكير النقدى، واكتملت هذه المنظومة بإلغاء تدريس الفلسفة؛ إذًا قتلنا السؤال إلى الأبد فمن العادى جدًا أن من يعتبر المُدرس إلهًا لا يخطئ، أو منهج الوزارة لا يخطئ سيعتبر أمير الجماعة إلهًا لا يخطئ ويُجند بسهولة.

إذن نحن نقدم فى تعليمنا وجبة سهلة شهية للجماعات الدينية، ومن السهل جدًا أن تجد أستاذًا يقول إنه عالج الصداع النصفى بالاعتكاف، ومن السهل جدًا أن تجد طبيب قلب يقول إن المشى إلى المساجد- وليس الكنائس- يخفض الكوليسترول، ومن السهل جدًا أن تجد صيدليًا يقول إن الكركومين يعالج جميع الأمراض.

إذن ستجد آلافًا ممن يحملون شهادة الطب أو الصيادلة أو من يحملون شهادة علمية أو من الجيولوجيين، يقولون إن البراكين والزلازل عقاب ربانى، أو إن «تسونامى» عاقب من يرتدون المايوهات فى إندونيسيا أو آسيا؛ وهذه الثقافة التى تربى على الطاعة والوصاية والانسحاق هى التى خلقت أزمة تلك النماذج.

■ بعد إعلان الدولة المصرية القضاء على الإرهاب عام ٢٠٢٣ بعد عشر سنوات من محاربته.. ما زلت تطرح فى مؤلفاتك فكرة أن خطورة المعركة مع الإخوان والتيار المتأسلم لم تكن دينية ولكن تكمن فى المناورات السياسية.. لماذا؟

- من الممكن أن نقول إننا انتصرنا جزئيًا على الإرهابيين لكن ما زالت المعركة قائمة ضد الإرهاب نفسه، خاصة وأن الإرهاب فكرة قبل أن يكون لغمًا أو «ديناميت» أو حزامًا ناسفًا أو «كلاشينكوف»، وأنه لا بد أن يعالج بالفكر، لأن «مشتل الإرهاب» لم يغلق بعد، فما زال موجودًا فى منابر ومؤسسات ومدارس وجامعات، وما زال يعمل بكل نشاط.

ما زال هناك مواطنون يقولون إن نظرية التطور كفر، وما زال هناك من يقول إن المرأة لا بد أن تضرب للتأديب، وهذا إرهاب، وما زال هناك من يقول إن من ينتقد التاريخ الإسلامى أو يناقش كتب الحديث فهو كافر، هذا أيضًا إرهاب فكرى، وما زال هناك من يقول إن ظهور شعر المرأة يرسلها فى جهنم، فالمعركة ضد الإرهاب ماراثون مستمر، ولا بد لكل تنويرى أن يعرف أن المعركة طويلة وفاتورتها غالية وتكاليف ضرائبها مرتفعة جدًا.

■ فى رأيك مَن أبرز من لعبوا أدوار «سماسرة السماء» من الشخصيات العامة سواء دعاة أو فنانين أو رجال دين أو علماء وأكاديميين؟

- سماسرة السماء فكرة من أخطر ما يمكن لأنها تُصادر العقل تمامًا وتقول لك أجَل إعمال عقلك، وأجل صناعة جنتك على الأرض لأن ما ينتظرك هو أفضل وأشهى، وهذا مجرد انسحاق أمام كلمات تراثية، وكسل عن إتقان أى شىء.. ومسألة الشخصنة فى سماسرة السماء ليست هى المهمة لأنه من الممكن أن يكون هناك سمسار للسماء بدون عمامة؛ لأن من يرتدى العمامة ويبيع لك الجنة واضح وصريح، لكن من يتسلل من خلال بالطو الطبيب أو خوذة المهندس أو روب المحامى أخطر من رجال الدين، لأنهم يبيعون لك البضاعة المخدرة فى ورقة ملونة، فيستطيع أحدهم أن يخدعك ويزيف وعيك بمصطلحات طبية أو بإعجازات علمية أو بكلمات أكاديمية.

■ يأخذ البعض على من يخوضون معركة تحرير العقل المصرى، الانطلاق من مشكلات التراث دون التطرق للأبعاد السياسية أو الاقتصادية أو المجتمعية أو حتى الثقافية التى وضعت هذا العقل فى غياهب الجب.. ما رأيك؟

- هذا الاتهام جاهز وهو حقيقى لكنه يراد به باطل؛ لأن معركتنا فى العلمانية هى معركة مصيرية، ولم يتحقق أى تقدم سياسى أو اقتصادى أو اجتماعى بدون مجتمع علمانى، وسأعطى مثالين؛ الأول هى شركات توظيف الأموال التى دمرت الاقتصاد والتى ما زالت حتى الآن لكن تغير اسمها إلى «المستريح»، أصلها تجارة دينية ونتيجة ترسيخ خرافة «البركة»، فمثلًا تجد من يقول لك إنه يتاجر مع الله.

وبالنظر إلى «مستريح أسوان» الذى كان مدخله فى حديثه للناس أنه رأى السيدة زينب فى المنام، وجمع ٣٠٠ مليون جنيه فى أسبوع لا يستطيع جمعها فرد لبناء مؤسسة، لكن الفلاح الأسوانى البسيط دفعها للمستريح نتيجة أن العقل كان مغيبًا دينيًا.

والمثال الثانى هو الانتخابات التى أفرزت الإخوان المسلمين، فلم تكن انتخابات مزيفة بل كانت نزيهة، وكذلك برلمان الإخوان المسلمين الذى كانت أغلبيته الساحقة من الإخوان قد انتُخب بواسطة مصريين، لكن لماذا كان المصرى الذى ذهب إلى صندوق الانتخاب يعطى صوته للإخوانى؟، لأنه قال له إن الإسلام هو الحل؛ وهذه الظاهرة السياسية إذا لم نستطع عزلها عن السياق الدينى، فلا إصلاح سياسيًا أو اقتصاديًا أو اجتماعيًا إلا وسيقوم على أساس علمانى أصيل.

■ ذكرت فى كتابك أن تجار الدين يخاصمون الجمال ويتآلفون مع القبح.. اذكر لنا بعض الوقائع التى تدلل على ما ذهبت إليه؟

- لدى عدد من الوقائع؛ الواقعة الأولى مثلًا هى واقعة «فستان حبيبة» والهجوم الذى حدث لطالبة صغيرة فى جامعة طنطا لأنها ارتدت فستانًا ورثته عن الأم والجدة فى خمسينيات وستينيات القرن الماضى وحالة التنمر التى وجهت لها، أما الواقعة الثانية المتعلقة بمقتل الفتاة نيرة أشرف، فالذى أصابنى بالرعب أكثر هو وقوف شباب كثر إلى جانب القاتل محمد على نتيجة أنهم يتصورون أنها تستحق القتل لأنها غير محجبة.

أما الواقعة الثالثة وهى محاولة أم دهس ابنتها بسيارتها لأنها خلعت الحجاب، وهذه الأم تعمل ممرضة، فهى تخلت عن إنسانيتها مقابل فكرة دينية تلبست عقلها وروحها.

أما الواقعة الرابعة والتى لم أذكرها فى الكتاب لأنها واقعة حديثة، هى واقعة إقدام أب على حلق شعر ابنته الطالبة بكلية الآداب وكيها بالنار لأنها خلعت الحجاب؛ هذه الوقائع منها ما يفسر أن مصريين كثيرين أصبحوا أعداء للجمال.

■ فى النصف الأول من القرن العشرين أدى عدد من المشايخ ورجال الدين والمفكرين دورًا كبيرًا فى عملية التنوير ومجابهة التطرف بكل أشكاله ثم حدثت قطيعة مع هذا التيار المستنير.. لماذا توقف ذلك الحراك؟

- هذه القطيعة مع التنوير أو ما نسميه بـ«كراهية أو فوبيا التنوير» بدأت مع هزيمة ١٩٦٧ وتصاعدت مع الهجرة لدول الخليج التى كان يسيطر عليها الفكر الوهابى آنذاك، هنا بدأت الكراهية وأصبح كل من ينشر فكرًا تنويريًا أو يتحدث بطريقة تنويرية أو يقول عن نفسه إنه علمانى يتهم بالكفر، لأن الناس فسروا الهزيمة على أنها عقاب ربانى لهذا المجتمع الذى كان علمانيًا.

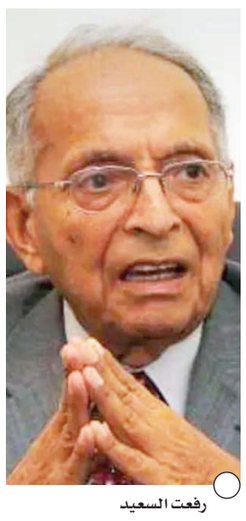

رفعت السعيد

سعيد العشماوى

> الثابت الوحيد فى هذا الكون هو التغير والنص المقدس يقاس بغطائه الزمانى والمكانى

> لا إصلاح سياسيًا أو اقتصاديًا أو اجتماعيًا دون أساس علمانى

> القرآن الكريم امتلأ بألفاظ «التجارة» لأنه نزل فى مجتمع تجارى

> خلقنا خصومة مع العلم بإصرارنا على تحنيط الدين فى النصوص القديمة

> قتل السؤال فى الطفل خلق أجيالًا تعتبر أمير الجماعة إلهًا لا يخطئ

تحت الطبع

كنت أرفض الإنصات إليه حين يشغلون أغانيه فى أفراح قريتنا فى آخر موجة

للأسطوانات السوداء الكلاسيكية قبل انتشار المسجّلات اليابانية والأشرطة الصغيرة

عدوية

اعتذار متجدد لـ«إمبراطور الأغنية الشعبية»

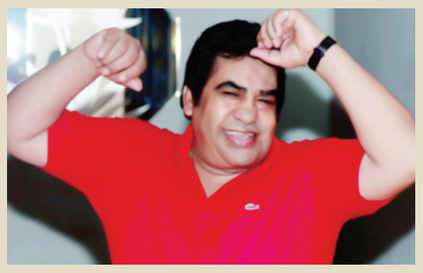

كنت عائدًا من عملى بمجلة «نصف الدنيا» ذات مساء. من عام ١٩٩٨- وفق الذاكرة-، وفوجئتُ بسائق التاكسى يتمايل على يمينه وشماله، بطريقة لافتة فظننته «مبَلْبع شىء»، ولأننا لحظتها كُنّا أعلى كوبرى أكتوبر، تصورت أنه قد يضيعنا كونه يغمض عينيه ويتطوَّح بانتشاء المشاركين فى حلقة ذكر.

بحدَّة: «فيه إيه»؟!

تعجب لسؤالى، وأشار إلى مسجّل السيارة: «أنت مش سامع يا أستاذ»!

وانتبهت لصوت جريح يمسُّ شغافَ القلب..

خطفنى شجنه الحنون:

دا القمر مسافر..

والسهر مسافر..

والفرحة مسافرة..

حتى الحزن سافر..

كل الناس مسافرة..

هفت المعانى على روحى بملمَس الساتان..

أشاعَ صدقُ المغنى إحساسًا بأسى لحظات الغروب، فطلبتُ من السائق إعادة الأغنية من أولها وسألته:

«مين المغنى ده؟!»

أذهلنى رده: «أحمد عدوية»..

يا اللاااه..

«هو صوته حلو كده»!!

سامحه الله «صلاح عيسى» و«أهباريته» الأسبوعية فى جريدة الأهالى. عدوية يتمتع بكل هذه العذوبة، ورهافة إحساسه بمعانى الكلمات، ويقتفى أسرار اللحن ومَكامن جماله باحتراف عفوى باهر، فيوقفنا فى المنتصف بين الصياح إعجابًا وراحة الدموع.

ولم أسمعه باهتمام مرَّة واحدة!!

لمَ تجنَّبت سماعه كل تلك السنوات وهو يغنى من بداية السبعينيات؟!

كنت أرفض الإنصات إليه حين يشغلون أغانيه فى أفراح قريتنا، فى آخر موجة للأسطوانات السوداء الكلاسيكية قبل انتشار المسجّلات اليابانية والأشرطة الصغيرة بعد انفتاح السادات «السداح مداح» منتصف سبعينيات القرن الماضى.

تماهَيت فى الأغنية، أو تماهَت هى بمشاعرى، حتى امتلأت روحى بالأسى، ومخاوف الرحيل المتكررة فى كلماتها، فأحسست ألا مناص من التطوح مثل السائق تمامًا.

لكنَّ حيائى ألزمنى الوقار.

أدرك أن الأغنية خَطفتنى مثله، فظل يُعيدها وحده طوال الطريق، وشعرتُ بأنى مَدين باعتذار للفنان «أحمد عدوية» شخصيًا، ولا بدَّ أن أبلغه بنفسى، فى صباح الغد.

وقرَّرت محاورته لأنقل إلى القراء ما جرى حين سمعت أغنيته «القمر مسافر».

ارتحت تمامًا للفكرة، فأنصت لأغنيته باستمتاع بقية الطريق، وردَّدت معه بصوت مسموع فانتشى السائق وشاركنى الغناء وكأننا زملاء رحلة، وعاد لتمايله مجددًا:

دقّيت على الأبواب..

قالوا كفاية.. كفاية..

دا مفيش حد..

وناديت على الأحباب..

قالوا كفاية.. كفاية..

ومين هيرد..

آآآآه..

دا القمر مسافر..

والسهر مسافر..

والفرحة مسافرة..

حتى الحزن سافر..

كل الناس مسافرة.. وهى قُريبة منى..

كل الناس فى غربة.. ومين هيسأل عنى..

آآآآه..

دا إحنا قريبين.. وهم قريبين..

لكن من سنين.. سنين.. كلنا مسافرين..

كلنا مسافرين.. كلنا مسافرين

أى شجن بهىٌ أطلّ، وغمسَ فى الأسى روحى!

لماذا يُبهجنا الحُزنُ فى الغناء، إلا أنه يُصفى مشاعرَنا من النُّواح، ويُبلل مآقينا بدمع الجمال؟!

أسئلة حائرة تُهرول من قديم الزمان، خلفَ إجابات لا تملُّ الإفلاتَ والهرب!

أليست هذه السلطنةُ التى تحاكى بها السمِّيعة، وتَنادم عليها عشاق الطرب؟

دخلتُ بيتى ووجدانى معبَّأ بمشاعر نبيلة، حزن وقور شفيف، وسماحة تجاهَ عدوية، وتعاطف كبير معه، ونقمة موضوعية على اليساريين الذين صادروا فرصَنا فى التفاعل بأنفسنا مع الفنون والإبداعات، وأقرَضونا وجهات نظرهم التى كانت تخصهم وحدَهم، واتَّضح أنها لم تكن أصيلة لدى كثير منهم، حين انكشف استهانتهم بنا وانقلبوا على تاريخهم، وباعوه رخيصًا، وبدَا أنَّ نضالهم كان ينتظر على الناصية، وحين داهَمهم «عمى البصيرة» قفزوا إلى سلم فرصتهم التى ترقَّبوهاه طويلًا كأنها الترام الأخير، ورحلوا بعيدًا جدًا عن مَرابض اليسار، وباتوا أعداء ألدّاء يقصفون قيمَه التى لم تمسّ نبالتها قلوبَهم الخاوية للحظة.

العجيب.. أنّنى حلمتُ بأغنية عدوية فى الليلة ذاتها، فى محيط مُغاير كثيرًا لجوِّ التاكسى.

جمعٌ من الأصدقاء والأحباب يتحركون بفرح وخفَّة فى مختلف الاتجاهات، فى مكان مكشوف على النيل مباشرة، والأضواء تحيلُ الليل إلى نهار مُبهج، وأغانى عدوية تتردَّد من مكبرات خفية متناثرة، وحين توجَع:

دا القمر مسافر..

حتى الحزن سافر..

تنبهوا، فسكنتُ حركتهم، واكتست وجوههم اللامعة بابتسامات مُشرقة، وفى صميم عيونهم لوعةُ الأسى ذاته.

صحوتُ منتشيًا، أردِّدُ مع عدوية:

كلنا مسافرين

كلنا مسافرين

بأقرب طبقات القرار لقاع قلبى.. حيث تراكمت تحويشة العمر من آهات الكتمان!

أفقتُ على نفسى أتطوَّح فى سريرى. ضحكتُ بسرور، وسلَّمت بأنَّ تأثير الأغانى الإيجابى أعمق من مصائب «البلبعة».

فى ذلك النهار، أذهَلنى أنها من ألحان وكلمات «بليغ حمدى»، وسمعتها بصوته، ففهمتُ أن عدوية يحفظ الألحان العذبة بطاعة مُطلقة، ثم يَشحنها بشَجنه العفوى، وتَسخو عليها موهبته الضافية.

ويومها أيضًا، وضعت يدى بدقَّة على سبب «إعراضى» القديم عن سماع «عدوية»، وتذكرتُ بوضوح مقالة للأستاذ «صلاح عيسى» فى «أهباريته بالأهالى» أيام تألقها المهنى الذى لم يدم كثيرًا، وأذكرُ من تفاصيله مع معناه: «ليس أتفه من (أحمد عدوية) فى الغناء إلا (أحمد رجب) فى الكتابة، صاحب نظرية الفِلَّة فى الفانلة، والدَّوبارة فى العِبارة»، أو شىء من قَبيل تلك السخافة.

كانت كتابات «صلاح عيسى» تُبهرنا، ونُسارع لاقتناء أى كتاب جديد له. وباب «الأهبارية» الأسبوعى يُدهشنا، وظننا بسذاجة أن «السخرية من الناس شىء جميل»، وحاولنا تقليدها لتأثرنا بالضرورة بآرائه فى سياقات شتى، وكان «عدوية» ممَّن ظَلمهم بسخريته، واستسهاله، وظلمناه بانسياقنا، وتصديقنا طلقات «مدفعيات اليسار» الفشنك، التى اتضح لاحقًا أنها لم تكن أكثر من «مسدسات ماء» بتأثير «فاروق حسنى» وزير الثقافة حينها.

أولئك الذين حادوا عن مَساراتهم الهشّة، واستبدلوا مواقفهم التى لم تكن قناعات يومًا ما، ومنحتنا

تحت الطبع

اكتشفت أن جُلَّ أغانيه تنتمى للجماعة الشعبية وتُعبر عنها بشكل حميم لذا ارتبط به البسطاء

وأحبوه بسهولة ولم تفقد ما تَنطوى عليه من قيمٍ لأنه غنّاها فى ملاهى شارع الهرم والفنادق الفخمة

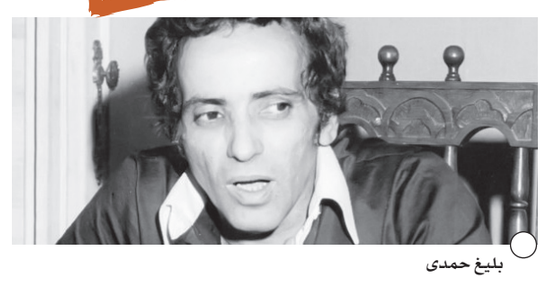
بليغ حمدى

مأمون الشناوى

سيد مكاوى

صلاح عيسى

عدوية وزوجته

انتهازيتهم فرصة لبلورة المعنى الجليل بأن «سقوط بعض الناس لا يعنى سقوط المبادئ»، وتدرَّجنا نقديًا لحد أعفانا من خيبات التلقى المجانى، وامتلكنا قدرة مُتصاعدة على تأمل المضامين، والتقاط الخفايا والدَّهلزة، والأهم.. أننا اكتسبنا مرونة المراجعة الدورية، فلا نسلم لأحد بصحة كلامه حتى نستوثق منه، ولا نترك آذانًا لأحد يبخّ فيها ما يشاء، ورحنا نبحث بأنفسنا عن الحقائق فى مَنابعها.

وكان «غناء وصوت أحمد عدوية»، من الأشياء التى راجعتها بتجرُّد ذاك اليوم!

وبالتدقيق، اكتشفت أن جُلَّ أغانيه تنتمى للجماعة الشعبية، وتُعبر عنها بشكل حميم، لذا ارتبط به البسطاء وأحبوه بسهولة، ولم تفقد ما تَنطوى عليه من قيم لأنه غنّاها فى ملاهى شارع الهرم، والفنادق الفخمة، وليست مُبتذلة لأنها جاءت فى حقبة السبعينيات التى حملَ فيها السادات على اليسار، وهوجمت رموزُ الثقافة المصرية، وبدأت تلك اليدُ العدوّة تطفئ مصابيحَ الوطن من خفائها الخسيس.

والأرجحُ عندى أنَّ «عدوية» «اتاخد فى الرجلين»، بلا ذنب منه، بجانب أنه إنسان عادى، طلع من تحت أنقاض الحياة، وخاض رحلة عصامية شاقّة فى الحياة والفن، ولا يعيبُه بنظرى أنَّ «كائنات البتر دولار» تكالبوا على الكباريهات وقت صعوده وتألقه، فقد بقى يغنّى «يا أهل الله يلّلى فوق ما تردّوا عللّى تحت» بكل إيحاءاتها المناوئة للطبقية، و«سلامتها أم حسن» الغارقة فى أجواء ثقافة الحسد والقوة والحميمية الشعبية، و«السحّ إدح امبو» التى بهرتنى معانى كلماتها أول مرة، وهى مصرية قديمة، وتعنى أن الطفل إذا بكى «السحّ»، يجب أن يبادر والداه لتدليه «الدح»، ويسقونه الماء «امبو».

ولم أتردَّد فى تجاوز الصخَب الذى صنعَه الفنان «هانى شنودة» فى أغنية «زحمة يا دنيا زحمة.. زحمة وتاهو الحبايب.. زحمة ولا عادش رحمة.. مولد وصاحبه غايب.. آجى من هنا .. أروح هنا زحماااا.. هنا أو هنا.. زحماااا.. زحمة وأنا رايح له.. وأنا فى وسط الزحام.. عايز يسمع وأقول له.. ما بيوصلس الكلام».

وأعتقد أنَّ «شنودة» شحنَها بتوتُّرات «ضجيج الزحام» و«فوضى الاكتظاظ» التى يُعانيها واقعنا الآن، التى تشعرُ الجموع بانعدام الخصوصية، والحريات الفَردية، وتُجبرهم على الاندماج القَمعى فى القطيع المتنامى بعشوائية جعلته يبدو ككائنٍ خرافى أعمى يتخبَّط فى كل شىء.. فى كل اتجاه.

وهنا لا أدافعُ عن عدوية كمناضل. فلم يمتلك وعيًا فكريًا يومًا ما، ولا موقفًا سياسيًا، لحرمانه من التعليم بحكم ظروفه، ومعاناته ويلات الفقر فى صِغره، وكان طبيعيًا أن يبدأ بغناء السَّهل، والرائج، حتى وجد ضالتَه فى «فنّ الموال» الذى يهدهد قلوب الجماعة الشعبية، ويعزِّيهم بمواجعهم، لامتلاكه حسًا فطريًا أرشدَه إلى الفن الملائم لأحزانه هو نفسه، ومكابداته المشتركة مع البُسطاء الذين قاسمهم أيام الشقاء والعَوز.

ولتلمُّسه هموم ذَويه اليومية، أقبلوا عليه جماعات لأنه يموّل أشجانَهم ويُريح قلوبهم، فتجاوز توزيع أسطواناته الأولى مليون نسخة وأقبلتِ الأرباح الطائلة عليه أكثر من الهموم زمان.

كانت مُفاجأتى الأسعد طيبته الشخصية، وخيريته تجاه أهله، وعموم الناس، ورأيت أفعالًا طيبة له هزت مشاعرى مثل أغنيته التى سمعتها مُصادفة فى التاكسى.

حين سلمتُ الحوار إلى الأستاذة «سناء البيسى» جلست مع المخرج لتوضّبه بنفسها على خمس صفحات، واختارت صورًا مميَّزة، ومن عاداتها المحمودَة أنها تشارك بدأب فى رسم مُجمل صفحاتِ المجلة بحسّها التشكيلى وخبرتها الذهبية.

رافقنى زميلى المصور البارع «محمد حجازى»- رحمه الله- إلى بيته خلفَ «المحكمة الدستورية»، فى المعادى، وعلى بابه استقبلتنا «سيدة قصيرة جدًا»، يبدو أنها ولدت بإعاقات جسدية مُركّبة وجَسيمة، لكنها ترتدى ملابس نظيفة جميلة، وتمتلك ملامحَ بشوشة، وتتحرَّك بعَرَج مؤلم، وتتحدث بثقة مدهشة، فقدَّمت نفسها بأنها «مديرة المنزل».

دفعنى فُضولى بعد قليل لسؤال حماة عدوية التى استلطفتها كثيرًا عن تلك السيدة فى لحظة ملائمة، فقالت:

«أحمد ابنى الله يكرمه، التقاها فى يوم برد قوى، بتكتك يا عينى فى الشارع، وحيدة وجعانة، ولمّا عرف إن ملهاش حد جابها معاه، ولغاية اللحظة دى يسأل باهتمام عن أكلها ولبسها وراحتها يوميًا قبلنا كلنا، ولأنه عاوز يرضيها ويعطيها قيمتها خلاها مديرة المنزل، علشان يحسِّسها إنها بتعمل حاجة مهمَّة، وعمل لها مرتَّب شهرى بيحوّشه لها كله، ويكسيها، ويجيب لها دهب وهدايا على طول، والحقيقة هى فهمت أمور البيت كويس قوى وبشطارة، وما حدش فينا يقدر يزعَّلها، يبقى يوم ما يعلم به إلا ربنا عنده إذا حد غلط وزعَّلها لأى سبب، حتى لو هى غلطانة يقف فى صفّها دايمًا، ويطيّب خاطرها، الله يكرمه كأنها أخته أو بنته».

حين سألته أثناء الحوار عن السيدة مديرة المنزل، لم يقل أى شىء مما ذكرته حماته، وردَّد موالَه الشهير «عجبى عليك يا زمن» بشجنٍ آسر:

عجبى عليك يا زمَن.. بترسِّى ناس عالبر
وناس غلابة.. رزقهم من خُرم إبرة يُمر
عايشين كده فى المحن ولا شافوا لحظة تسر
وناس كده ألوان.. شبعان يُزقّ جعان
وناس تواصل ضحكها.. وناس بتمسح دمعها
وناس بتشرب عسل.. وناس بتشرب مُرّ
عجبى على فرعين كان أصلهم واحد
واحد غرز فى الطين واللى طلع واحد
دا موزع الرزق ما بينساش ولا واحد

بدتْ قفلتُه الشجية تحفيزًا للمآقى لتتطهَّر بملح الدموع!

وحين سألته عن أهله امتنع عن الكلام، وتلفَّت حوله كأنه يبحث عن سؤال مختلف، وتطوَّع مَن حوله بالإجابة، وذكروا أنه بنى لهم عمارة وجمعَهم فيها، ولا يزال يواظبُ على مُساعدتهم بعيدًا عن أى أحد فى البيت، ولا يَقبل تدخلًا ولا مشورة فى ذلك الأمر.

أدَهشنى أكثر أنه إلى وقت جلوسى معه كان يصرُّ على مساعدة مئات الشباب على السفر إلى دول الخليج للاسترزاق، واستخرج لهم جوازات السفر على نفقته، ومنحهم ثمن تذاكر الطيران، مستغلًا علاقاته المباشرة بالعرب الذين يسهرون أمامه وهو يغنى، وساعد عشرات الشبان على استكمال تعليمهم الجامعى، بعضهم تخرج فى الجامعة الأمريكية مثل أولاده.

همست لى حماته أنه يهبُّ لنجدة أى أحد دون طلب، ويؤكد عليهم كلَّ يوم ألا يغلقوا باب البيت أبدًا طوال النهار!

كان حوارى معه من ألطف ما صادفت، فإذا استغرب سؤالًا أو أحسَّ أن إجابته صَعبة عليه، يصيح: «تعالى يا ونيسة شوفى الأستاذ بيقول إيه»..

نضحكُ جميعًا بمودَّة، وتغطى حماته وجهها المضىء بطرحتها البيضاء وهى تضحك، وتضحك زوجته وهى تجيب بطلاقة على أى سؤال.

استفسرتُ منه أكثر من مرة عن كلمات أو مقاطع من أغانيه، فلم يكن يتذكرها بشكل مباشر، لا بدَّ أن يغنى الموال من بدايته حتى يصل إلى المقطع الذى قصدته، ويظل يردده وهو يفكر فى سؤالى، ويمكن أن يردَّ بموال، أو بخفة ظل يُنادى ونيسة. لنعاود الضحك ويُشاركنا الضحك، وهو يتنقل بيننا بنظرات مُستطلعة يضيئها حياء طفولى.

أسامة الرحيمى

قال جازمًا فى إجابته على دور المال الغزير فى حياته بعد حرمانه الشديد فى طفولته:

«المال مَعمول لراحة بنى آدم، لكن الأهم إن أى حد ربنا يفتح عليه ما ينساش أهله وناسه مهما عملوا فيه قبل كده..».

وأطلقَ لصوته العنان وهو يضع يده على أذنه مثل المقرئين:

يا عين يا ليل.. يا عين يا ليل
يلّلى معاك القرش والأيام ضحكت لك
يلّلى معاك القرش.. خلّلى بالك.. دى الأيام ضحكت لك
وصرفته على ناس ما تسواش ضحكت لك
ودُست عالقُرب لما الغُرب ضحكت لك
بكره هتشبع ندم.. يلّلى الغرور ماليك

عندى أنَّ «عدوية» اتاخد فى الرجلين بلا ذنب منه بجانب أنه إنسان عادى

دايـر تبعزق وتصرف.. على الردى ماليك
وملت ويا الغلط لما الغلط ماليك
والدنيا ضحكت عليك وفاكرها ضحكت لك
آه.. آه.. آه.. إيه.. إيه.. إيه

حين وصلت الأسئلة إلى الحالات «اللى بتاخده فيها الجلالة»، و«التقسيم بمزاج وسلطنة»، ويبدو أن مزاجه فى ذلك اليوم كان رائقًا، غنّى لنا بلا تردد عددًا كبيرًا من مَواويله بصوت أحسستُه أكثر عذوبةً بدون الموسيقى، كأنه يغنّى لنفسه، للاستمتاع، ولاحظت إعجابًا كبيرًا فى عينى زوجته، وسمعت حماته تدعو له بصوت خفيض «ربنا يحميك ويسترك»:

يا ليل.. يا ليل.. يا ليل.. يا ليل
ياما فيك مواجع يا ليل.. يا اااليل
تخون عيشى ليه وأنا بإيدى خبزتولك
تخون عيشى ليه وأنا بإيدى طعمتولك
وتبوح بسرّى ليه.. ما أنا سرك كتمتولك
وخاين العيش يا ربى اشتكيتو لك

ولأول مرة كنت أعرف أنَّ بعض الكبار كتبوا ولحَّنوا له خصيصًا، مثل مأمون الشناوى، وبليغ حمدى، وسيد مكاوى، وآخرين. وتوقَّفت كثيرًا أمام محبَّته لـ«عبدالحليم حافظ» ومحبة العندليب له، تداخل صادق بين الرومانسية والوطنية والشجن الشعبى المريح للقلوب.

ذكر أنَّ حليم كان يطلبُه عادة فى بيته ليغنى أمام ضيوف كبار عنده، وحكى أن حليم رآه فى حفل كبير فغنى معه العندليب «السح إدح امبو»، وبحثت عنها لاحقًا وسمعتها، وأعجبنى أداءُ العندليب لها.

يبدو أنه اكتسب من حوارات سابقة عادة الرَّد بالغناء كأفضل وسيلة للهرب إذا عجزَ الكلام عن إسعافه بالإجابات، ولأنه لا يحب استدعاء السيدة «ونيسة» طوالَ الوقت، ووجد فى مواويله ما يكفيه للرد على أغلب الأسئلة، وحين سألته بتردد عن مأساته الصحية المعروفة، وقد أشفقت عليه حين رأيته يجرُّ قدميْه «يشطحها» أثناء مشيه ويحدث جلبة بنعليه، لكن معنوياته كانت عالية، فغنى لنا ثانية:

يا ليل يا ليل.. يا عينى يا ليل
الصاحب اللى يخون عيشك لا بد يوم تنساه
والخسيس خسيس مهما الزمان علاّه
والأصيل أصيل يا عينى لو معدنه جاه
والأصيل أصيل يا عينى ومعدنه جاه
والدهب دهب لو فى التراب تلقاه

سألت زوجته عن حقيقة أنها كانت تأكل شيكولاتة بعشرين جنيهًا فى اليوم خلال السبعينيات، وكانت العشرون جنيهًا رقمًا كبيرًا تقريبًا تساوى راتبًا شهريًا لبعض الموظفين، قالت:

«مش صحيح.. أصل الأستاذ مفيد فوزى كان عندنا هنا مرّة، وقدّمنا له شيكولاته، فسأل الحتّة دى بكام؟، فقلت له بعشرين جنيه بدون قصد، وسألنى بتاكلى منها قد إيه فى اليوم؟ فقلت ممكن آكل واحدة طوال اليوم، قصدى، إنها كبيرة لدرجة إنها تتاكل فى يوم كامل، لكنه كتّب بعدين إنى آكل واحدة كل يوم، يعنى باكل شيكولاته بس بستميت جنيه فى الشهر، ودا كلام مش معقول وما حصلش أصلًا، لأننا مهما كان نعرف نصون نعمة ربنا، ولا نفتريش».

التزم «محمد» ابنه، وابنته «وردة» الصمت طوال الجلسة، فقط كان يضحكان معنا، وسألت عدوية عن رأيه فى غناء ابنه «محمد» فقال بلا تردد بقلب الأب:

«محمد أحسن منى بكتير».

علَّق محمد بتهذيب: «والدى هو الأصل.. ومالوش زىّ فى الموال».

وقالت وردة إنها تحب الغناء، ولا تغنى.

اقترح زميلى «محمد حجازى» أن ننزل إلى الشارع ليصوّره أمام منزله، ووجدنا تحته «محل حلاقة» فقال لنا «عدوية» إنه أجَّر له المحل مخصوص ليستطيع تهذيب شعره فى أى وقت بسهولة، وصوَّره «حجازى» على كرسى الحلاقة، وفى الشارع وهو يرفع يديه كما يفعل أثناء الغناء بعفوية مُدهشة، وكانت الصور لا تقل أهمية وجمَالًا عن الكلام، وكلّ ما عرفته عنه من بساطة، وخفَّة ظل، وأيقنتُ أنه فنان شعبى لاقى نجاحًا فائقًا، وضاعف النجاح جمالُ طباعه الإنسانية، ولا ذنب له فى فساد الانفتاح الذى اكتسح مصر، ولا.. ولا تزامن نجاحه مع رياح «البترو دولار» التى هبَّت على واقعنا، وأثرت سلبًا على كثير من قيمه.

فى طريق عودتنا إلى الأهرام، كنتُ سعيدًا على نحو ما، وشعرتُ تجاه «أحمد عدوية» الطيب بمحبَّة شخصية، واسترحت لتغيير مفهومى الخاطئ، ورددتُ موالَه الذى يشهد فيه لنفسه بثقة:

ولا كل من قال موال الناس تقول له.. الله يا أمير
دا أنا من صغر سنّى وأنا بغنّى لبنت الأمير
يادى الزمان الردى اللى كترت فيه المغنواتية
ولا كل من قال موال.. الناس تسمعه زى أحمد عدوياااا

عيد ميلاد عدوية بعد الحادث الشهير

عدوية وعبدالحليم

عدوية وفيفى عبده

الكتاب: صاحبة الجلالة لا تمسح البلاط.. من حكايات الصحافة
المؤلف: أسامة الرحيمى

تحت الطبع

الكذبة الكبرى هى أن والدته توفيت وهى غاضبة عليه وتظن أنه شرير ضل طريقه ويعيش على القتل والسرقة والنهب.. والحقيقة أنه كان مرتبطًا بها بشدة

توفيق الدقن

ظلموك حيًا وميتًا.. يا آه.. يا آه

فى معرض القاهرة الدولى للكتاب القادم يصدر عن دار «ريشة للنشر والتوزيع» برئاسة حسين عثمان كتاب «توفيق الدقن.. العبقرى المظلوم حيًا وميتًا» للكاتب الصحفى رشدى الدقن.. ويتضمن سيرة ذاتية للفنان الكبير الراحل، مع توثيق للحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية فى الفترة من الثلاثينيات حتى رحيله فى 1988.. وما حدث فيها من متغيرات كثيرة سنلاحظها بوضوح فى الأعمال المسرحية والدرامية إذاعية وتليفزيونية، وفى السينما التى قدمت رصدًا شديد الدقة لهذه المرحلة.. وشارك فى كل ذلك الراحل الكبير توفيق الدقن بعبقرية فذة.

الكتاب يتحدث عن عبقرية «توفيق الدقن» التى لا يمكن أن نوجزها فى تلك اللزمات والإفيهات التى تلقى رواجًا كبيرًا بين جموع الجماهير والمنتشرة بكثافة حتى اليوم على مواقع اليوتيوب وتزاحم عمالقة الكوميديا، وكأنها صالحة لكل زمان ومكان.. فالأمر لم يكن يتطلب خفة ظل فقط بل قدرة على التواصل مع الجماهير وفهم جيد لرغباتهم ومدى استيعابهم لما سيلقى عليهم دون أن يخطئ الهدف مرة، ففى كل مرة تصبح «اللزمة» هى الأبقى حتى لو أفسدت فيلمًا كاملًا بحجم «وما زال التحقيق مستمرًا».. الجمهور خرج من الفيلم المأساوى فقط بإفيه توفيق الدقن «خدوهم فقرا تفتقروا أكتر» فأبدًا لم تكن «اللزمة» مدعاة للملل أو الضجر مع كثرة المشاهدة.

رشدى الدقن

لم تطارد الأكاذيب شخصًا بعد رحيله كما طاردت الفنان الكبير القدير توفيق الدقن.. دائمًا هناك من ينسج حول حياته أكاذيب بعضها طريف وأغلبها يطلقونها لمزيد من اللايكات والترينـد.. فتوفيق الدقن واحد من قلائل.. عاشت إفيهاته وانتشرت فى زمن السوشيال ميديا كما كانت وأكثر وقت حياته.

الكذبة الكبرى والتى نفتها العائلة مرارًا وتكرارًا فتخفت لفترة، ثم تعود للظهور وبات الأكثر رواجًا.. هى أن والدته توفيت وهى غاضبة عليه وتظن أنه شرير ضل طريقه ويعيش على القتل والسرقة والنهب.. ولمزيد من الحبكة صنع من كتبوها حبكة درامية للقصة.. فيقولون: والدته ماتت غاضبة عليه، لاعتقادها أنه لص وسكير وبلطجى، وضل طريقه.. ويكمل الكاذبون: مرضت والدته فى المنيا وجاءت إلى القاهرة للعلاج.. وفى الطريق إلى الدكتور جلست بجوار ابنها فى السيارة ولاحظت أن الجميع يسبه ويشتمه ويتهمونه بأنه بلطجى سكير.. وهو لم يتمالك نفسه ورد عليهم السباب.. ولاحظت أن الكل يخاف منه حتى فى العيادة فظنت أنه فعلًا شرير وضل طريقه وأصبح مجرمًا وحزنت حزنًا شديدًا، كان السبب فى وفاتها.

وقبل أن يوضح لها حقيقة الأمر توفيت وظلت الأسرة تحدثه بأنها توفيت وهى غاضبة عليه وبأنه السبب فى صدمتها ووفاتها.. انتهت الكذبة المزعجة.

الحقيقة أن الفنان توفيق الدقن كان يرتبط ارتباطًا شديدًا بوالدته التى كان لها دور كبير فى تشجيعه على العمل بالفن..

وظلت تلح على والده الذى كان متحفظًا على عمل ابنه بالفن بحكم كونه أزهريًا، وكان يفضل أن يلتحق بوظيفة لها عائد ثابت، فضلًا عن اختلاط مفهوم الممثل وقتها بمفهوم المُهرج، ولكن والدته شجعته.. وكان لها شرط واحد أن يصبح مثل محمود المليجى.

واسمحوا لى هنا أن أنقل عن الكاتبة الكبيرة الأستاذة هناء فتحى ابنة شقيقة الفنان الراحل ما كتبته عن جدتها السيدة زكية الدقن.. تقول هناء: «كانت السيدة (زكية الدقن) والدة توفيق الدقن الريفية البسيطة تذهب وحدها سرًا إلى السينما والمسرح لتراقب تلك الشخوص البديعة التى تتلبس ولدها المحبوب، وكانت تصيغ السمع لتعليقات الجماهير- مسرحًا وسينما- لتعرف كيف تقبّل الجمهور ابنها الطيب الذى تقمص أدوار الأشرار، وكانت تعود للبيت غاضبة باكية حين يسُبّه أحد الحضور بـ«أمه» تعليقًا.. لرفضه سلوك الشخصية أو تعليقًا على أدائه المبهر لشخصية الشرير الظريف أو «أبودم سم».

انتهج الدقن واخترع لنفسه شخوصه المميزة التى «وصمته» بالشرير الظريف؛ لأنه كان بالفعل صاحب هذه الشخصية: الطيب جدًا أبو دم خفيف، والسبب الآخر خوفه من «نينته/أمه» التى كانت تلاحقه سرًا فى سينمات شبرا ووسط البلد عند عرض أفلامه، كان يزعج نينته- كلهم، جميع الأبناء كانوا ينادون الست «زكية الدقن «بلفظة «نينا» وليس ماما ولا أمى- أن يؤدى شخصية مكروهة موغلة فى الشر البيور فيشتمه أحد الحضور بأمه، فكان الدقن حريصًا أن يقدم الشرير أبو دم خفيف حتى يرضى عنه جمهوره الغفير، فكان أن صنع «لازماته» التى تجعل صالة السينما تقهقه من قلبها، وكأن توفيق يقول لزكية: حلو كدة يا نينا؟

إذن والدته لم تكن فى المنيا وجاءت مريضة.. ولا كانت لا تعلم أنه ممثل كبير.. بالعكس كانت تحب أدواره وتذهب بنفسها لترى أدواره.. كما كانت هى من البداية الداعمة له.. ويقول توفيق الدقن نفسه عن والدته السيدة «زكية» أنها كانت مفتاح علاقة الصداقة الممتدة مع محمود المليجى.. وأنه مع الارتباك الذى ذكرناه سابقًا أثناء أداء دوره فى فيلم «أموال اليتامى» كان لأول مرة يلتقى مع محمود المليجى، حيث قال له إن والدته السيدة زكية هى من شجعته على دخول معهد التمثيل وكان شرطها أن تراه مثل محمود المليجى.. وابتسم المليجى وعزمه على الغداء وفنجان قهوة وسيجارة وراجع معه المشهد ومن وقتها صارا صديقين.. وكان محمود المليجى من الفنانين القلائل المسموح لهم بزيارة منزل توفيق الدقن وعند وفاته بكاه الدقن بحرقة.. وقال لابنه المستشار ماضى الدقن:

توفيق الدقن وزوجته وطفلهما

الدقن والمليجى وستيفان روستى وخيرية أحمد

تحت الطبع

الأم الطيبة السيدة زكية الدقن رحلت راضية تمامًا عن ابنها، وكانت صدمته كبيرة يومها وانطلق يصرخ

فى الشوارع كالمذهول.. ووقتها كان يعرض مسرحية الفرافير.. وذهب ليدفنها ويعود مساء ليلحق بالعرض

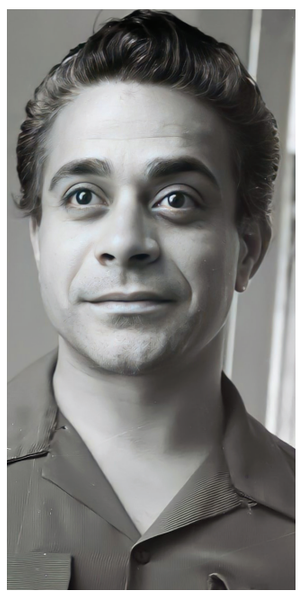

«عمك محمود مات.. الدنيا مابقاش لها لازمة.. أنا حاسس إنى قربت أموت أنا كمان».. لم يتحمل فراق الأستاذ محمود المليجى.. وبكى بهيستريا، وفكر جديًا فى اعتزال الفن.. فالدنيا لم يعد لها طعم بعد رحيل المليجى كما قال.

كل هذه الحقائق تؤكد أن الأم الطيبة السيدة زكية الدقن رحلت راضية تمامًا عن ابنها، وكانت صدمته كبيرة يومها وانطلق يصرخ فى الشوارع كالمذهول.. ووقتها كان يعرض مسرحية «الفرافير».. وذهب ليدفنها ويعود مساء ليلحق بالعرض وحتى لايعطل المسرحية.. وفى الصباح يذهب لتلقى العزاء وينهار وهو يبكى.. وفى المساء يقف بشموخ على خشبة المسرح.

«الشرير» هى الكذبة الثانية.. فقد أبدع وأقنع الجميع وسار فى طريقه بمفرده.. طريق نحته لنفسه ودفع فيه أعصابه وصحته.. فهل كان فعلًا شريرًا ؟!

«توفيق الدقن» فى الظاهر، كان فتوة من نوع خاص.. يأخذ حقه بيده.. يصارع الجميع ويصارع الدنيا.. وفى الباطن عاش حياته مخلصًا لأسرته يتحمل العبء الأكبر فى تربية أشقائه.. لا يتردد فى السير من الجيزة إلى العباسية حيث يسكن؛ لأن ما معه من نقود لا تكفى أجرة التاكسى.. واعتزازه بنفسه والناس التى تسلم عليه طوال الطريق لم يسمحا له بركوب الأتوبيس.

«الشرير» ظل طوال عمره مخلصًا لعمله.. اختار العمل فى المسرح القومى وترك الفرق الخاصة ليؤمن دخلًا شهريًا ثابتًا لأولاده.. موظف بدرجة فنان كبير.. ظل يعمل لآخر يوم فى حياته.. المرض أجبره لأول مرة على عدم الذهاب للأستديو.. اتصلوا به أصر أن يرد بنفسه ويعدهم بالحضور صباح اليوم التالى لكن القدر لم يمهله ليفى بوعده.. رحل فى اليوم التالى.. قبلها ظل سنوات يغسل «كلى» مرتين فى الأسبوع ولا أحد يعرف.. لم يتاجر بآلامه.. كان يغسل الكلى وتانى يوم يذهب للتصوير.. ويراه الجميع قويًا.

كذبة أخرى منتشرة جدًا عن توفيق الدقن وهى أنه «يسكر.. ويرقص بالملابس الداخلية» هذه الكذبة منتشرة جدًا على السوشيال ميديا.. ومرفق بها صورة قديمة يرتدى فيها «شورت» رياضى.. كذبة محبوكة جدًا عن سهرة فى ملهى «الأريزونا» بشارع الهرم وتم تحديده بالاسم للمزيد من التضليل، وبعد الشرب والفرفشة، خلع توفيق الدقن البنطلون ووقف يرقص بالملابس الداخلية.. والصورة تؤكد الرواية الكاذبة الشريرة.

كالنار فى الهشيم صارت الصورة تطارد سمعة الرجل بعد سنوات طويلة من رحيله.. الرجل الذى كانت آخر كلماته لأسرته قبل الرحيل «أنا هموت.. وماسبتش لكم حاجة تخجلوا منها».

أما حقيقة الصورة فهى من مسرحية «عفاريت مصر»، وهى من أجمل المسرحيات التى قدمها العبقرى توفيق الدقن للمسرح القومى- تحدثنا عنها من قبل- وكان يجسد فيها شخصية أستاذ قانون يتم اعتقاله فيخرج من المعتقل ويفتتح معهدًا للرقص، وفى أحد المشاهد يدرب الراقصات مرتديًا ملابس رياضية.

هذه الصورة نشرتها أحد المواقع بحثًا عن الترند والترافيك وباتت علامة مسجلة على السوشيال ميديا رغم نفيها وتوضيح الأمر عدة مرات من ابنه المستشار «ماضى الدقن».

كذبة أخرى تمت صياغتها بحرفية شديدة لدرجة استخدام بعض الكلمات التى كان يستخدمها توفيق الدقن فى حياته الحقيقية ككلمة «زى البرلنت»... وتمت إضافة حوار كاذب بين توفيق الدقن ومصطفى العقاد مخرج فيلم «الرسالة».

الكذبة تقول إن الفنان الكبير توفيق الدقن، غضب من عدم اختياره لأداء دور فى فيلم «الرسالة» للمخرج السورى العالمى مصطفى العقاد، رغم أنه فى الأساس كان مرشحًا لأداء أحد الأدوار الرئيسية فى الفيلم.

> كذبة أخرى منتشرة جدًا عن توفيق الدقن وهى أنه يسكر.. ويرقص بالملابس الداخلية

وبعد عرض الفيلم ونجاحه الكبير عربيًا وعالميًا نظم أحد رجال الأعمال حفلًا كبيرًا لفريق عمل الفيلم دعا إليه عددًا من الشخصيات الفنية والاجتماعية المهمة، كان من بينهم توفيق الدقن نفسه.

وخلال الحفلة، توجه توفيق الدقن إلى الطاولة التى كان يجلس عليها مصطفى العقاد ومن دون أن يحييه توجه إليه بالكلام مباشرة: «ممكن أسأل سؤال محيرنى يا أستاذ مصطفى.. لا مؤاخذة هو أنا ليه ما كانش ليا دور فى فيلم الرسالة، وأنا فنان مصرى ومعروف زى ما انت عارف وسمعتى زى البرلنت؟!».

فابتسم المخرج مصطفى العقاد، وطلب من توفيق الدقن أن يهدأ ويجلس كى يتحدث إليه بهدوء، لكن الدقن رفض الجلوس وهو ينتظر الإجابة منه أمام الموجودين بالحفل، فقال العقاد: «أستاذ توفيق أنت فنان بارع وموهوب وهذا أمر لا جدال فيه، ولكنك تعرف خصوصية الفيلم كونه إسلاميًا دينيًا، وانت أدوارك يعنى كلها بتظهر فيها بشخصية اللّعوب الحرامى البلطجى السكّير غير الملتزم».

فرد «الدقن»، بشكل ساخر وكوميدى كعادته وأمام الحضور: «والله عال العال يعنى إنت كنت خايف على سمعة الإسلام منى مش كده؟، فقال العقاد: عفوًا أستاذ توفيق الأمر ليس كما تظن!».

فقال الدقن: «أظن إيه يا أستاذ ما الرسالة وصلت خلاص، يا أخى كنت اخدتنى مع الكفّار طيب لما أنا سيئ السمعة وأنا راضى، ولا تكونش خايف على سمعة الكفّار كمان، وأنا مش دريان أما عجايب صحيح، هو توفيق الدقن بقى خطر على سمعة المسلمين والكفّار كمان، طيب حتى كنت خلينى أبولهب!».

الموقف التخيلى والحوار الكاذب لم يحدث فلم يتم ترشيح توفيق الدقن لأى دور فى فيلم الرسالة.. ولم يلتق مصطفى العقاد فى أى مكان.. والموقف كله لا يتفق مع شخصية توفيق الدقن الخجول بطبعه والمعتز نفسه لأبعد مدى، فطوال حياته لم يطلب من أى منتج أن يأخذه فى دور، لأنه كان يعتز بنفسه ويعرف قدره.

كذبة مؤلمة أخرى عن الفنان الكبير توفيق الدقن.. انتشرت بسرعة كبيرة عام ٢٠٢٠.. وللمزيد من الحبكة قالوا من نشروها أن الفنان الكبير كتب الحكاية بنفسه فى مجلة الكواكب عام ١٩٥٧.. هذه الكذبة السخيفة تقول: «مع أول يوم عرض لمسرحية حسبة برما حدث ما لا يتحمله بشر.. وحكاه توفيق الدقن بنفسه فى مقال كتبه لمجلة الكواكب عام ١٩٥٧ تحت عنوان «دموع فى الطريق الطويل».

ويكمل الكاذبون: فى هذا المقال النادر قال إنه كان أحد مؤسسى فرقة المسرح الحر فى بدايته وبدايتها، وكان أعضاء الفرقة يواصلون الليل بالنهار لتقديم العروض والاستعداد لها، وكانت الفرقة تستعد فى موسمها الثانى لتقديم مسرحية «حسبة برما». مشيرًا إلى أنه كان يشعر بالتشاؤم منذ بداية الاستعداد للمسرحية دون أن يعرف السبب.

وتابع: «كان لى شقيقة وقد مات أبى وهى الأصغر فتوليت رعايتها وارتبطت بها وكأنها ابنتى وكافحت حتى أوفر نفقات دراستها وتجهيزها حتى تقدم لها ابن الحلال، واقترضت كى أكمل مصاريف زواجها».

وأوضح الفنان الكبير أنه شعر بسعادة كبيرة يوم زواج شقيقته؛ لأنه أدى رسالته ونفذ وصية والده فى رعايتها.

وأضاف الدقن فى مقاله: «فى صباح يوم افتتاح المسرحية صدمتنى وفاة شقيقتى، ولم أتمالك نفسى من الحزن والصدمة، ولم أعد أدرى ما يجرى حولى، ولكنى تماسكت حتى أفكر فى كيفية تدبير نفقات نقل جثمان شقيقتى إلى بلدنا حتى يتم دفنها فى مقابر العائلة، وقلبت جيوبى فلم أجد سوى بضعة قروش».

وتابع: «كنت أعلم أن صندوق الفرقة خاو؛ لأننا أنفقنا كل ما نملك للاستعداد للمسرحية فلجأت إلى زميلتى «وداد حمدى» وأنا لا أتمالك دموعى وقلت لها أنى أحتاج عشرين جنيهًا، وعلى الفور دبرت «وداد» المبلغ.. وعدت لأستكمل تجهيزات دفن شقيقتى الغالية مع عدد من أقاربى، وحين اكتملت التجهيزات فاجأتهم بقرارى بعدم السفر معهم للدفن والعزاء.. بسبب حضور افتتاح المسرحية».

> غضب لعدم اختياره فى «الرسالة» وقال للعقاد: «لو خايف على الإسلام منى.. كنت خدتنى من الكفار»

وعاد توفيق الدقن إلى بيته وهو منهار بالبكاء ثم ذهب إلى المسرح، وتعجب زملاؤه حين رأوه وقد ترك جنازة شقيقته ليشاركهم الافتتاح حتى لا يقعوا فى مأزق عدم وجود من يقوم بدوره.

وقال الدقن فى مقاله وهو يصف هذه اللحظات الصعبة: «لم أكن أتمالك نفسى من البكاء حتى أقف أمام الجمهور فأضحك وألقى النكات والإفيهات ويضحك الجمهور، وكنت أضحك حسب مقتضيات الدور، وقلبى يبكى وأظل أضحك حتى تطل الدموع من عينى فأفيق إلى نفسى وأتذكر أننى أمام الجمهور وليس أمام نعش شقيقتى، وكلما أسدلت الستارة أنهار فى البكاء وأنتحب، وكانت ليلة لا تنسى».

وبعد انتهاء المسرحية سافر توفيق الدقن ليتلقى العزاء فى شقيقته، وعاد فى مساء اليوم التالى ليقف من جديد على المسرح.. يضحك أمام الجمهور، بينما يخفى دموعه عنهم وينهار فى الكواليس.

انتهت الكذبة السخيفة التى لم يحدث منها حرف واحد.. فشقيقات الفنان الكبير توفيق الدقن توفاهن الله بعد وفاته هو شخصيًا ولم يحدث أن توفيت أى من شقيقاته وهو على قيد الحياة.. ويبدو أن الكاذبين ومروجى الشائعات خلطوا بين وفاة السيدة «زكية الدقن» والدة العملاق توفيق الدقن، التى انتقلت إلى رحمة الله أثناء عرض مسرحية «الفرافير».

«حرف» تنشر فصلا كاملاً من الكتاب المنتظر

الكتاب: توفيق الدقن.. العبقرى المظلوم حيًا وميتًا

المؤلف: رشدى الدقن

عادل حمودة يفتح الملف الشائك على هامش ذكرياته عن أحمد زكى

التراث هو رصيد أمة من الفكر والفن.
رحم تكونّا فيه ونهر شربنا منه وفطيرة التهمناها قبل أن نتعلم صناعة الفطائر بأنفسنا.
كل منا له تراث ومن ينكره كمن ينكر أن له أُمًا.
لكن التراث ليس صنمًا نعبده أو قدرًا لا نحيد عنه.
التراث خبرة الماضى التى نستفيد منها ومرحلة الطفولة التى نعيشها ثم نتجاوزها إلى ما هو أهم وأرحب.
على أن من لا يعرف تراثه لا يعرف أصوله ويقطع جذوره ويصبح كائنًا عشوائيًا.
إننا نريد الوصول إلى المستقبل دون أن نبصق على الماضى.
لكننا نعرف الكثير عن الماضى البعيد ولا نعرف سوى القليل عن الماضى القريب.

عادل حمودة

التاريخ الذى ضيعنـــاه

نعرف الكثير عن الفراعنة ونحفظ سيرة الأنبياء ونذاكر قصائد شعراء الجاهلية وغيرها من محطات التاريخ البعيد الغارق فى القدم، لكننا فى الوقت نفسه نهمل التاريخ الحديث القريب منا والمؤثر فينا.

لدينا متاحف فرعونية وإسلامية وقبطية ويونانية ومَلكية ولكن ليس لدينا متاحف ثقافية أو فنية.

أهملنا مقتنيات نجوم الفيلم والكتاب والرواية والسيمفونية واللوحة التشكيلية ولم نحتفظ بها ليظلوا بيننا نتذكر صورهم ونشم رائحتهم ونتعلم من سيرتهم ونكشف ما خفى عن حياتهم لنتعلم منهم ولنكمل مشوارهم.

لم تشترِ الدولة فيلا «أم كلثوم» فى حى «الزمالك» لتحولها إلى متحف نرى فيه صورها وأوسمتها وثيابها وخطاباتها ونوتها الموسيقية وأثاث بيتها وأسلوبها فى المعيشة ولكن الفيلا هدمت وكل ما يخصها لم يعد له وجود.

وحدث الشىء نفسه مع «محمد عبدالوهاب».

وبيعت فساتين أفلام «سعاد حسنى» فى مزاد علنى لسداد ما عليها من ضرائب.

وصرّحت «رغدة» فى حوار تليفزيونى على شاشة برنامج «وائل الإبراشى»: «إنها وجدت صور وملابس وتذكارات أمينة رزق» عند بائع «روبابيكيا» واتصلت بنقيب الممثلين «أشرف زكى» ليتسلمها لكنه فضل أن تكون عندها حتى يفكروا فى طريقة للاستفادة منها.

وحدث الشىء نفسه مع صور وأوراق «أحمد مظهر» حتى جاءت ابنته «ريهام» وتسلمتها.

وتعددت الاقتراحات بتكريم «نجيب محفوظ» بعد وفاته، ولكن كل ذلك تبخر عملًا بجملته الشهيرة «آفة حارتنا النسيان».

واحتارت «معتزة» ابنه «صلاح عبدالصبور» ما الذى تفعله بكل ما ترك والدها الشاعر والكاتب والمفكر من مخطوطات نقدية وإبداعية بخط يده.

بالطبع لم ينجُ «أحمد زكى» من المصير نفسه بل ربما كان مصير ما تبقى منه أسوأ.

فى يوم الإثنين ٢٣ فبراير ٢٠٢٠ دخل «وائل الإبراشى» بكاميرات برنامجه إلى الشقة رقم «٤» فى الدور فوق الأرضى من العمارة رقم «٢٠٠» شارع «الأهرام» التى امتلكها «أحمد زكى» وكانت مكتبًا لشركة الأفلام التى كونها.

عرضت الكاميرا مقتنيات النجم الراحل الملقاة فى حالة من الفوضى والإهمال وكأنها تنتظر من يلقيها فى أقرب قمامة.

هذه الشقة فرح بها «أحمد زكى» أكثر مما فرح بشقة السكن فى حى «المهندسين»، والسبب أنها ستمنحه فرصة إنتاج ما يحلم من أفلام لا يغامر المنتجون بالدخول فيها.

حسب الصحفية «هانم الشربينى» فى كتابها «أوراق أحمد زكى» فإن الشقة اشتراها «أحمد زكى» يوم ٣٠ أكتوبر ١٩٨٤ مقابل ١٧ ألف جنيه فى وقت بدأ فيه نجمه يلمع بعد أن قدم أفلام «درب الهوى» و«النمر الأسود» و«أنا لا أكذب ولكنى أتجمل» وكان يستعد لتقديم «الصعاليك» لكن «داود عبدالسيد» اختار «محمود عبدالعزيز».

تتكون الشقة من ثلاث غرف وصالة ومطبخ وحمام، وأتذكر بعد شهر من شرائها دعيت إليها ليحتفل بها ووجدت فيها «هادى الجيار» و«على سالم» و«ممدوح وافى»، ويومها رفض «أحمد زكى» أن يشرب أحد كأسًا من زجاجة «الويسكى» التى أحضرها أحدهم «حتى يبارك الله فى الشقة»، ودعانا إلى نايت كلوب «سادول» فى فندق «مينا هاوس».

بعد وفاته آلت الشقة إلى ابنه «هيثم».

وفى يوم وجدت مكالمة من «أحمد زكى» اكتشفت أنها من «هيثم».

استنجد بى للرد على ما كتبه السيناريست «مصطفى محرم» ضد أبيه.

فجأة ودون مقدمات فتح النار عليه بعد وفاته بسنوات طوال، وتحولت حروف كلماته إلى أشواك ومخالب حين أنكر أن «أحمد زكى» أسطورة ولا يستحق تقديم قصة حياته فى مسلسل تليفزيونى.

ودون تردد أضاف: «أنا من صنعت منه نجمًا».

تعجبت من تأخره فى الكشف عما فى صدره تجاه «أحمد زكى» بعد أن وصفته بفارس الفرص الضائعة والساحات الخالية الذى اختار أن يقاتل خصمًا تحت الثرى ودون كيشوت الذى يحارب طواحين هواء لا وجود لها.

وطلبت «هيثم» لينشر الرد على لسانه لكنه لم يرد.

وطلبت «هيثم» تليفونيًا ليتلقى الرد ويرسله إلى جريدة «المصرى اليوم» لينشر على لسانه، لكنه لم يرد، وعاودت المحاولة أكثر من مرة حتى شعرت باليأس.

وبعد عدة أشهر صدمت بخبر وفاته فى يوم ٦ نوفمبر ٢٠١٩ قبل ثلاثة أيام من احتفاله بعيد ميلاده السادس والثلاثين.

كانت هناك صدمة أخرى عندما عرفت أن شقيقه من الأم «رامى عزالدين عبدالله» حصر الإرث الشرعى فيه ليحصل على سدس التركة فرضًا ويحصل على الباقى تعصيبًا لعدم وجود وارث آخر، ولم تطعن شقيقات «أحمد زكى» من الأم فى صحة ذلك.

وهكذا آلت شقتا السكن والمكتب بما فيهما من مقتنيات إلى شاب يعيش فى لندن ولم يعرف الكثير عن قصة كفاح «أحمد زكى» والمعاناة التى مر بها.

لم يقدّر «رامى عزالدين» على ما يبدو أهمية الحفاظ على تراث نجم يجن الجمهور به مثل «أحمد زكى»، ولم يتردد فى أن يبيع شقة المكتب دون الاهتمام بما فيها من تذكارات وكأنه لم يبالِ بتراث زوج أمه الأول.

حسبما نشرت «هالة الشربينى» فإن الشقة اشتراها «عمرو هندى»، النائب عن دائرة «الوراق»، وإن كتب العقد وسجل باسم «محمد سامى».

بيعت الشقة بمبلغ ٨٥٠ ألف جنيه وإن كانت التقديرات المتواضعة ترفعها إلى مليون و٢٠٠ ألف جنيه، لكن يبدو أن «رامى عزالدين» أراد التخلص منها فى أسرع وقت ممكن حتى يعود إلى لندن حيث يعيش.

والحقيقة أن ما كان فى الشقة يتجاوز مقتنيات «أحمد زكى» إلى ما هو يعد جزءًا من تاريخ مصر.

عندما مثل «أحمد زكى» فيلم «السادات» لم تبخل عليه السيدة «جيهان» بشىء وسمحت بالتصوير فى البيت والمكتب، بل وسمحت باستخدام «البايب» الذى كان يدخن فيه زوجها التبغ، وسمحت أيضًا بالحذاء الذى كان ينتعله عند اغتياله.

أكثر من ذلك، وافقت أن يحتفظ بهما «أحمد زكى»، فما حدث لهما؟ وأين هما اليوم؟ وما هو مصيرهما؟ وهل بيعا مثل كثير من مقتنيات ملوك ورؤساء مصر إلى جهات ما فى الخارج بعد تهريبها؟

ربما يكون من المناسب هنا أن أذكر هذه الواقعة التى كان بطلها الرئيس الفرنسى «شارل ديجول»، ووزير الخارجية المصرية «عصمت عبدالمجيد» عندما كان سفيرًا لمصر فى باريس.

كتب «شارل ديجول» بخط يده رسالة تعزية يوم وفاة «جمال عبدالناصر» جاء فيها:

«سعادة عصمت عبدالمجيد سفير الجمهورية العربية المتحدة

٢٩ سبتمبر ١٩٧٠

السيد السفير

أشاطر من كل قلبى الحزن العميق الذى أصاب مصر، فبفضل صفاته الاستثنائية من ذكاء وإرادة وشجاعة قدم الرئيس جمال عبدالناصر لبلاده وللعالم العربى أجمع خدمات ليس لها مثيل. ففى مرحلة من التاريخ أكثر قسوة ومأساوية من أى فترة أخرى لم يتوقف عن النضال من أجل استقلال بلاده واستقلال الدول العربية، وكذلك من أجل شرفهم وعظمتهم، وقد كنا نحن الاثنان نبادل بعضنا البعض التفاهم والتقدير العميق ولذلك فقد استطعنا أن نعيد بين الجمهورية العربية المتحدة وفرنسا العلاقات الطيبة للغاية التى تمليها الصداقة الكبيرة والقديمة التى تربطهما ورغبتهما المشتركة فى تحقيق العدل والكرامة والسلام».

«وإذ أعبر من خلال شخصكم عن مشاعرى الراسخة أرجو سيدى السفير أن تتقبل فائق احترامى وأحر تمنياتى».

حصلت على نسخة من الرسالة من «هدى عبدالناصر» لكنها أضافت حزينة:

«إن عصمت عبدالمجيد باع الرسالة إلى أحد محلات العاديات».

ولم أصدق ما سمعت.

لكن ما إن اتصلت به حتى أكد ما عرفت، وكان مبرره أن الرسالة شخصية وليست رسمية، وهو مبرر فيه كثير من المغالطات، فما كان «شارل ديجول» يرسلها له لو لم يكن سفيرًا لمصر فى باريس.

ورغم أن الواقعة غير منتشرة رغم أننى نشرتها فى حياة بطلها إلا أنها على ما يبدو قد صارت قاعدة شائعة.

وعندما نقرأ مذكرات المسئولين فى مصر نجد كثيرًا من الوثائق التى حصلوا عليها بحكم مناصبهم وكأن ذلك من حقهم.

فى الوقت نفسه لا نجد أحدًا يحترم الحقوق الأدبية والمعنوية لما ينشر، ويأكل منها ما يتجاوز الشبع وكأنها حقل برسيم مستباح لكل ما يمر به من أغنام.

وتمتد المأساة إلى المبدعين.

لم نجد قيمة لمتعلقات نجم مثل «أحمد زكى» تصور أن الجمهور الذى أسعده حيًا سيدافع عن تذكاراته ميتًا.

لكن البعيد عن العين بعيد عن القلب.

لقد أسقطت من على الجدران صور من أحبهم فى حياته مثل «هيثم» و«هالة فؤاد» و«نجلاء فتحى» و«سعاد حسنى».

هل شعر «أحمد زكى» فى هذه اللحظة بخنجر يخترق ضلوعه؟

وبدت ألبومات الصور التى التقطت فى كواليس أفلامه ووسط أصحابه ومع مبارك وزوجته بمناسبة تكريمه بعد فيلم «السادات» وكأنها أشياء قديمة لا قيمة لها.

لم يتصور الذين كنسوها أن كل صورة منها وراءها حكاية، وكل حكاية بها كثير من الحزن وقليل من الفرح.

إنها ليست مجرد برواز معلق فى مسمار مدقوق على الحائط.

ما كل هذا الاستهتار بالمشاعر؟

إنه وجع أشد من وجع السرطان.

وتصور لتذكارات مصنوعة من المعاناة وكأنها «بذور بطيخ».

وتجريد مما تجاوز به مشاعر اليتم ليعود يتيمًا مرة أخرى.

تجدد اليتم بعد أن فقد الأوسمة والنياشين التى نالها، مثل وسام «العلوم والفنون» من الطبقة الأولى عام ٢٠٠١، ومثل شهادة تكريم مهرجان قرطاج فى العام التالى، وقبلها جائزة أحسن ممثل عن فيلم «اضحك الصورة تطلع حلوة» من جمعية الفيلم عام ١٩٩٩ بمناسبة اليوبيل الفضى لجمعية الفيلم.

تجدد اليتم عندما تكومت مكتبته فى صناديق الصابون بعد أن جمعها كتابًا كتابًا، وكان من بينها كتبى التى لم أهدها له وإنما اشتراها بماله، مثل «النكتة السياسية- كيف يسخر المصريون من حكامهم؟» ومنها «بنات العجمى- الحب على شاطئ سياسى».

وكانت هناك كتب سياسية ونفسية وروائية وتاريخية أخرى. وتشهد الوثائق على أنه كان يدفع الضرائب بانتظام، وإن لم يستطع السداد من أول مرة استأذن فى التقسيط، وكان ملفه الضريبى، كما ذكرت «هالة الشربينى»، ٦٠٤٤.١٤.٧٦٠، أما رقم بطاقته الشخصية فكان «٩٩١٣».

وما يلفت النظر أن الثروة تتجاوز العقارات والسيارات إلى أشياء صغيرة كان يحبها، منها صندوق وضع فيه عملات فضية تذكارية، ومنها مغرفة من الفضة بدا أن لها مناسبة عاطفية.

لكن الأهم هو نيجاتيف الأفلام التى أنتجها.

إنها بقرة ثمينة تدر مالًا مع كل مرة تعرض فيها، من استولى عليها؟

والحقيقة أن التحقيق التليفزيونى الذى قدمه «وائل الإبراشى» كان ضربة مهنية متميزة أثارت اهتمام وزير الثقافة وقتها «إيناس عبدالدايم» فأعلنت أنها شكلت لجنة لجمع مقتنيات «أحمد زكى» تمهيدًا لوضعها فى مكان يليق بها.

لكن يبدو أن اهتمامها لفت نظر مشترى الشقة إلى أهمية المقتنيات التى لم يحسبها بهذه القيمة، فقرر أن يتحفظ عليها ويساوم من يريدها، كما سمعت من الوزيرة فيما بعد.

لم يشترِ الشقة بمحتوياتها كما تحدث والد «رامى عزالدين» على الهواء مع «وائل الإبراشى» فى حضور «رغدة» ووعد بإحضارها للتصرف فيها باحترام يليق بصاحبها.

بل وعد بأن يحضر مقتنيات «أحمد زكى» التى لم تمس فى شقة سكنه فى ٦ شارع «الجزائر»- «المهندسين».

ولكن بقى الحال على ما هو عليه.

وأغلب الظن أننا سنجد مقتنيات «أحمد زكى» قد بيعت لثرى عربى أو سنجدها عند باعة «الروبابيكيا»، لكن فى النهاية لن نراها فى مكان يليق بها.

وفى هذه الحالة سيصدق قول «رغدة»:

«إن روحه ستلعننا ألف مرة».

«لقد انتهكنا شرفه الشخصى وشرفه المهنى».

زكى

بيعت فساتين أفلام «سعاد حسنى» فى مزاد علنى لسداد ما عليها من ضرائب

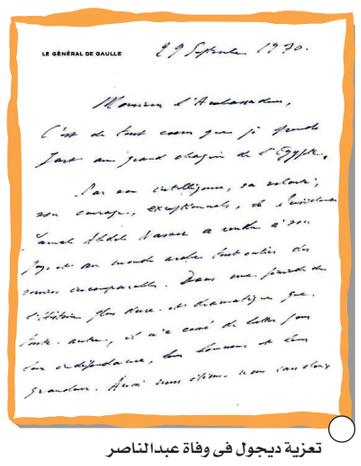
تعزية ديجول فى وفاة عبدالناصر

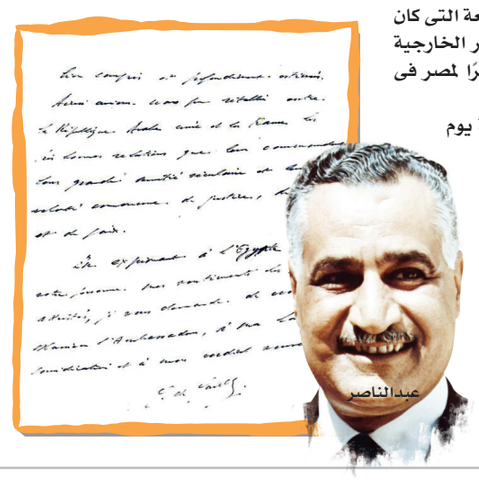
عبدالناصر

أهملنا مقتنيات نجوم الفيلم والكتاب والرواية والسيمفونية واللوحة التشكيلية ولم نحتفظ بها

حرف

تنفرد بنشر فصل من رواية سعود السنعوسى الجديدة «سفر العنفوز»

تنفرد «حرف» بنشر فصل من الرواية الجديدة للروائى الكويتى سعود السنعوسى «سفر العنفوز» وهى الجزء الثالث من ثلاثية «أسفار مدينة الطين» بعد الجزءين الأول والثانى «سفر العباءة» و«سفر التبة». وتصدر رواية «سفر العنفوز» خلال أيام عن منشورات «مولاف» ودار «كلمات»، وبطبعة مصرية حصرية عن دار تنمية فى القاهرة.

رجوع الشَّيخ إلى مَثواه

«وفى رُبى الجهراء، لو تنطق الأشياء، لأنشدت قصيدة طويلة»

الأخوان رحبانى

لا يدرى حتى كاتب الأسفار كيف غادرت العجوزُ الدِّيرةَ المُسَوَّرة وبوابات السُّور الخمس مُحصَّنةٌ موصدة

ما جاء أحدٌ على ذِكر الفارس الذى أوفى قَسَمَهُ بشاربه وهبَّ لنصرة الجهراء لولا أن استيقظ ضميره فنجا بحصانه ومات مبتلعًا لسانه

أسفرَت السَّماءُ وأنورَت، واستهلَّت غيومُ الوَسْم ثانيةً وأمطرت، ورفرفت عباءات الصاجَّات فى فجرٍ خَرافى الوقائع، فوق سطوح بالصَّمت والرَّجاء تدثَّرت. وتردَّدت فى فضاء الدِّيرة تراتيلُ شُيوخ البحر السَّبعة تُحاكى هديرَ الموج؛ هولو هيهْ.. هولو هيهْ. وتخلَّل صياحُ الدُّيوك نهيقَ الحمير، وعلى ما أبصرَ الدِّيكُ والحمارُ فى الوقتِ نفسه ذاك الفجر؛ كأنما وقعت بين الملائكة والشَّياطين واقعة.

اعتلت العجائزُ المتَّشحات بسود العباءات سطوح دورهنَّ الطِّينية المنثورة فى سِكَك الدِّيرة، فى الأحياء الشَّرقية والقِبلية والمرقاب، وقتَ أرسل الشَّيخ أحمد المراكب نجدةً إلى الحاكم والأهالى المُحاصرين فى القصر الأحمر فى الجهراء. وقفنَ مولياتٍ صدورهنَّ إلى الغرب تحت السَّماء الرَّمادية المُشعَّة بالبُروق. أُم حزام وأُم صلاح وأُم غريب وأُم صَلْبوخ وأُم عبدالرَّحيم وأُم جابر وأُم عَوَض. وقفنَ مثل عباءاتٍ رطبةٍ معلَّقة فوق السُّطوح تلهو بها ريحُ الفجر الغريب. يُمسكن بالسَّعفات اليابسة، ويُباعدن بين أذرعهنَّ ويَصفقن الهواء مثل خنافس أبى جُعَل تهمُّ بالطَّيران، فيُعيدها وزنها إلى الأرض ولا تطير. يُكوِّرنَ الشِّفاه اليابسة وينفُخن جاحظات العيون. يواجهن مغرب الشَّمس وقت طلوعها وراء ظهورهن، شاخصات الأبصار صوبَ شىءٍ بعيد.

وعلى بُعد أميالٍ قدرُها ثمانية عشر وراء البحر شرق الدِّيرة، وقفت كبيرة الصاجَّات أُم صَنْقُور على رأس التَّل فى ساحة مقام الجزيرة، غير بعيد عن ضريح سعيدة، تبرقُ فى صدرها قلادة الأصداف والأظلاف الموروثة من أُم حَدَب والسَّالفات من صاجَّات مدينة الطِّين. وحولها عشرات من طيور اللَّوْهة يلمعُ ريشُها الأسود الدَّهين، تحطُّ على صخور السَّاحل وحول قُبَّة المقام تتربَّص بعيونها الصَّفراء. تقفُ مُشرئبة الأعناق تُطالع الغرب وترفرفُ بأجنحتها وهى فى أماكنها ثابتة على الصُّخور. وتهبُّ ريحٌ رخاء من سُود الأجنحة فتدفعُ بياضَ الأشرعة فى إبحارها صوبَ الغرب، والموج يتهادى مع الرِّيح مثل كثبانٍ عظيمة زرقاء.

شرَّعت خادمةُ المقام ذراعيها تحت العباءة، يتطلَّع صدرها العامر نحو الغرب. وتبدَّت المرأةُ فى طلعة الفجر مثل لَوْهة عملاقة تُرفرف بين أفراخها بجناحيها الأسودين. بدأت تُناور الهواء بطيئة، فتسارعت تحت وابل المطر، ثُمَّ بلغت من شدَّة الرَّفرفة بعباءتها ما كاد يرتفع بها عن الأرض شِبرًا. والزُّورق البُخارىُّ «مِشْرف» يمخرُ عُباب الخليج يقفُ فى مقدِّمته الشَّيخ عبدالله بكرُ الأمير وأمير البحر بن رومى، يُحاذيه السَّنْبُوك «الحامدى» بصاريتَيه العملاقتين عظيم الشِّراع، فى أوَّل إبحارٍ له من دون شيخ البحَّارة سَنَد بن هولين. ووراء السَّنْبُوك تلوحُ المراكب الخشبيَّة موسوقة بالرجال والمؤونة والسِّلاح.

وعلى بُعد أميالٍ قدرها بضعةٌ وعشرون جنوب الدِّيرة، خطفَ شِهابٌ نارىٌّ فى سماء الفجر فوق جبل وارة، وهبط عند هيكل الضَّريح الخفىِّ للجنِّى بُرقان أبى العجائب. فارتفع صوتٌ مُنغَّمٌ ليس بالغريب لو كان السَّامع من أهل الدِّيرة:

يا ربَّة الذكرى والشَّمس والطِّين..
والبحرِ والصَّحرا.. لو كنتِ تدرين..

سارت أُم حَدَب ترفعُ سراجها فى شِمالها، وبيمينها تحملُ سعفتها اليابسة. ووقفت على أرضٍ تنضحُ القارَ لزجًا أسود على التُّراب وبين صخور البر.

يا الزَّرقا يا الصَّفرا.. حَمْرا الشياطين..
إن طاحت الجَهْرا.. كثرت سكاكين..

تلفَّتت بين خِيام بيوت الشَّعر المتناثرة فى المكان، والمطر يزخُّ على عباءتها. والبروق تومض فى السَّماء مثل سياطٍ من لظى. والفضاء يضجُّ بالهزيم مثل نذير السَّماءِ للأرض أن طامَّة كُبرى تحيق بالكويت. وصوت العجوز ما زال يُردِّد على لحن أنشودتها القديمة، ويُكذِّب حدسها بسقوط الدِّيرة:

يا صاجَّة يا صاجَّة.. ما صدقت..

ولا يدرى حتى كاتب الأسفار كيف غادرت العجوزُ الدِّيرةَ المُسَوَّرة، وبوابات السُّور الخمس مُحصَّنةٌ موصدة، لا تُفتح إلا لِمامًا للفارِّين من معركة الجهراء. كيف انسلَّت أُم حَدَب وجاوزَت السُّورَ يا سعفة الصاجَّة؟! قلت لكَ لا تلعب مع أُم حَدَب يا كاتب الأسفار! يا صاجَّة يا صاجَّة.. ما صدقت.

خرج شيخٌ مديدُ القامة من أحد بيوت الشَّعر فجرًا قُرب الضَّريح الخفىِّ، يتتبَّع مصدر الغناء والصَّوت المألوف بين زخَّات المطر. فأبصر أُم حَدَب تُقبل بعباءتها صوبه تجرُّ سعفتها، بارقةً من البَرَص مستقيمة الظهر يشعُّ وجهها سوادًا أصيلًا. وخرج على صوتها الرجال من خيامهم، وتحلَّقوا حول الشَّيخ والعجوز التى سكتت عن غنائها ووقفت أمام الشَّيخ الذى ما كاد يتعرَّفها بوقفتها وبشرتها الجديدتين. نقَّلت بصرها بينه وبين الرِّجال قبل أن تقول:

«الشيخ سالم ورجاله محاصرون فى القصر الأحمر. لو طاح القصر تطيح الجهراء، ولو طاحت الجهراء تطيح الدِّيرة».

فوقعت كلمة الدِّيرة فى نفس الشَّيخ فارع الطُّول موقع فزع، ففى الدِّيرة حشاشةُ القلب شايعة الحُبارى.

وعلى بُعد أميالٍ قدرها ثمانية عشر غرب الدِّيرة، فُتحت بوابة القصر الأحمر على مصراعيها فى طلوع الشَّمس. أربعة من أبناء أبى السَّواعد يدفعون المصراع الأيمن، وأربعة يدفعون الأيسر. والمحاصَرون العطشى يتدافعون على الخيل والأقدام، ينفرون من قصرٍ لا مناص من سقوطه إذا امتدَّ الحصار يومًا آخر. وكفَّ الإخوان إعمال مناجلهم فى الجدار الغربى، وأسقطوا السَّلالم المحمولة على الأكتاف، وألقوا بالمناجل وحملوا البنادق وشهروا السُّيوف. ونفرَ الهجَّانةُ من معسكرهم فى النَّاحية الغربية، وأقبلوا على ظهور جِمالٍ يصمُّ هديرُها السَّماءَ، ويهزُّ الأرضَ خبيبُها، وبوابة القصر مشرعةٌ تلفظُ المُحاصرين المسلَّحين ركضًا إلى الأمام مثل العُمى، مثل الهاربين من موتٍ إلى موت، وضجَّت سماءُ الصُّبح بصيحات أمير الإخوان: هبوب الجنَّة. وردَّ رجاله:

«وين أنت يا باغيها؟».

فدوَّت البنادق وصَلْصَلَت السُّيوف وصهلت الخيلُ ورَغَت الجِمال. وسالت الدِّماء وانسكبت خيوطها على الأرض وتفرَّقت خطوطًا متعرِّجةً مثل شقوق الجفاف فى أديم الرَّمضاء. ومات من مات فى سبيل جنَّته. ودُوِّن كثيرٌ وقيل أكثر. وسُطِرَ فى الكُتُب ما تسطَّر، فيها الحقيقةُ وما تأسْطَر. وكتَبت الكويتُ وكتَبت نجدٌ وكتبَ الإنجليز مروياتهم. وما ذُكِرَ فى كتابٍ ولا نُطِقَ على شِفاهٍ ما يقول كاتبُ الأسفار فى مرويته، ذَلك أن ولدَى بخيتة فى فورة القتال تواجها، الخبيرُ راجلًا يدعو الغِرَّ أن يترجَّل من جواده ويتبعه إلى رجال القصر. والغِرُّ يدعو الخبيرَ أن يمتطى الجوادَ وراءه للعودة إلى معسكر مَن طاع الله. وانتبه «عبدٌ» من «عبيد» القصر إلى ولدَى بخيتة أحدهما يدعو الآخر إلى الجنَّة. واحدٌ يقول إن الجنَّة فى القصر والآخر يقول إنها عند من طاعَ الله. فأسقط «عبدُ» القصر عطاالله من صهوة جواده برصاصة استقرَّت فى صدره. وأجهز على ساطور بنصلِ سيفه الهَندى، ودحرج رأسه بين الأقدام حتى همدَ مُغبرًا شاخص العينين صوبَ القصر. ونُسى أمرُهما، «عبدان» قتلهُما «عبد»، دُفِن أحدهما فى أحد أحواش القصر، ويبقى قبره إلى آخر الدَّهر بلا شاهد، تدوسه أقدام زوَّار القصر التُّذكارى فى الجهراء، والقلَّة التى تدرى بحكاية القبر فى قابل الأيام لا تدرى من يكون صاحبه: عطاالله الخيزرانة أم ساطور العَرد.

دُوِّن كثيرٌ وقيل أكثر، والخيالُ فى دروب التَّاريخ يتبختر، وسطَّرت الكُتب ما صار وما لم يصر، وما جاء أحدٌ على ذِكر الفارس الذى أوفى قَسَمَهُ بشاربه وهبَّ لنصرة الجهراء لولا أن استيقظ ضميره، فنجا بحصانه، ومات مبتلعًا لسانه. ولا مرَّ سطرٌ فى هامش كتاب يُشير إلى ابن خادمة المقام الأصغر، مُذ هبَّ متطوعًا ووهبَ نفسه للدِّيرة كاملًا، وعاد من الحرب ناقصَ ذراع، يُقلِّب بذراعه المتبقية حبوب الأرزِّ والملح فى صندوق الكتابين السِّريين. ولا ذُكر ضمن مشاهير الشُّهداء ثمانيةُ أشقاءٍ أقسموا ألا يتوكأ أبوهم على عصًا ما داموا يشمُّون الهواء. وما عاد فيهم من يشمُّ الهواء وقد أعمَل فيهم الإخوان الرَّصاص والسُّيوف والخناجر والمناجل. فتوكأ أبوهم العصا بعد معركة كادت تنتهى على هزيمة، لولا أعلنت نجدةُ الشَّيخ أحمد عن وصولها بدوىٍّ مدفع ضجَّ فى شرق الجهراء ناحية البحر. وتراءى للمتحاربينَ الزُّورق البخارى «مِشْرف» يُدوِّى مدفعه بعيدًا عن السَّاحل، ومن حوله السَّنْبُوك «الحامدى» وبضعة مراكب محمَّلة برجالٍ يُدوِّى بارود بنادقهم فى الهواء.

فارتفعت من المراكب المقبلة صيحات الرِّجال تؤدِّى العَرضة بصوتٍ واحد، تُردِّد الغناء وراء النَّهام الأعمى عبدالله فى السَّنبوك «الحامدى»:

يا دارًا لنا حقَّك علينا
يوم الضِّيق ما نبغى شفاعة

فقُرعت طبول الحرب فوق المراكب وشهِرت السُّيوفُ السلائل لامعةً عالية:

نجعل السلايل فى أيدينا
شبعةً لى من عقب المجاعة

واقترب القرعُ والصيحات مع اقتراب الأشرعة المنشورة فى الهواء:

لو ما إرادة الله ما مشينا
وأسقينا المُعادى سِم ساعة

وسكتت طبول العَرضة وصيحات الرِّجال حينما رست المراكب على سِيف الجهراء. وأقبل فى الوقت نفسه من الجنوب جناح الميمنة وقد تزوَّد فى الدِّيرة بالعتاد، بعدما كسره جِناحُ ميسرة الإخوان وشتَّتت شملهم ظُهر أمس. اصطفُّوا خمسمائة من الفُرسان، مُغبرى الوجوه طويلى الجدائل وراء قائدهم يُصوِّبون البنادق، على حين ارتفع صوت امرأةٍ وراء تلٍّ بعيد تهزج بعالى الصَّوت:

يا الزَّرقا يا الصَّفرا.. حَمْرا الشياطين..

فسكت دوىّ البارود وصليل السُّيوف. واشرأبت الأعناق صوبَ الصَّوت الآتى من بعيد:

إن طاحت الجهرا.. كثرت سكاكين..

ظهرت أُم حَدَب فوق رابيةٍ صغيرة أمام القصر تحملُ سعفتها اليابسة، تُجيل بصرها بين المتعاركين الذين شَدَهَهُم صوتها الشَّجى:

يا صاجَّة يا صاجَّة.. ما صدقت..

وكشفت الرَّابيةُ عن سَنَد بن هولين إلى جوار أُم حَدَب، يمتطى صهوة فرَسه الأثيرة؛ الرَّملا، تُرابية اللَّون رشيقة الجسد. تقدَّم شيخ البحَّارة مع شيخ قبيلته، وتبعهما خمسمائة فارس هَبُّوا لنجدة المحاصَرين بمباركة عجوز المرقاب التى ما سكتت أهزوجتها منذ ارتفعت فى الفضاء مثل الأذان.

ولمَّا حوصِر المحاصرون جهة البرِّ والبحر والقصر همَدَت هبوبُ الجنَّة، وتراجع باغوها إلى معسكرهم فى الغرب، وعلى بركة إبراهيم عمود الدِّين ومحمَّد رسول الله؛ أعلنت هدنة.

واقتضت الهدنة أن يسحب الإخوان قوَّاتهم من الجهراء إلى آبار الصَّبيحية، وأن يعود الشَّيخ سالم ورجاله إلى الدِّيرة.

وعُلِّقَت مطالب الإخوان ظهيرة يومهم هذا، ونُسِىَ أمرُ العباءة.

المُحاصرون المسلَّحون ركضًا إلى الأمام مثل العُمى مثل الهاربين من موتٍ إلى موت

لمَّا حوصِر المحاصرون جهة البرِّ والبحر والقصر همَدَت هبوبُ الجنَّة وتراجع باغوها إلى معسكرهم فى الغرب

ماذا يقرأ العالم الآن

تعتمد رغبة المرء فى قراءة الكتب العالمية على اهتماماته وتفضيلاته الخاصة، فالبعض يميل إلى معرفة تفاصيل أكبر عن الأحداث السياسية، وهناك من ينجذب إلى الغوص أكثر فى حياة المشاهير، من خلال قراءة كتب السير الذاتية، بينما يجد الكثير من القراء ضالتهم فى كتابات الخيال العلمى، أو الأدب رواية أو شعرًا.

وما بين كشف العديد من الأسرار الجديدة حول حياة ملكة بريطانيا الراحلة، إليزابيث الثانية، فى الذكرى الثانية لوفاتها، والملياردير الروسى بافيل دوروف، مؤسس تطبيق «تيليجرام»، بعد اعتقاله فى فرنسا، والكتاب الجديد الصادر بالأمس للرئيس الأمريكى السابق، دونالد ترامب، دارت قراءات العالم فى الفترة الأخيرة، فما الذى تتضمنه هذه الكتب؟

هالة أمين

رحلة حول الملكة

لماذا وصفت الملكة إليزابيث ترامب بـ«الوقح للغاية»؟

قبل أيام قليلة على الذكرى الثانية لوفاتها، التى تحل الأحد المقبل الموافق ٨ سبتمبر الجارى، صدر الكتاب البريطانى «A Voyage Around the Queen»، أو «رحلة حول الملكة»، الخميس الماضى.

الكتاب من تأليف كريج براون، الكاتب والصحفى الحائز على عدة جوائز، صاحب أفضل مبيعات فى صحيفة «صنداى تايمز»، عن دار النشر الشهيرة «هاربر كولينز»، ويكشف العديد من الأسرار الجديدة حول حياة الملكة إليزابيث الثانية.

ووصف الكثير من النقاد الكتاب بـ«الأكثر حيوية»، لأنه استطاع الاقتراب من الملكة إليزابيث الثانية بطريقة مختلفة عن باقى السير الذاتية، من خلال اهتمام مؤلفه بالثرثرة والنميمة المحببة، مع كشف تفاصيل لقاءات الملكة بمشاهير السياسة والفن والرياضة والمجتمع وغيرهم، وهو ما جعل صحيفة «أوبزرفر» البريطانية تصف إياه بأنه «جوهرة التاج بين السير الذاتية الملكية».

الكتاب الذى يضم بين دفتيه ٦٧٢ صفحة يجذب القارئ قبل حتى أن يفتحه، فمجرد أن تقع عيناه على الغلاف سيجد صورة الملكة إليزابيث الثانية مُحاطة بحرف «Q» على شكل حرف كبير. ورغم أن هذا الحرف يرمز إلى كلمة «Queen» أو «الملكة»، يمكن أن يشير أيضًا إلى كلمة «Quiz» أو «لغز».

ما يؤكد ذلك تشبيه الكاتب للملكة إليزابيث الثانية بـ«أبوالهول»، الذى تحيطه ألغاز عظيمة لم تُكتشف أو تُحل حتى الآن، لكن «براون» لا يتعامل مع «لغز» الملكة باعتباره طريقًا مسدودًا، بل على العكس يفتح مسارات وقصصًا كثيرة عنها، وكأنه يأخذ القارئ فى رحلة حول الملكة، كما يشير عنوان الكتاب.

ويقول كريج براون فى بداية الكتاب: «لم يعش أحد فى تاريخ البشرية حياة أكثر توثيقًا من الملكة، فمن الممكن تسجيل تحركاتها، على أساس يومى تقريبًا، منذ لحظة ولادتها إلى وفاتها. لم يمر يوم دون تصويرها، ثم تنتشر هذه الصور فى جميع أنحاء العالم. لكن على الرغم من الحجم الهائل للصور والمقتطفات الصحفية، ظلت غامضة تمامًا تقريبًا، وأبقت على حقيقتها مخفية، ووضعت مخططًا لإدارة الصورة الملكية، الذى مزقه بعض أحفادها الآن».

> كريج براون يكشف تفاصيل لقاءات الملكة إليزابيث الثانية بمشاهير السياسة والفن والرياضة والمجتمع

من ضمن اللمحات الطريفة التى وضعها «براون» فى كتابه، وصف الأديبة الشهيرة فرجينيا وولف للملكة إليزابيث الثانية، الذى قالت فيه: «وهى طفلة تشبه يرقة الفراشة، التى فى النهاية ستنمو لتصبح فراشة جميلة»، فضلًا عما قالته الملكة عن نجمة هوليوود الراحلة مارلين مونرو عندما التقتها: «وجدتها لطيفة للغاية، لكننى شعرت بالأسف عليها، لأنها كانت متوترة للغاية، لدرجة أنها لعقت أحمر الشفاه الخاص بها».

وكشف المؤلف عن جانب مختلف فى شخصية الملكة إليزابيث الثانية، عندما طلب منها المخرج دانى بويل، المسئول عن حفل افتتاح أولمبياد لندن ٢٠١٢، الظهور مع «جيمس بوند» خلال الحفل، فكانت المفاجأة موافقتها على الفور دون أى تردد، رغم أن الطلب يبدو خرقًا للقواعد الملكية، ويمكن النظر إليه باعتباره تقليلًا من شأن الملكة.

لم تكتف الملكة بالموافقة على الظهور فى فيديو بحفل افتتاح أولمبياد لندن ٢٠١٢ فحسب، بل أضافت جملة حوارية لظهورها، بعد أن قالت للمخرج: «بالطبع يجب أن أقول شيئًا، فجيمس بوند قادم لإنقاذى».

وأبدى «بويل» إعجابه باهتمام الملكة بموظفيها، من خلال حرصها على أن يقضوا يومًا مع نجم سينمائى، لذا عندما جاء دانيال كريج «مؤدى شخصية جيمس بوند» إلى القصر، ووقفت الملكة بجانبه لالتقاط صورة، كانت حريصة جدًا ومُصرة على أن يفعل موظفوها نفس الشىء.

وعُرض الفيديو الذى ظهرت فيه الملكة مع «دانيال كريج/ جيمس بوند» فى حفل افتتاح الألعاب الأوليمبية، يوم ٢٧ يوليو ٢٠١٢، وشاهده أكبر جمهور عالمى فى تاريخ التليفزيون البريطانى.

ويتضمن المشهد وصول «جيمس بوند» إلى قصر باكنجهام فى سيارة أجرة سوداء، وصعوده سلالم مغطاة بالسجاد الأحمر، ثم يستقبله بول وايبرو، وهو وصيف حقيقى للملكة، وإثنان من الكلاب الملكية الأصيلة، ويصطحبه إلى غرفة الملكة.

يقول «وايبرو»: «السيد بوند، جلالتك». يقف «بوند» فى صمت، ويبدو عليه القليل من نفاد الصبر وهو ينتظر انتهائها من كتابة رسالة، وبينما تدق الساعة، يتنهد لينبهها إلى وجوده، فتستدير الملكة وتقول له: «مساء الخير، سيد بوند»، فيرد: «مساء الخير، جلالتك».

ورغم أن دانيال كريج تحدى مطاردات السيارات والرصاص والسكاكين والمشاجرات والانفجارات والرمى من النافذة، وخاض العديد من المعارك حتى الموت، اعترف لاحقًا بأنه «ارتجف من التوتر» فى حضورها. وتطرق الكتاب كذلك إلى علاقة الملكة إليزابيث برئيسة الوزراء البريطانية، مارجريت تاتشر، وسط الحديث المتداول حول وجود «حالة تنافس» بينهما، التى انتهت بطبيعة الحال مع رحيل «تاتشر» عن منصبها عام ١٩٩٠.

وفى ٢٠٠٥، أقيمت حفلة عيد الميلاد الثمانين لـ«مارجريت تاتشر»، وعندما رأت الملكة تقترب سألتها: «هل يمكننى أن ألمس يديك؟»، ومدت «تاتشر» يدها وهى تنحنى، فأخذتها الملكة وتمسكت بها بقوة، وهو ما علق عليه سكرتيرها الخاص السابق للشئون الخارجية، تشارلز بالوك، بقوله إن «هذا كان أمرًا غير معتاد بالنسبة للبريطانيين، الذين يعرفون أنه لا يُفترض بك أن تلمس الملكة، لكن الملكة ظلت متمسكة بيد تاتشر فى أنحاء الغرفة».

كشف الكتاب كذلك عن رأى الملكة فى الرئيس الأمريكى السابق، دونالد ترامب، الذى وصفت إياه بأنه كان «وقحًا للغاية»، بعدما استضافته مرتين خلال ولايته قائلة بالتحديد: «كرهت بشكل خاص الطريقة التى نظر بها من فوق كتفى، وكأنه يبحث عن آخرين أكثر إثارة للاهتمام».

شفرة دوروف

أسرار من حياة «نبى الخصوصية» الذى هزم «مملكة فيسبوك»

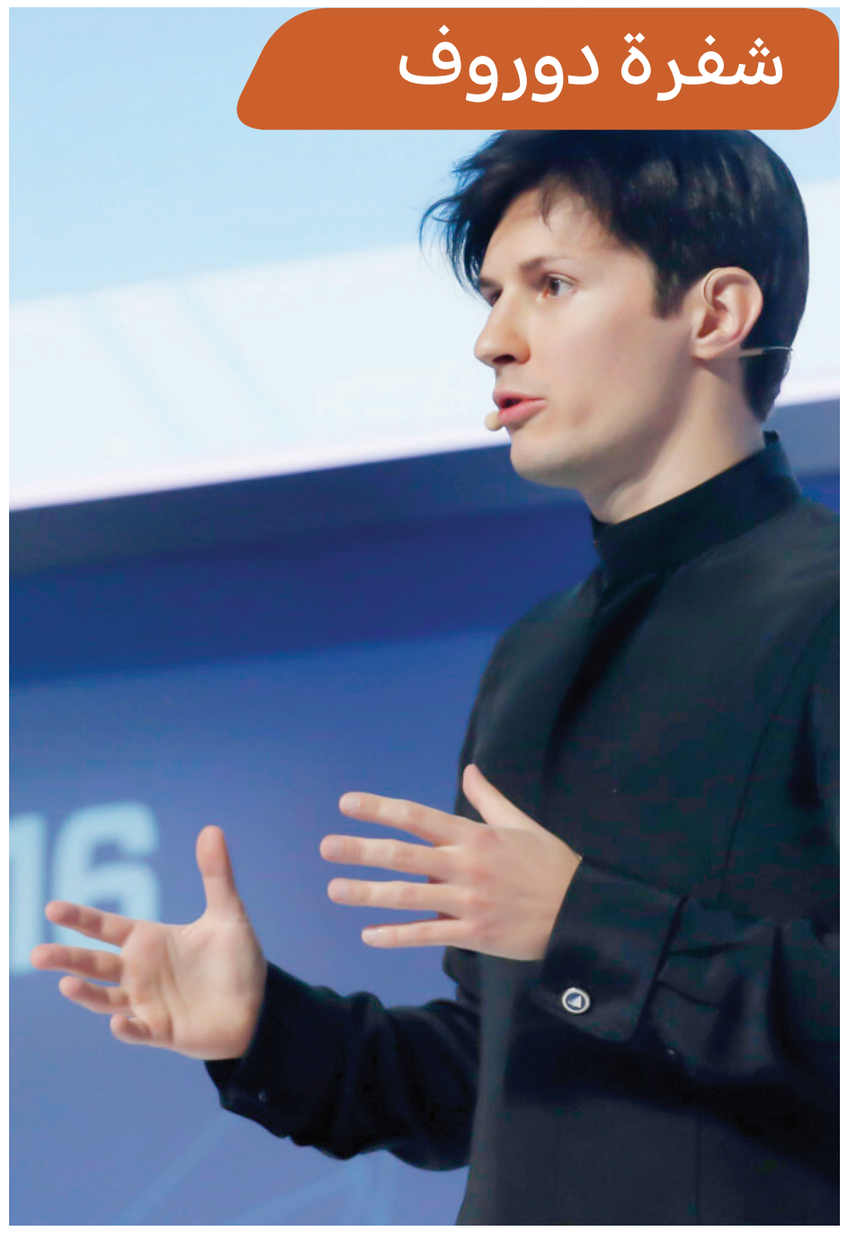

أصبح الملياردير الروسى بافيل دوروف، مؤسس تطبيق «تيليجرام» الملقب بـ«مارك زوكربيرج روسيا»، موضع اهتمام عالمى كبير، ليس فقط بسبب القبض عليه فى فرنسا، الأسبوع الماضى، باتهامات مثيرة للجدل، لكن لأن قصة حياته تحمل الكثير من التفاصيل المثيرة.

فالرجل البالغ من العمر ٣٩ عامًا، ويتمتع بوسامة وجاذبية واضحة، لديه أكثر من جنسية، وتدور شائعات حول كونه «الأب البيولوجى» لنحو ١٠٠ طفل، ما أضاف إلى غموضه الكثير، وجعل المهتمين بأباطرة التكنولوجيا ووسائل التواصل الاجتماعى يبحثون عن أى معلومات تخصه، من خلال كتب أو سير ذاتية نُشرت عنه.

وجاء الاهتمام باعتقال «دوروف» فى فرنسا، قبل الإفراج عنه بكفالة قدرها ٥ ملايين يورو، فى ظل خلافات كبرى بين الحكومات الغربية وأباطرة التكنولوجيا، وعلى رأسهم إيلون ماسك، الذى أطلق على الفور هاشتاج «#FreePavel» أو «حرروا بافيل»، لدعم مؤسس «تيليجرام»، وسط اتهامات واسعة للسلطات الفرنسية بأن عملية اعتقاله ذات دوافع سياسية.

وجددت هذه التطورات الحديث عن السيرة الذاتية الوحيدة عن بافيل دوروف، التى كتبها الصحفى الروسى نيكولاى كونونوف، وحملت عنوان «The Durov Code»، أو «شفرة دوروف»، وسط إقبال على قراءتها من المهتمين بمعرفة الحقيقة وراء هذا الرجل الغامض.

ولا يمكن وصف «شفرة دوروف» سوى بالكتاب المهم للغاية، لأن مؤسس «تيليجرام» معروف بعدم التواصل مع الصحفيين، لكن مؤلف الكتاب استطاع أن يلتقيه ويتحدث معه عدة مرات، ويشق طريقه إلى عقله، لتكون النتيجة ليست مجرد تحقيق صحفى، بل كتاب كامل يستهدف أولئك المهتمين بقصص النجاح، خاصة فى مجال شركات التكنولوجيا ومواقع التواصل الاجتماعى.

وفيما يلى أبرز ما جاء فى كتاب نيكولاى كونونوف عن بافيل دوروف، المعروف باسم «نبى الخصوصية»، فى ظل الخصوصية العالية التى يتيحها تطبيق «تيليجرام»، مقارنة بباقى تطبيقات المراسلات الأمريكية، من بينها «واتساب»:

ولد بافيل دوروف عام ١٩٨٤ فى الاتحاد السوفييتى، ونشأ فى عائلة من المثقفين، وأُرسل إلى مدرسة ثانوية مرموقة فى سانت بطرسبرج. تمرد «دوروف» على التحكم والمراقبة منذ صغره، فأثناء تعلمه البرمجة فى المدرسة، اخترق النظام لجعل جميع أجهزة الكمبيوتر فى الفصل تعرض صورة للمعلم، مع تعليق «يجب أن يموت»، ما أدى إلى منعه من دخول مختبر الكمبيوتر لمدة شهر.

تمتع «دوروف» المراهق بثقة كبيرة فى نفسه، تقترب من الإيمان بقدراته الخاصة. عندما اجتمع مع أصدقائه فى شقة، بعد التخرج فى المدرسة الثانوية، لمناقشة المهن المستقبلية لهم، أخبرهم دون أى مزاح بأنه سيصبح «نبى الإنترنت».

ومع نمو سمعته كساحر كمبيوتر، أثناء دراسته فى الجامعة، اقترب منه إثنان من معارفه، وأظهرا له نسخة مبكرة من موقع «فيسبوك» الخاص بمارك زوكربيرج، فقرر سرعة إنشاء «نسخة روسية» متطابقة تقريبًا من «الموقع الأزرق».

ولتجسيد رؤيته على أرض الواقع، استعان «دوروف» بشقيقه الأكبر «نيكولاى»، وهو عبقرى فى الرياضيات فاز بالميدالية الذهبية لأولمبياد الرياضيات الدولى ٣ مرات متتالية، فى تسعينيات القرن الماضى، واعترف به فيما بعد باعتباره العقل المدبر وراء كل من «فيكونتاكتى/ بديل فيسبوك الروسى» و«تيليجرام».

توصل «دوروف» إلى فكرة «تيليجرام» أثناء البحث عن طريقة للتواصل بأمان مع فريقه، مع سماح التطبيق الجديد آنذاك بإنشاء «مجموعات دردشة» ضخمة، ما يجعل تنظيم الأشخاص أسهل، ونسخة أكثر سلاسة من تطبيق «واتساب».

وأسس «بافيل» منصة «فكونتاكتى» بعد تخرجه مباشرة فى جامعة سانت بطرسبرج الحكومية، عام ٢٠٠٦، وكانت مُصمَمة فى البداية كمنصة اجتماعية لطلاب الجامعات، مع تقديم «نيكولاى» المشورة له، بصفته كبير مسئولى التقنية فى شركتهما الوليدة.

وكان هاجس الشقيقين هو جعل المنصة الجديدة أسرع وأكثر موثوقية من منافسها الأمريكى «فيسبوك»، لتنجح فيما بعد بالفعل فى النمو بسرعة كبيرة، لتصبح فى النهاية منصة التواصل الاجتماعى الرائدة فى روسيا، ثم فى العديد من الدول.

وفرت منصة «فيكونتاكتى» تجربة أشبه بـ«فيسبوك»، لكنها مُصمَمة خصيصًا للجمهور الناطق باللغة الروسية. كما كان نموها السريع مدفوعًا بكونها المنصة التى تسمح بمشاركة وبث الموسيقى والأفلام المقرصنة والمواد الإباحية، قبل أن يفقد «دوروف» السيطرة عليها تدريجيًا لصالح مستثمرين مقربين من «الكرملين»، ويقرر مغادرة روسيا عام ٢٠١٣.

رغم أنه يُشار إليه غالبًا باسم «زوكربيرج روسيا»، استوحى «دوروف» إلهامه من رئيس شركة «أبل»، ستيف جوبز، الذى كان فى ذروة نفوذه آنذاك، فـ«دوروف» مثل «جوبز»، يرى نفسه صاحب رؤية، ويدفع موظفيه إلى أقصى الحدود.

ومنذ بداية حياته المهنية، ظهر «دوروف» أقوى بعد كل هجوم ضده. كذلك اشتهر بنشر منشورات مساعدة ذاتية بعنوان «قواعد الحياة»، على حسابه فى «إنستجرام»، ينصح فيها ملايين من متابعيه بالعيش حياة منعزلة، وتجنب الكحول والقهوة والإفراط فى الأكل.

ويفخر «دوروف» بامتلاكه «الحد الأدنى من الممتلكات»، الأمر الذى سمح له بـ«البقاء غير مقيد»، و«الحفاظ على نمط حياة متنقل»، بدعم من فريق يضم ٣٠ مهندسًا بدوام كامل، فى جميع أنحاء العالم.

واحتفظ الملياردير الروسى بتفاصيل حياته الخاصة سرية إلى حد كبير، قبل أن يصدم جمهوره بمفاجأة كبرى، فى الشهر الماضى، حين خرج على وسائل التواصل الاجتماعى ليعلن أنه بصفته متبرعًا بالحيوانات المنوية، لديه الآن أكثر من ١٠٠ طفل بيولوجى!

> «دوروف» مؤسس «تيليجرام» استوحى إلهامه من رئيس شركة «آبل» ستيف جوبز

ماذا يقرأ العالم الآن

بريدجيت جونز: مجنونة بالصبى

حياة أرملة خمسينية فى زمن الإنترنت و«البوتوكس»

انتهى تصوير الجزء الرابع من سلسلة الأفلام الناجحة «مذكرات بريدجيت جونز»، فى أغسطس المنقضى، والذى يحمل اسم «Bridget Jones: Mad About the Boy» أو «بريدجيت جونز: مجنونة بالصبى».

الجزء الرابع من الفيلم المقتبس عن رواية تحمل نفس الاسم للكاتبة هيلين فيلدينج، يظهر فيه كل من رينيه زيلويجر وهيو جرانت، مع غياب نجم الأجزاء السابقة، كولين فيرث، الذى لعب دور «مارك دارسى»، إذ يتوفى فى حادث، لتجد البطلة نفسها أرملة ولديها طفلان.

بمناسبة الانتهاء من تصوير الجزء الرابع من الفيلم الشهير، المقرر عرضه فى فبراير المقبل، سلطت صحيفة «إندبندنت» البريطانية الضوء على الرواية المقتبس منها العمل، والتى صدرت فى عام ٢٠١٣، وتدور حول حياة «بريدجيت»، وهى أرملة فى الخمسينيات من عمرها، بعد وفاة زوجها «مارك دارسى» فى حادث لغم أرضى.

وتتناول الرواية قصة «بريدجيت» وهى تكافح كأم عزباء، فى أعقاب وفاة زوجها «مارك»، تحديدًا بعد قرابة ٢٠ عامًا من الرواية الأولى، وسط اختلاف المشهدين الثقافى والجنسى بشكل كبير، إذ تكافح «بريدجيت» الآن مع الإنترنت والرسائل النصية و«البوتوكس».

وتحاول «بريدجيت» إعادة الاتزان إلى حياتها من جديد، بعد ٤ سنوات من وفاة «مارك»، وتعود إلى مشهد المواعدة الذى تغير كثيرًا، تمامًا كما كانت فى العشرينيات من عمرها، لتطرح الرواية قصة مرحة عن امرأة فى منتصف العمر، تتنقل بين المواعدة والأمومة فى عصر الإنترنت.

وتظل «بريدجيت جونز»، التى أصبحت أكبر سنًا وأكثر حزنًا، لكن ليست أكثر حكمة، بطلة الكوميديا المثالية، لتحلل المؤلفة هيلين فيلدينج من خلالها «ارتباك جيل جديد من النساء، وتسمح لقرائها بالضحك عليهن، كاختصار لنوع معين من الأنوثة المعاصرة»، وفق «إندبندنت».

وفى الجزء الرابع، أعادت المؤلفة إحياء «بريدجيت»، بعد قرابة ٢٠ عامًا، للحياة وسط مشهد رومانسى وجنسى وثقافى جديد تمامًا، ومع ذلك لم يتغير أسلوبها الأنثوى، رغم بلوغها ٥١ عامًا، فهى لا تزال تسجل وزنها بشكل مهووس، وكمية الكحول التى تشربها.

ولم تكتفِ بطلة الرواية بذلك، وأضافت إلى «قائمة الشعور بالذنب» هذه رسائل نصية محرجة، وتغريدات، و«بوتوكس». وفى بعض الأحيان، تبدو «بريدجيت» مزعجة مثل مراهقة مرحة، كما كانت دائمًا، لكن هناك ظلًا يخيم عليها، خاصة بعدما أصبحت أرملة وأمًا لطفلين صغيرين.

ومع جعل «بريدجيت جونز» أرملة، أصرت المؤلفة هيلين فيلدينج على بقاء زوجها «مارك دارسى» مثاليًا بشكل غير معقول، فى الموت كما كان فى الحياة، من خلال قتله بلغم أرضى أثناء التفاوض على إطلاق سراح عمال الإغاثة فى السودان، لتتجنب أى تشويه للحلم، بطلاق فوضوى بين الإثنين مثلًا، مع تقديم الكثير من المجال للحظات مؤثرة مع الأطفال.

لكن تصميم «بريدجيت» على «الاستمرار فى العبث»، كما تقول المؤلفة فى الرواية، يدفع المأساة التى تعيشها فى ظل وفاة زوجها إلى الهامش، فى معظم الأحيان، لكنه يمنحها حزنًا كانت تفتقر إليه فى الأجزاء السابقة.

وتبدأ أحداث رواية «بريدجيت جونز: مجنونة بالصبى» بعد ٤ سنوات من وفاة «مارك»، إذ تخرج «بريدجيت» من صدمة الحزن الأولى للانخراط فى مشهد المواعدة مرة أخرى، الذى أصبح مختلفًا للغاية الآن، فعندما كانت عزباء آخر مرة، لم يكن هناك «تويتر» أو «رسائل جنسية» أو مواعدة عبر الإنترنت، وهو ما استغلته المؤلفة فى بناء العديد من المواقف الكوميدية.

وعلى الرغم من أن تأخر «بريدجيت» فى تبنى التكنولوجيا يجعل الكثير من الكوميديا التى تعتمد على الملاحظة تبدو قديمة، هناك بعض المواقف الجميلة التى تستند إلى سوء الفهم والتوقيت السيئ عادةً، عندما تصادف «بريدجيت» مدرس ابنها الوسيم، «السيد والاكر».

وكتعوض عن الضربة القاسية التى وجهتها لـ«بريدجيت» بعد وفاة زوجها، جعلت المؤلفة من أبطالها فى الجزء الرابع أكثر مثالية. لكن هذا كان دائمًا جزءًا من جاذبية الشخصية، فالبطلة العادية التى تفوز ببطلها الرومانسى، لا تفعل ذلك من كونها المرأة المثالية، ولكن من خلال كونها الخرقاء نفسها.

وتؤكد المؤلفة فى هذا الجزء من الرواية أن الحب الحقيقى ليس مضمونًا مدى الحياة، حتى فى الكوميديا الرومانسية، وأن النساء فى الأربعينيات والخمسينيات من العمر لم يعدن مستعدات للتلاشى، وحيدات وغير مرئيات، وهو ما تعبر عنه على لسان بطلتها «بريدجيت»، التى تبدو سخيفة ومثيرة للغضب فى كثير من الأحيان. لكنها أيضًا إنسانية للغاية، بكل ما تعانيه من انعدام الأمان.

> انتهاء تصوير الجزء الرابع من سلسلة الأفلام الناجحة «مذكرات بريدجيت جونز» فى أغسطس الماضى

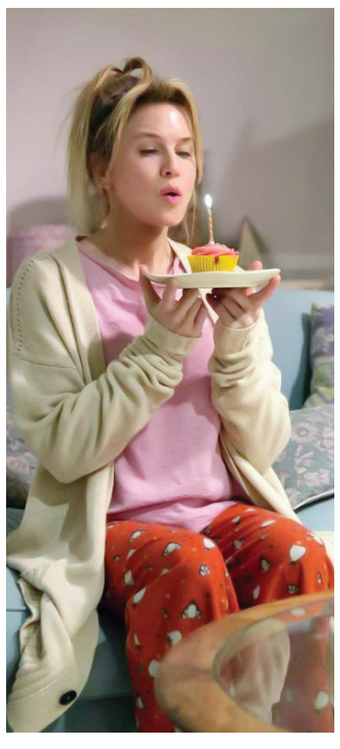

أنقذوا أمريكا

ترامب يهدد مارك زوكربيرج بالسجن مدى الحياة

صدر الكتاب المصور «Save America» أو «أنقذوا أمريكا»، أمس الثلاثاء، والذى كتبه دونالد ترامب، الرئيس الأمريكى السابق، المرشح الجمهورى فى انتخابات الرئاسة المقررة فى نوفمبر المقبل، عن دار النشر «Winning Team Publishing»، التى شارك فى تأسيسها ابن «ترامب»، وحليفه سيرجيو جور.

يقدم «ترامب»، فى كتاب «أنقذوا أمريكا»، تفاصيل حول السنوات الأربع التى قضتها كرئيس الولايات المتحدة الخامس والأربعين، ورؤية لفترة حكمه المقبلة، حال فوزه فى انتخابات نوفمبر، إلى جانب كواليس القمم التاريخية التى جمعته مع زعماء العالم، وما يحدث داخل البيت الأبيض، مع صور توثق هذه اللحظات.

الكتاب عبارة عن مجموعة من الصور والحكايات والذكريات حول ولاية «ترامب»، ويعرض الإنجازات التى حققها فى هذه الفترة، بما فى ذلك مفاوضات التجارة، والتخفيضات الضريبية، والدبلوماسية الدولية، وأمن الحدود، إلى جانب رؤيته المستقبلية حال انتخابه مجددًا، ليسلط بذلك الضوء على الماضى، ويقدم خريطة طريق للمستقبل، وفقًا لوجهة نظره الخاصة.

وربما يكون الجزء الأكثر أهمية فى الكتاب هو تأملات «ترامب» بشأن الزعماء الأجانب، بداية من إشادته مرارًا وتكرارًا بالرئيس الصينى، شى جين بينج، والرئيس الروسى، فلاديمير بوتين، مقابل انتقاده حلفاء الولايات المتحدة منذ فترة طويلة، بما فى ذلك حلف شمال الأطلسى «الناتو» والاتحاد الأوروبى.

ودافع «ترامب» عن القمة التى عقدها مع الرئيس الروسى، فيلادمير بوتين، فى العاصمة المجرية هلسنكى، عام ٢٠١٨، وواجه بسببها انتقادات عديدة من الغرب. وكتب أسفل صورته مع «بوتين» فى القمة: «كان هذا يومًا معقدًا للغاية. لقد عقدت اجتماعًا عظيمًا مع الرئيس الروسى بوتين، وهو ما اعترف به الجميع، ثم بدأت الأخبار المزيفة فى نشر قصص كاذبة».

وأضاف: «فلاديمير رجل قوى، لكن كان لدينا تفاهم وتوافق جيد»، مشددًا على أن «روسيا استولت على أراضٍ فى عهد الرئيسين السابقين، جورج دبليو بوش وباراك أوباما، وكذلك الرئيس جو بايدن، وهو ما لم يحدث فى ولايتى».

ويتضمن كتاب «ترامب» صورًا له مع رياضيين أسطوريين، مثل جاك نيكلاوس وتايجر وودز، لاعبى التنس، إلى جانب زعيم كوريا الشمالية، كيم جونج أون، والذى كتب تحت صورة جمعته معه: «لقد تعرفنا على بعضنا البعض جيدًا فى فترة زمنية محدودة للغاية».

كما يتضمن صورته مع المستشارة الألمانية السابقة، أنجيلا ميركل، بجانب صور للحشود الكبيرة التى يحب التباهى بها، وتجمعت فى واشنطن العاصمة لسماع خطابه النارى، الذى سبق الهجوم العنيف على «الكابيتول»، فى ٦ يناير ٢٠٢١.

ويحتوى الكتاب على تأمل مطول لـ«ترامب» حول «مواجهة الموت»، أثناء محاولة اغتياله، خلال تجمع جماهيرى فى بنسلفانيا، يوم ١٣ يوليو الماضى، وهى الواقعة التى قال عنها فى الكتاب: «استمرت الرصاصات فى التطاير، بينما انقض على عملاء الخدمة السرية الشجعان للغاية لحمايتى، والدم يتدفق فى كل مكان، ومع ذلك، شعرت بأمان شديد، لأن الله كان إلى جانبى»، وذلك تحت صورة لوجهه الملطخ بالدماء.

وكشف كذلك تفاصيل اجتماعه مع مارك زوكربيرج، الرئيس التنفيذى لشركة «ميتا» مؤسس «فيسبوك»، فى البيت الأبيض، الذى قال عنه: «كان قد أحضر زوجته اللطيفة للغاية إلى العشاء، كان لطيفًا قدر الإمكان، بينما كان يخطط لمؤامرة حقيقية ضدى»، فى إشارة إلى اتهام «ترامب» لـ«مارك» بأنه «تبرع بأكثر من ٤٠٠ مليون دولار، هو وزوجته بريسيلا تشان زوكربيرج، إلى مكاتب الانتخابات، عام ٢٠٢٠، حتى لا يفز بالرئاسة». وقال «ترامب» عن «زوكربيرج»: «نحن نراقبه عن كثب، وإذا فعل أى شىء غير قانونى هذه المرة سيقضى بقية حياته فى السجن، كما سيحدث للآخرين الذين يغشون فى الانتخابات الرئاسية عام ٢٠٢٤».

وتطرق أيضًا لبعض منافسيه، بما فى ذلك ليز تشينى، العضوة السابقة فى «الكونجرس»، التى انتقدت سلوك «ترامب» بشدة، فى ٦ يناير ٢٠٢١، وأطاح بها منافس مدعوم منه، فى الانتخابات التمهيدية لعام ٢٠٢٢. وتظهر صورة «تشينى» فى كتاب «ترامب» وهى تبتسم معه فى البيت الأبيض. وكتب الرئيس الأسبق تحت الصورة: «لقد اعتادت أن تطلب منى سلالًا من الهدايا، وفى النهاية قلت لا».

وتحت صورة جمعته مع زعماء «الكونجرس» ذوى الوجوه العابسة، ومن بينهم زعيم الأقلية فى مجلس الشيوخ، ميتش ماكونيل، ورئيسة مجلس النواب السابقة، نانسى بيلوسى، ورئيس مجلس النواب السابق، كيفن مكارثى، كتب «ترامب»: «مجموعة ودية حقًا فى غرفة العمليات».

> «ترامب» يكشف أسرار 4 سنوات فى البيت الأبيض.. ويقدم رؤية لفترة حكمه المقبلة حال فوزه فى انتخابات نوفمبر

توفيق الحكيم
اليسار المصرى وعودة الوعى

شعبان يوسف

لا بد قبل أن نخوض فى العلاقة الجديدة التى نشأت على ضفاف كتاب «عودة الوعى»، ذلك الكتاب- الموقف الذى اتخذه توفيق الحكيم لسحب كل ما اعترف به وباركه لمدة عشرين عامًا، أو بالتحديد منذ قيام ثورة 23 يوليو عام 1952، حتى رحيل جمال عبدالناصر، قائد الثورة فى 28 سبتمبر 1970، وبعد صدور الكتاب فى أغسطس 1974 ثار كثيرون من الكتاب الذين ينتمون إلى ثورة يوليو بكل ما فيها من انتصارات وانكسارات، وكانت حملة كما فصلنا ذلك فى حلقات سابقة لم تحدث فى مواجهة الحكيم على مدى حياته كلها، لأن جمال عبدالناصر نفسه، هو الذى كان يدافع عنه، ويمنحه الأمان والجوائز، والألقاب، وكان موقف جمال عبدالناصر فى الدفاع عن الحكيم، يمنع كثيرًا من أشكال الهجوم، ولم يثبت لدينا أن توفيق الحكيم اتخذ موقفًا فى مناصرة اليسار الشيوعى عندما قضى قادته وقواعده وبقية أعضاء تنظيماته فى المعتقلات خمس سنوات كاملة، من 1959، إلى 1964، لم يقل شيئًا، ولم يعلن احتجاجًا، ولم يبرز موقفًا اعتراضيًا، ولكنه كان ينعم فى حرير السلطان.

حديث بين عبدالناصر وتوفيق الحكيم

بالطبع فهذا لا يقلل من شأنه ككاتب مسرح، أو كاتب رواية وقصة قصيرة، ولا ينتقص من قدره ككاتب مقال بارع، وهذا الكلام ينسحب على كثيرين من مفكرى وكتّاب وأدباء مصر فى ذلك الوقت من الجيل القديم، وعلى رأسهم دكتور طه حسين، ولكن طه حسين لم ينف مواقفه، ولم يقل إنه كان فاقدًا للوعى، كذلك نجيب محفوظ الذى كان يبث شجونه وتأملاته فى رواياته، ولكنه كان قليل الكتابة فى المقالات، ورغم أنه كتب رواية «الكرنك» التى عبّرت عن رأيه، إلا أنها كانت امتدادًا طبيعيًا وجدليًا لرواياته التى ظهرت فى مطلع عقد الستينيات، مثل «اللص والكلاب، وميرامار، وثرثرة فوق النيل»، تلك الروايات التى أظهرت احتجاجًا واضحًا لنجيب محفوظ على ما حدث، وما كان يحدث، ولكنه عبّر عنه فى ما يعرفه ويجيده، وهو فن الرواية، ولكن السلطة لم تكن غائبة عن جنوح كتابة محفوظ الأدبية نحو انتقاد الأوضاع السياسية على لسان شخصيات رواياته.

فى عام ١٩٧٤، لم يكن اليسار موحدًا كالعادة، كان هناك يسار رسمى، والذى كان تم تكليف الكاتب عبدالرحمن الشرقاوى بتشكيل تجمع واسع باسم «اليسار الوطنى الديمقراطى»، ولكنه لم يحدث وفشل، ولكن ظل ذلك اليسار الرسمى منبثًا وفاعلًا فى جزر الحياة السياسية، ومجسدًا فى مجلات وصحف متنوعة، وكانت مجلة روزاليوسف على وجه الخصوص تضم قطاعًا منهم، وعلى رأسهم طبعًا فرسان اليسار القديم على تنوعهم، مثل صلاح حافظ، وحسن فؤاد، وعبدالستار الطويلة، وعبدالرحمن الشرقاوى، وغيرهم، وحتى هؤلاء كانوا مختلفين فى مواقفه من الرئيس السادات، إذ كان عبدالستار الطويلة أعلن تأييده المطلق للسادات، ولم يفعل مثله الآخرون، ولكنهم بشكل أو بآخر كانوا يتأرجحون بين الرفض والقبول، التأييد والمعارضة، بين اللغة الناعمة حينًا، واللغة الحادة حينًا آخر، وسار على نفس الوتيرة يسار مجلة الطليعة وقائدها ورئيس تحريرها لطفى الخولى، ومعه أبوسيف يوسف ورفعت السعيد، وفاروق عبدالقادر، وخيرى عزيز، وحسين شعلان وغيرهم، ويمتد الأمر إلى مجلة الكاتب التى كان يرأس مجلس إدارتها وتحريرها أحمد عباس صالح، وكان مجلس التحرير يضم فى إهابه د. أحمد القصير، ود. عبدالعزيز الأهوانى، وصلاح عيسى وغيرهم، وكان هناك فى صحيفتى الجمهورية والأخبار بعض صحفيى اليسار مثل محمد عودة وفريدة النقاش وصلاح عيسى وفتحى عبدالفتاح وغير ذلك كانت هناك بعض تجمعات صغيرة ليست تنظيمية، تنتصر لهذا أو لذلك من اليسار.

هذا رسم كروكى لليسار الرسمى، والذى ينطلق من قلاع صحفية رسمية، قلاع خاضعة لشكل سياسى وفكرى محسوب، مثل الأهرام والأخبار والجمهورية، فمجلة الطليعة كانت تصدر عن مؤسسة الأهرام، وعندما أعلنت المجلة فى إحدى مقدماتها فى أكتوبر عام ١٩٧٥ عن موقف سياسى يخصها، كان أول شىء فعلته إدارة الأهرام، هو طرد مقر المجلة من الدور السادس، إلى الدور الأول فى كشك كان ملحقًا بمبنى مجلة الأهرام الاقتصادى، والذى قامت عليه عمارة الأهرام الجديدة، أو المبنى الثانى، أما اليسار غير الرسمى فهو كان عبارة عن مجموعة تنظيمات سرية، مثل حزب العمال الشيوعى المصرى، وحزب المطرقة، و٨ يناير، وغير ذلك من تنظيمات سياسية لم تستطع أن تحقق آمالًا عريضة فى الالتحام مع قطاعات الشعب.

لذلك التقط الأستاذ لطفى الخولى الفرصة، واتفق مع زملائه فى المجلة أن يديروا حوارًا مسلسلًا مع توفيق الحكيم فى المجلة، وفى ديسمبر ١٩٧٤ كتب الأستاذ لطفى الخولى فى افتتاحية العدد ما يلى: «لم يكن توفيق الحكيم بالنسبة لمصر مجرد كاتب كبير، ولم يكن كذلك بالنسبة لليسار الرسمى، واليسار وهو يضع على كاهله عبء الدفاع عن كل ما هو مخلص وشريف فى أرض هذا الوطن، ظل وعلى الدوام يعتبر توفيق الحكيم واحدًا من أهم الطلائع المستنيرة فى سماء هذا الوطن... وإيمانًا من أسرة (الطليعة) بأهمية الحوار مع توفيق الحكيم كرمز أو كبداية لحوار مثمر متصل بين كل الفصائل الوطنية والتقدمية، فإنها تستضيف هاتين الرسالتين على الصفحات المخصصة لافتتاحيتها..».

ونشرت المجلة الرسالتين المتبادلتين بين لطفى الخولى وتوفيق الحكيم، كانت رسالة الخولى مكتوبة فى ١١ نوفمبر ١٩٧٤، ورد عليه الحكيم فى ١٧ نوفمبر، وكان هذا الأمر لافتًا للنظر فعلًا، ومعبرًا عن ذكاء واضح من لطفى الخولى، وكذلك استجابة الحكيم كانت تعبر عن ذكاء من نوع آخر، وربما تكون هناك أحداث تمت فى الكواليس بين كل الأطراف لإنقاذ الحكيم نفسه من أظافر الناصريين، رغم أن لطفى الخولى وفريق التحرير لم يكونوا على خلاف مع الناصريين حول عبدالناصر، ربما تكون هناك بين الماركسيين وبين ناصر ورفاقه خلافات كانت تحدث بين الحين والآخر، وتصل بالبطش الشديد بهم، والزج بهم فى المعتقلات غير الآدمية، وقتل البعض منهم مثل شهدى عطية وفريد حداد ومحمد عثمان وغيرهم، والتنكيل بهم بأشكال وحشية، تلك الخلافات بالطبع لم تزل، ولم تنمح بعد سنوات من التعاون بين الماركسيين الذين تولوا مسئوليات كبيرة فى الدولة والسلطة الناصرية، تلك الخلافات هى التى كانت تميز وضع الناصريين مثل محمد عودة وحسنين كروم وأحمد محمد عطية من ناحية، وبين المنتمين إلى اليسار الماركسى مثل لطفى الخولى وعبدالعظيم أنيس وآخرين من ناحية أخرى، وأعتقد أيضًا أن الخولى أراد أن يقول لسلطة السادات آنذاك: هانحن قادرون على إنقاذ رجلكم من سكاكين الناصريين، وسوف نجرى حوارًا عقليًا، لا تشوبه العصبية والمبالغات وجو الانفعالات الذى كان سائدًا فى تلك الفترة، بصدد مناقشة الحكيم وكتابه.

وبالنسبة لتوفيق الحكيم، استقبل الحوار بحفاوة بالغة، فهى كذلك محاولة إنقاذه بشكل مؤسسى، أى من خلال مؤسسة صحفية، تضم كتّابًا وصحفيين لهم مصداقيتهم فى الحياة الفكرية، لذلك رد فورًا على لطفى الخولى قائلًا: «أشكر لك رسالتك المفعمة بالمودة والمصارحة، كما أشكر لك ولزملائك فى أسرة تحرير (الطليعة) دعوتكم إلى حوار جماعى منظم ومسئول حول تلك القضايا التى ذكرتها فى رسالتك، وهى دعوة تسرنى وتسعدنى..»، وأخطر ما جاء فى الرسالة هو إعادة توفيق الحكيم لتعريف نفسه بطريقة ما، إذ يقول: «.. أنا أرفض دائمًا أن أزرع زرعًا فى أرض ليست فيها جذور طبيعية، سواء فى الفن أو فى الفكر أو فى المبادئ أو فى العقائد، ولقد استخرجت على عجل هذه الصفحات من كتاباتى المنشورة فى الثلاثينيات والأربعينيات مما يمكن أن أسميه (اشتراكيتى)، لترفق برسالتى»، هنا يريد الحكيم بكل الطرق أن يبتز جماعة اليسار، فيعلن أنه اشتراكى، ومنذ متى؟، منذ عقد الثلاثينيات، أى فى عهد الملكية، وهذا بالطبع ابتذال لمفهوم الاشتراكية، ولتكونها، فقبل ذلك الوقت، لم نعرف أن الحكيم زعم أنه اشتراكى، ولكن مجلة الطليعة أتاحت له ذلك، أى نعم إن المفكرين الذين حضروا المناقشات، عصروا الحكيم بكل أشكال الأدب المعروفة، ولكنهم أتاحوا له خروجًا آمنًا من أزمته، فها هى هيئة صحفية يسارية مؤسسية تعطى له منديل الأمان، وفى رسالته ضمنها مقتطفات من كتبه السابقة، وهى مقالات عادية، مثل أى مقالات كان يكتبها زملاء له فى الصحافة، بل كتب مقالًا ضمنه تلك المختارات يحمل عنوانًا لافتًا هو: «لست شيوعيًا ولكن»، وهو يثبت بأشكال مختلفة بأنه لا يكتب ذلك المقال وهو يفكر بالرأسمالية أو الاشتراكية أو الشيوعية، ولكنه يطرح مجموعة أفكار قرأها من قبل فى كتابات مفكرين عالميين لهم روابط بالاشتراكية أو الشيوعية العالمية، ورغم أنه يتبنى تلك الأفكار، إلا أنه يختلف مع معتنقيها، أين هى إذن اشتراكيته؟، إنه يتحدث عن الضريبة المتصاعدة، والتى هى مجرد اقتراح كان يطرحه الرأسماليون فى الغرب، وتمت استعادة كل تلك القوانين فى الثلاثينيات والأربعينيات بفضل عضوى مجلس النواب ميريت غالى، ومحمد خطاب، إذن توفيق الحكيم ليست له علاقة بأصل الفكرة المطروحة، كما أن الأفكار المطروحة لا تمت إلى الاشتراكية بأى رابط، ولكنها الأزمة الطاحنة التى دفعته لكى يستقطب قيدات اليسار الذى يقف على حافة من انهيار العلاقات بينه وبين النظام، خاصة بعد تصفية مجلس إدارة مجلة الكاتب، وبالتالى ما حاق بمجلة الكاتب، من الممكن أن يقع بمجلة الطليعة، إذن كان هذا الحوار برغم فائدته العامة، إلا أنه كان عائدًا بالفائدة على طرفى الحوار، توفيق الحكيم، وقادة اليسار الرسمى، ولا بد أن نشير هنا إلى رسالة توفيق الحكيم فى مجلة روز اليوسف بتاريخ ٢١ أكتوبر ١٩٧٤، وكانت تحت عنوان «لم أنقد لحساب الماضى، وإنما لحساب المستقبل»، وبعد ديباجة متقنة من توفيق الحكيم، ألقى بمبادرته قائلًا: «.. وأنا أقصد بحديثى هنا مخاطبة اليسار، لأننى أيًا كانت مثاليتى، أعتبر نفسى من المسئولين عن الاشتراكية المصرية، وأنا أدرك جيدًا موقف اليسار الحالى والناصرى بوجه خاص، وخوفه من استثمار الرجعية لنقد إنجازات عبدالناصر، ولكن خوف اليسار هذا يكاد يوقفه فى موقف رجعى، فهو ينسى أزمة الديمقراطية التى وقعت فى سنوات ١٩٥٢- ١٩٥٤، وينسى موقفه من رفض النظام الشمولى الذى ساد فى هذه السنوات، صحيح أن موقف الثورة واتجاهها اختلفا منذ قرارات التأميم، ولكن على اليسار أن يتخفف قليلًا من تزيين وتجميل تجربتنا فى الاشتراكية، وتصويرها فى صورة الاشتراكية المثلى، ولعل عذر اليسار فى هذا الموقف خوفه من الردة إلى الوراء وإلى الأسوأ...».

هنا نحن نتعامل مع رجل عجوز وداهية ومراقب لكل ما يحدث ويقال، فما كانت غمزته التى يعلن فيها «على اليسار أن يتخفف قليلًا من تزيين وتجميل تجربتنا فى الاشتراكية» تعنى تاريخًا طويلًا من العبث، وكان أحرى بالحكيم أن يقول «على اليسار أن يتخفف قليلًا من التزييف»، وهذا ما حدث فعلًا فى حقبة الستينيات من قادة مع استثناءات قليلة، وعرفنا من دكتور فؤاد مرسى نظرية «التطور اللا رأسمالى» للاقتصادى الكبير أوليانوفيسكى، وساعتئذ، قيل إن ما يحدث فى مصر، ما هو إلا عملية تقويض للرأسمالية تدريجيًا، ولكنه كخبير وعالم اقتصاد، لم يستطع أن يقول إن ما يحدث اشتراكية، كذلك شاعت فكرة أن التأميمات التى حدثت فى مصر، ما هى إلا خطوة على طريق الاشتراكية، وهذا ما كتبه كثيرون فى مطلع عقد الستينيات، وصدرت كتب فى دراسة الاشتراكية، كما شاعت فكرة الاشتراكية العربية، رغم أن موضوع العروبة هذا، كان موضوعًا سياسيًا براجماتيًا بشكل محض، فلا يوجد شىء اسمه الاشتراكية العربية، رغم أن ذلك الشعار كان سائدًا على ألسنة كل القادة والسادة، وكانت السلطة بعد أن خرجت الشيوعيين من المعتقلات، جعلت كثيرًا منهم أبواقًا لتلك الاشتراكية المزعومة، والتى لا تعنى سوى تصدير الوهم، وكانت مجلة الكاتب فى بداياتها الأولى تقدم وجبات فنية وثقافية وفكرية عالية ورائعة، ولكنها كانت تخصص دراسات كاملة، وندوات فى المجلة حاشدة، لترويج ذلك الوهم، وهذا ما جعل توفيق الحكيم يقول لهم: عليكم أن تتخففوا من التجميل والتزيين، رغم أنه أيضًا وقع فى نفس ذلك التزوير عندما زعم أن الكلام المرسل والمقتبس الذى كتبه فى عقدى الثلاثينيات والأربعينيات، نوع من الاشتراكية، وقال عنه «اشتراكيتى»، فلم يترك المصطلح يسبح فى سديم، ولكنه وضع ياء التخصيص التى تعنى بأنها اشتراكية تخصه، ولو أى مدرس اقتصاد فى مدرسة ثانوية، سيدرك على الفور بأن ذلك الكلام المرسل ليست له علاقة بأى اشتراكية.

لم يختر توفيق الحكيم أن يوجه رسالته إلى اليسار عبثًا، ولم يختر أن يكون بينهما حوار طويل إلا كنوع من تكثيف ما كانت تفرضه المرحلة، ولذلك صرح الدكتور فؤاد زكريا فى مجلة روزاليوسف بتاريخ ١٤ أبريل ١٩٧٥، أى أثناء شهور إجراء الحوار بين الحكيم واليسار على صفحات مجلة الطليعة، وكتب ثلاثة مقالات تحت عنوان «عبدالناصر واليسار المصرى»، وأثارت تلك المقالات سلسلة واسعة من ردود الفعل القوية والعنيفة، وهو فى تلك المقالات لم يفعل سوى أنه أدان اليسار بشدة، لأن اليسار كان شريكًا لجمال عبدالناصر فى كثير من الأخطاء التى ارتكبها نظامه، وزعم زكريا بأن جمال عبدالناصر قال إنه اشترى اليسار بـ٥٠٠٠ جنيه، إذ أخرجهم من المعتقلات، وفتح لهم مجلة الطليعة، وكانت مجلة الطليعة من الناحية النظرية تطرح الماركسية والمادية الجدلية بشكل واضح وصحيح، وتم إعداد تقارير عن كثير من البلدان الاشتراكية، ولكن عندما تتعرض إلى الوضع الداخلى، تذهب الماركسية بعيدًا، وتحل محلها كل التخريجات الجديدة التى تنتصر للدولة الناصرية، ولا بد أن نضيف ملاحظة بأن كل من كانوا فاعلين فى الحياة السياسية الماركسية، كلهم من تلاميذ شهدى عطية الشافعى، النصير الأول لجمال عبدالناصر، وكان قد كتب كتابًا عنوانه «الحركة الوطنية المصرية من ١٨٨٢ إلى ١٩٥٧»، وثلث الكتاب الأخير لم يكن إلا برنامج عمل بين الحركة الشيوعية، والسلطة الناصرية، والذين ناقشوا توفيق الحكيم، وهم لطفى الخولى، ود لطيفة الزيات، وأبوسيف يوسف، وخالد محيى الدين، ودكتور فؤاد محيى الدين، ودكتور عبدالعظيم أنيس، ود مراد وهبة، ومحمد سيد أحمد، غالبيتهم من الذين كانوا يؤيدون جمال عبدالناصر، وزاد ذلك التأييد عندما برز اليمين فجأة بعد ١٥ مايو ١٩٧١.

ولن ننسى بأن اليسار القديم أو التقليدى، أو الرسمى، لم يكن يريد صدامًا مع السادات، وعدم شيطنته، وشيطنة رجاله، لذلك كتب بعضهم تحليلات سياسية عاقلة تشرح السياسة الساداتية، وعلى رأسهم الأستاذ لطفى الخولى الذى كتب سلسلة دراسات فى النصف الثانى من عام ١٩٧٥ حول ما أسماه المدرسة الساداتية، وقد أغضبت تلك الدراسات بعضًا من اليمين، وبعضًا من اليسار رغم عقلانيتها، وفى العام ذاته، نشر فتحى عبدالفتاح كتابه الشهير «شيوعيون وناصريون»، وحكى حكايته وحكاية رفاقه فى معتقلات عبدالناصر، ورغم أنه كتب ما معناه أنه لم يكتب ذلك الكتاب لكى يستثمره اليمين البشع، ولكنه أراد أن يكتب تحية لا تخفى على القارئ موجهة للرئيس أنور السادات عندما قال: «.. وربما كان أنور السادات، وهو المعتقل والمسجون السياسى السابق، من أكثر الناس إدراكًا بأن مواجهة الفكرة بالسجن أو المسدس أو المعتقل، أمر يجب أن يكون من مخلفات الماضى»، ولا بد أن أشير إلى أن فتحى عبدالفتاح قد حذف تلك الفقرة، عندما أعاد نشره فى عقد التسعينيات، من هنا أدرك الحكيم بأنه يلتقى مع اليسار فى محطات عديدة، ودار الحوار على مدى تسعة أشهر، وتم جمع ذلك الحوار، وصدر الكتاب عن دار القضايا فى بيروت فى نهاية عام ١٩٧٥.

لطفى الخولى

> اليسار غير الرسمى كان عبارة عن مجموعة تنظيمات سرية مثل حزب العمال الشيوعى المصرى وحزب المطرقة

هيكل وعبدالناصر

> لم يختر توفيق الحكيم أن يوجه رسالته إلى اليسار عبثًا ولم يختر أن يكون بينهما حوار طويل إلا كنوع من تكثيف ما كانت تفرضه المرحلة

د. يسرى عبدالله

إدوارد سعيد الحاضر دائمًا

يعد إدوارد سعيد أحد أهم النقاد والمفكرين فى تاريخ الثقافة المعاصرة، ويصل البعض إلى الجزم بأنه واحد من أبرز عشرة مفكرين فى العالم فى القرن الماضى، وبعيدًا عن الصيغ المدرسية التى تضع كاتبًا، أو ناقدًا، أو مفكرًا ضمن مجموعة محددة من بين الأكثر تأثيرًا فى مجريات الفكر الحديث فى العالم، فهى صيغة ممجوجة، ولا تمت للتفكير المنهجى بأية صلة، على غرار أفعل التفضيل التى يستخدمها الكثيرون فى سبيل امتداح جهد إبداعى أو فكرى لأحد المثقفين. وإن ظل إدوارد سعيد أحد أهم الذين طوروا الفكر المعاصر، خاصة الدرس النقدى والمعرفى فيما يتصل بدراسات أدب ما بعد الاستعمار، وكانت أطروحته للدكتوراه عن الرواية الملهمة لجوزيف كونراد «قلب الظلام»، دراسة مؤسسة فى هذا الإطار، وقد حواها كتابه «جوزيف كونراد ورواية السيرة الذاتية»، ومن اللافت أن سعيد قد عاد فى كتابه العمدة «الاستشراق» لقراءة كونراد من جديد، وفق معطيات علمية حملت زخما معرفيا متصلا بتخليص موضوعته المركزية «الاستشراق» من الآثار غير العلمية، والنظر إليها بوصفها موضوعة كلية الطابع، تتباين داخلها الخطابات. وتتعدد، من كونراد فى الأدب إلى اللورد كرومر فى السياسة، وهكذا.

يبدو كتاب إدوارد بعنوانيه الرئيسى «الاستشراق». والفرعى «المعرفة.. السلطة.. الإنشاء»، عملًا علميًا ذا طبيعة خاصة، حيث يمثل مساءلة منهجية لتاريخ الاستشراق، وتمثلاته الفكرية المختلفة، خاصة فيما يتعلق بتعميم النظرة إلى العرب، والتعاطى معهم باعتبارهم خطرًا داهمًا على الغرب.

وكانت أطروحة إدوارد سعيد المهمة حول ما سماه «شرقنة الشرق» قراءة علمية للذهنية الغربية التى تعاملت مع الشرق بوصفه موضوعًا مصمتا للبحث والنظر، وبوصفه كيانا جامدا أيضا، فلا تكتفى بتثبيت صورة ذهنية عنه، ولكن تسعى لتعميمها أيضا، وتكريسها فى ذهنية الشرقيين أنفسهم، لكى يعتقد الشرقيون أنفسهم بالصورة ذاتها التى يروجها الغرب عنهم!.

وقد قدم إدوارد سعيد دفاعا رصينًا وممنهجًا عن الحضارة العربية والإسلامية يعجز عن صنعه الكثيرون. وربما كانت السجالات التى دارت بينه وبين المفكر الاستعمارى برنارد لويس شاهدة على هذا الإطار، وقد نال إدوارد سعيد ما نال من العنت، والتعسف، والنبرة الاستعلائية التى اتسم بها خطاب خصمه الفكرى اللدود برنارد لويس، والذى وصف كتاب الاستشراق فى أكثر من موضع، حاملًا الفحوى ذاته الذى تجلى فى تعليقه الأولى العابر، والمقتضب حين نشر سعيد كتابه: «عدا عن سوء نية سعيد، فإن جهله راعنى».

وبعيدًا عن التجهيل لإدوارد من قبل لويس، وتطور الخطاب إلى شكل من أشكال الاستعداء والتحريض للمؤسسة الأكاديمية ضد مؤلف الاستشراق، فإن برنارد لويس صاحب مؤلف «الساميون وأعداء الساميين» انطلق من موقف عقائدى محض، مشفوعًا ببعض التصورات العلمية، ولذا كان حديثه عن النقد السعيدى «نسبة إلى إدوارد سعيد»، مبتورًا، ولم يكن فى عمق ما طرحه إعجاز أحمد على سبيل المثال فى كتابه «الاستشراق وما بعده.. إدوارد سعيد من منظور النقد الماركسى»، حين أشار إلى عدم قدرة إدوارد سعيد على تمثيل ميشيل فوكو على نحو كامل، وهى فرضية دقيقة، فالصلة بين صنيع إدارد سعيد فى الربط بين الحلقات أو الدوائر الثلاث التى وضعها فى العنوان الفرعى لكتابه المثير للجدل «الاستشراق»، وأعنى دوائر «السلطة.. المعرفة..الإنشاء»، تعتمد فى جانب مركزى منها على أطروحة ميشيل فوكو «المعرفة قوة».

غير أن خطورة الهجمة الفكرية والأكاديمية الشرسة التى شنها برنارد لويس على إدوارد سعيد، أحد أهم المنافحين عن القضية الفلسطينية، والذى وصفه روبرت فيسك بأنه الصوت الأكثر فاعلية فى الدفاع عن الفلسطينيين، تكمن فى كون برنارد أحد موظفى الأيديولوجيا بامتياز، عبر علاقته الوطيدة بالمحافظين الجدد فى الولايات المتحدة الأمريكية، واضطلاعه بدور حيوى فى رسم خارطة جديدة لمنطقة الشرق الأوسط لصيغة/ مشروع الشرق الأوسط الجديد، فإن الآليات هذه المرة تبدو أكثر سفورًا، حيث تحتضن بعض الإدارات الغربية التنظيمات المتطرفة، وتتعامل مغها بوصفها مخلب قط فى تصدير الأزمات للعالم العربى، المشارك فى الكارثة من خلال أسلفة المجال العام. نحن الآن أمام الموجة الأسوأ من موجات التحالف المشبوه بين الرجعية والاستعمار، يعتمد فيها الاستعمار الجديد على القوة الغشوم عبر دعم التنظيمات المتطرفة من جهة، والخطاب المراوغ من جهة ثانية، وبينهما عشرات الأسئلة المطروحة على واقعنا العربى الذى يجب أن يلتفت ساسته الوطنيون ومثقفوه الحقيقيون لما يحاك لبلدانهم، وثقافاتهم الوطنية من مخاطر.

تضمن التفوق النوعى لإسرائيل، وتعزز من فرص الانقسام فى عالمنا العربى.

كان برنارد لويس، وباختصار، يتخلى عن الاستشراق العلمى لصالح السياسى داخله، ولمصلحة الأيديولوجيا التى يعمل فى إطارها أيضًا.

إن تأملًا جديدًا للواقع العالمى الراهن، ربما يفتح الباب لنظرات جديدة تكمل صنيع المفكر إدوارد سعيد، فالواقع الدولى صار أكثر تعقيدًا، وهناك محاولة لتمرير خطاب الاستشراق الجديد، والمتكئ فى جانب منه على بعض آليات الاستشراق القديم، بدءا من التفكير بدلًا من الشرقيين أنفسهم، والانطلاق من ذلك إلى التكريس لصورة نمطية يأخذها الشرقى عن نفسه، متجاوزًا النزعة الأكاديمية الاستشراقية الاستعمارية المحضة التى دشن لها كثيرون من أبرزهم برنارد لويس،

وإذا كان للويس كتابات مختلفة بشأن تفتيت العالم العربى وتقسيمه والتكريس لكارثة الأوضاع الراهنة، فإن كتابات إدوارد سعيد تمثل النقيض الحاد لها، فهو يرى أن الأمة العربية تمتلك مقومات الوحدة، وأن الأمة العربية ليست مجرد كيان جغرافى، بل هى كيان ثقافى، وأ

حرف

الدستور الثقافى

إصدار إلكترونى يصدر عن مؤسسة «الدستور» للطباعة والنشر

المحرر العام: محمد الباز

الأربعاء
4 سبتمبر 2024
1 ربيع الأول 1446
29 مسرى 1740

الحديث عن جمال عبدالناصر له جاذبية خاصة، يُشبه تمامًا تلك الجاذبية التى تمتع بها هذا الرجل، فما بالك لو كان هذا الحديث من قلب قبل لسان صاحب «ثلاثية الإسكندرية» الشهيرة: «لا أحد ينام فى الإسكندرية»، و«طيور العنبر»، و«السحب فوق الإسكندرية»، الروائى والقاص الكبير إبراهيم عبدالمجيد.

ما قصة الخطابات التى أرسلها طلاب مدرسة «القبارى» الابتدائية فى الإسكندرية، ومن بينهم الطالب فى الصف الثالث الابتدائى، إبراهيم عبدالمجيد، إلى الرئيس الراحل جمال عبدالناصر، لطلب صور شخصية له، وكيف ردت عليها مؤسسة الرئاسة آنذاك؟ وكيف كرر «عبدالمجيد» مراسلاته مع الرئيس»، عندما صُدمت أسرته بتقليص مكافأة نهاية الخدمة لوالده من 500 جنيه إلى 3 جنيهات و30 قرشًا؟

هذه وغيرها من الحكايات، عن الإسكندرية وقت العدوان الثلاثى، والانفصال عن سوريا، وغيرهما من الأحداث التى عاشها بنفسه، رواها لى الروائى والقاص الكبير، بين عامى 2008 و2009، فى لقاءات خاصة مُسجلة، نضعها بين أيدى قراء «حرف» فى السطور التالية..

حسين عبدالرحيم

لا أحد ينام فى القبارى

خطابات إبراهيم عبدالمجيد إلى عبدالناصر: «ابعتلى صورتك ياريس»

1 يصل ويُسلم لِيد الرئيس

فى مدرسة «القبارى» الابتدائية بحى «القبارى» بالإسكندرية، عام ١٩٥٥، وأنا فى الصف الثالث الابتدائى، ولدىّ من العمر ٩ سنوات، كنا نجتمع فى الحصص الدراسية الخالية حول واحد منا لديه قدرة بارعة على نقل الحكايات التى يسمعها من جده ووالديه إلينا مُجسمةً طازجةً بالانفعالات. كان اسمه حسن هلال، مازلت أذكره.

لم ينجح «حسن» فى التعليم، ليقف فيما بعد عاملًا خلف ماكينة إحدى السينمات، ثم التحق جنديًا بالبحرية يجوب العالم، ولم أعد أسمع عنه شيئًا منذ سنوات بعيدة. كان بحق قادرًا على منحنا عالمًا من الفتنة والسحر.

وفى إحدى السهرات، ونحن نتجمع حوله، قال تلميذ آخر بشكل مفاجئ: «لدينا فى بيتنا صورة لجمال عبدالناصر، أرسلها الرئيس جمال نفسه إلى شقيقى الأكبر».

انقطعنا عن الاستماع للحكايات الساحرة، وسألنا هذا التلميذ الآخر: «كيف حدث ذلك»، فقال إن أخاه أرسل خطابًا إلى الرئيس يطلب صورة، وبعد أسبوع حمل البريد الصورة إليه، وعليها توقيع «عبدالناصر»، وهى «صورة جميلة بالألوان للرئيس بالزى العسكرى». لم نصدقه، وكعادة الأطفال طلبنا منه دليلًا على صدق كلامه، طلبنا أن يحضر الصورة لنراها.

فى اليوم التالى جاءنا كسيف الوجه، أقسم برحمة النبى أنه لا يكذب، لكن المشكلة أن أخاه رفض إعطاءه الصورة لنراها، إذ وضعها فى برواز صغير وعلقها على الحائط، ثم قال إن أخاه ينصحنا بأن نرسل مثله خطابات إلى «عبدالناصر» فيرسل إلينا صورًا.

سألناه عن العنوان الذى يمكننا مراسلته، فقال الذى هو موهوب فى الحكايات: «المسألة لا تحتاج إلى عنوان، فلا يوجد إلا عبدالناصر واحد، ولا يوجد ساعى بريد يمكنه أن يمنع خطابًا مرسلًا إليه».

فى اليوم نفسه داخل بيتنا، كتبت رسالة صغيرة إلى «عبدالناصر»، أطلب منه صورة للذكرى، وعندما عرفت أمى أنى سأرسل رسالة إلى الرئيس، نظرت لى بفخر وفرح، وأعطانى أبى ثمن طابع البريد وهو يقول: «اكتب على المظروف: القاهرة رئاسة الجمهورية يصل ويسلم لِيد الرئيس جمال عبدالناصر، هكذا يصل الخطاب».

«سرحونا» من المدارس، لأن إسرائيل هاجمت سيناء، والمظلات الإنجليزية والفرنسية نزلت على أرض بورسعيد. مشينا فى الشوارع نهتف بسقوط «إيدن» و«موليه» و«بن جوريون»، وضعنا لهم دمى قبيحة، وبقية اليوم بالنهار بالذات كنا نتجمع حول رجال الجيش والحرس الوطنى، وهم يطلقون قذائفهم على الطائرات القليلة التى كانت تغير على المدينة نهارًا.

كان منظر الطائرة مُدهِشًا، فالجو خريفى بارد، والسحب لا تنقطع عن سماء المدينة. كنا نحب السحب البيضاء، لأن الطائرة، وهى تختفى فوقها، كانت تظل ظاهرة، ونزداد دهشة ولا نصدق أنها أفلتت من قنابل المدفعية المضادة، ونأسف لأنها سقطت فى مكان بعيد، لا يمكن أن نذهب إليه لنتفرج على حطامها.

فى الليل، لم يكن أهلنا يتركوننا نتجمع حول رجال الجيش، الذين وضعوا مدافعهم فوق المنازل العالية، كنا نتجمع فى الأدوار السفلية، أو فى شارع أمام البيوت، حيث تنطلق صافرات الإنذار، ويبدأ الضرب، فيدخل كل منا- نحن الصغار- إلى أقرب حضن كبير يجاوره.

أسمع تمتمة أبى بالدعاء وتلاوة القرآن، وتنتهى الغارة، وينقطع صوت المدافع، وتختفى «الفوانيس» التى تُلقيها الطائرات لتضيئ المدينة، وترتفع الصيحات تشكر الله، لأن «الطوربيدات» التى ألقتها الطائرات سقطت بعيدًا عنا فى الخلاء الواسع، ويتصل الحوار فى اليوم التالى بين أبى والجيران، جميعًا كانوا بسطاء.

2 3 جنيهات و30 قرشًا

فى تلك الأثناء بالتزامن مع الحرب، كنت أتسلل فى الظلام بعد الغارة أو أحيانًا خلالها كى أصل إلى البرواز الصغير الذى وضعت فيه صورة «عبدالناصر» بالزى العسكرى، تلك الصورة التى أرسلها إلىّ بعد رسالتى إليه منذ عام، ومازلت أحتفظ بها.. أنظر إلى الصورة وأشعر بأنه شجاع ورجل حقيقى، رغم أنه كان فى الصورة يبتسم ابتسامة عريضة لا تدل إلا على السماحة والرضا.

لقد وصلتنى الصورة بعد أسبوع واحد من طلبى لها، وجريت بها فى المدرسة، بعد أن أطلعت زملائى عليها، لم أسمح لأحد بأن يمسها فجروا ورائى يحاولون خطفها أو رؤيتها على مهل، وكان كل تلميذ يسأل عن سبب المطاردة ويعرفه فيطاردنى مع المطاردين.

اقتنع الزملاء بصدق كلام زميلنا الأول، أرسلوا جميعًا يطلبون صورًا لـ«عبدالناصر»، فلم ينقطع البريد عن الوصول إلى المدرسة، حاملًا صورًا للطلاب الصغار، هكذا إلى نهاية العام. لم ينقطع بعد ذلك أيضًا حتى انتقلنا إلى المرحلة الإعدادية، عام ١٩٥٨.

لم أعد أعرف ما إذا كان الطلاب الجدد فى المدرسة الابتدائية لا يزالون يرسلون إلى «عبدالناصر» يطلبون صورة أم لا؟ لقد فعلنا ذلك منذ سنوات، وجاءتنا صور جميلة للرئيس بالبدلة العسكرية وبالألوان.

فى أكتوبر عام ١٩٦٢، كان علىّ أن أرسل خطابًا آخر إلى جمال عبدالناصر.. لم أطلب صورة هذه المرة. كنا كأسرة نعرف تاريخ ميلاد أبى، وأنه فى هذا الشهر سيُحال إلى التقاعد من عمله فى هيئة السكك الحديد، وكنت أنا قد أعددت الأمر لذلك منذ عام، إذ التحقت بالمدرسة الثانوية الفنية، فى العام السابق مباشرة، حتى أختصر طريق التعليم، الذى لم يكن قد صار مجانيًا بعد.

التحقت فى العام السابق عام ١٩٦١ بمدرسة إسكندرية الثانوية الفنية، بقسم «الكهرباء» تحديدًا، الذى جرت العادة أن يلتحق به الطلبة الحاصلون على مجموع كبير فى الشهادة الإعدادية. وفى ذلك الوقت بالذات، بدأت أعراض الكتابة تظهر علىّ، فانكببت أؤلف قصصًا رومانسية ساذجة، دون أن أعرف شيئًا عن هذا الفن الساحر.

كان ١٩٦١ هو عام التأميم الشهير، وعام أغنية عبدالوهاب «دقت ساعة العمل الثورى»، وعام انفصال الإقليم الشمالى «سوريا» عن «الجمهورية العربية المتحدة». حدث الانفصال فى اليوم السابق لدخولنا المدارس، فكان أول يوم دراسى مُكرسًا للمظاهرات التى تندد بالانفصال وقادته.

لم ندخل المدرسة إذن، ورحنا ندور فى شوارع الإسكندرية نهتف بسقوط قادة الانفصال، قبل أن أقرر فجأة دخول السينما. كان ذلك شيئًا سيئًا بالتأكيد، لكنى لا أدعى أنى فعلته إيمانًا بأى شىء، ولم يكن له أى سبب سياسى، ومن ثم لم أشعر بأى لوم على انفصالى عن المظاهرات التى تندد بالانفصال، فقد أحببت أن أشاهد فيلمًا جديدًا لـ«ستيف ريفز»، من سلسلة أفلام «هرقل» الشهيرة.

فى العام التالى ١٩٦٢، قرر «عبدالناصر» إلغاء كل المصروفات بكل مراحل التعليم، ولم أندم على اختيارى التعليم الفنى، الذى لم أحبه أبدًا، لأننى كنت أعرف أنه فى هذا العام سيحال أبى إلى التقاعد، وسيكون علىّ تسلم أعباء العائلة.

ولقد حدث ما هو أبشع مما انتظرت أسرتنا، فقد كان المتبع فى ذلك الوقت أن يحصل المحالون إلى التقاعد على مكافأة نهاية خدمة مجزية، وكان أبى قد قدر لنفسه ٥٠٠ جنيه، وهو مبلغ كبير فى ذلك الوقت.

لكن فجأة تم تطبيق نظام التأمين الاجتماعى على جميع العاملين فى الدولة، حدث ذلك عام ١٩٦١، ولم يعد من حق أبى مكافأة نهاية خدمة، ولأن رصيده فى التأمين لا يزيد على عام واحد، لم يكن يستحق إلا الحد الأدنى للمعاش، وهو ٣ جنيهات و٣٠ قرشًا.

أصاب أبى الصمت الممض، وانحفر الحزن على وجهه حتى خفنا أن يموت. لكنى أنا المراهق المتفائل قلت له «لا تبتئس»، وكتبت خطابًا إلى وزير الشئون الاجتماعية، الدكتورة حكمت أبوزيد، أول وزيرة مصرية، طلبت منها أن تصحح هذا الظلم الذى تسبب فيه تطبيق القانون، دون اعتبار لمن سيحالون إلى التقاعد دون أن يكون لهم رصيد من السنوات كافٍ لمعاش حقيقى.

لم أنتظر ردًا من الوزيرة، وفكرت على الفور فى جمال عبدالناصر، فجلست وكتبت له خطابًا طويلًا، أضفت إليه أبياتًا من الشعر ترقق القلوب. وضعته على طريقة «المنفلوطى»، أى والله العظيم، يا له من وقت!

طلبت وأنا فى ابتدائى صورة من الرئيس فأرسلها لى خلال أسبوع واحد

سألت عن عنوانه فقال أحد زملائى «لا نحتاجه.. لا يوجد سوى جمال واحد»

الخطاب الثانى أرفقته بـ«أبيات شعر تُرقق القلب» لزيادة معاش والدى